مراقي العبودية

للعلامة الشيخ محمد نووي الجاوي

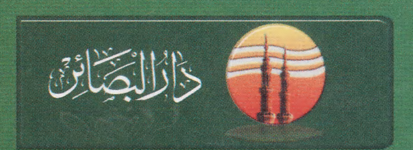
وهو شرح على

متن بداية الهداية

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

اعتنى به وخرج أحاديثه

وائل محمد عبده




مراقي العبودية

مراقي العبودية

للعلامة الشيخ محمد نووي الجاوي

وهو شرح على

متن بداية الهداية

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

اعتنى به وخرج أحاديثه

وائل محمد عبده



الإدارة: ١١٣٩ زهراء مدينة نصر - القاهرة.

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٤١١١٤٤١

مركز التوزيع: ٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة.

هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤٩٦٣٣ - محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٢٦٣

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

الطبعة الثانية

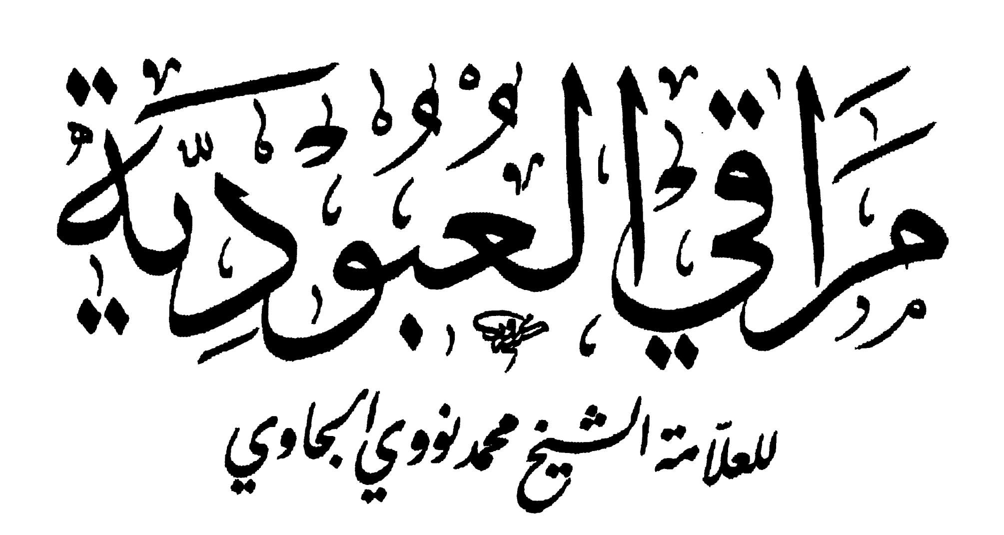
1434هـ / 2013م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٩/١٠٢٨٧

الترقيم الدولي

I.S.B.N. 978-977-489-001-7



للعلامة الشيخ محمد نووي الجاوي

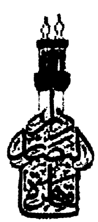
وهو شرح على

متن بداية الهداية

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

اعتنى به وخرج أحاديثه

وائل محمد عبده




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الهدف الأساسي الذي من أجله خلق الله الإنسان هو العبادة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: الآية ٥٦]، وجعل الله الإنسان خليفته في الأرض وسخر له ما في السموات والأرض وأرسل له الرسل وأنزل له الكتب لتستبين له السبيل إلى هذه العبادة التي خُلق من أجلها.

فكان واجبًا على هذا المخلوق -الذي جعله الله خليفته في الأرض- أن يقوم بأعباء هذه المهمة وأداء الرسالة المنوطة به، ولن يستطيع أن يحقق هذا إلا بأن يعلم معنى العبودية ومتطلباتها وأنه لا يمكن له أن يخرج عن سلطان الله وقهره وأنه مهما فعل فلن يستطيع أن يتحرر من عبوديته لسيده ومولاه.

ولكي يقف الإنسان على حقيقة العبودية ومتطلباتها وما ينشأ عنها من أحكام وسنن وآداب وأخلاق وفضائل -عليه أن يطالع ما كتبه العلماء في هذا الشأن؛ من أجل هذا كان هذا الكتاب الذي يعد تمهيدًا ومدخلًا للتعريف بمعنى العبودية وكيفية الوصول إلى الله تعالى.

وهذا الكتاب شرح لمتن «بداية الهداية» للإمام أبي حامد الغزالي -رحمه الله- الذي جمع فيه الإمام جميع ما يحتاج إليه السالك طريقه إلى الله بداية من إخلاص النية في طلب العلم مع

ابتغاء الهدى والقرب من الله ثم الطاعات من فرائض ونوافل ثم الآداب والأذكار المرتبطة بها ثم اجتناب المعاصي وترك المناهي وحفظ الجوارح من آفاتها ومعاصي القلوب والصفات المذمومة وسبيل العلاج ثم القول في آداب الصحبة ومعاشرة الخلق من الوالدين والأصدقاء والمعارف والمجاهيل فجاء هذا المتن المبارك شاملاً لمن يبتغي سلوك الطريق إلى الله.

ثم شرح هذا المتن المبارك الإمام محمد نووي الجاوي -رحمه الله- وسماه «مراقي العبودية» وهو عنوان مناسب تمام المناسبة لموضوعات متن الإمام الغزالي فكلمة «مراقي» جمع مِرْقاة أو مَرْقاة وهي وسيلة الرقي أو آلته أو موضعه أو ما يُرقى به أو فيه، ويقال: صعدت مرْقاة أو مرْقاتين أي درجة أو درجتين. ويقال: المجد صعب المراقي كما جاء في المعجم الوسيط مادة: (رقي).

والرقي -كما قال العسكري في «معجم الفروق اللغوية»-: يفيد التدرج في المعنى شيئًا بعد شيء، ولهذا سمي الدَّرَج: مراقي، وتقول: مازلت أراقيه حتى بلغت به الغاية أي أعلو به شيئًا شيئًا.

و«العبودية» كما قال العلماء: هي التذلل لله عز وجل بفعل أوامره واجتناب نواهيه محبةً وتعظيمًا.

فنرى بذلك مدى توفيق الإمام الجاوي في تسمية الكتاب، وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: الآية ٣٧] .

عملي في الكتاب:

- ضبطت متن بداية الهداية ضبطًا يحل إشكالاته وجعلته في أعلى الصفحة وجعلته موافقًا لشرح الإمام الجاوي حيث إن نسخ المتن كثيرة.
- وضعت عناوين لموضوعات الكتاب تسهل على القارئ الرجوع إلى الموضوع الذي يريد القراءة فيه ولم أضعها بين قوسين حتى تتميز عن عناوين الشرح الموضوعة بين قوسين.
- عزوت الأحاديث إلى مصادرها قدر الاستطاعة.
- ترجمت للأعلام الواردة في الكتاب مقتصرًا في الترجمة على غير المشاهير من الأعلام مع ضبط العَلَم.
- وضعت القول النبوي بين قوسين «....» وجعلته ببنط عريض ليتميز عن غيره من الكلام.
- ضبط الأشعار.
- التعليق ما أمكن إتمامًا للفائدة.

والله تعالى أسأل أن ينفع به وأن يتقبله مني وأن يجعله خالصًا لوجهه.

وائل محمد عبده

٨ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ

ترجمة موجزة للإمام الغزالي

هو محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام، زين الدين، أبو حامد الطوسي الغزالي.

ولد في طوس سنة خمسين وأربعمائة، أخذ عن إمام الحرمين ولازمه، حتى صار أنظر أهل زمانه، وجلس للإقراء في حياة إمامه وصنف. وبعد وفاة الإمام حضر مجلس نظام الملك فأقبل عليه، وحل منه محلًا عظيمًا فولاه نظامية بغداد، فدرس فيها مدة ثم تركها وحج، ورجع إلى دمشق، وأقام فيها عشر سنين، وصنف فيها كتبًا يقال: إن الإحياء منها، ثم سار إلى القدس والإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه في طوس مقبلًا على التصنيف والعبادة ونشر العلم، ودرس في نظامية نيسابور مدة ثم تركها، وبنى خانقاه للصوفية، ومدرسة للمشتغلين، وأقبل على النظر في الأحاديث، خصوصًا البخاري. وقد ذكر له السبكي في الطبقات الكبرى ترجمة طويلة في أربعة كراريس.

وأنشد قول القائل:

ماذا يقول الواصفون في وصفه وصفاته جلت عن الحصر

توفي في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة.

ومن تصانيفه:

البسيط وهو كالمختصر للنهاية، والوسيط ملخص منه، وزاد فيه أمورًا من الإبانة للفوراني، ومنها أخذ هذا الترتيب الحسن

الواقع في كتبه، وتعليق القاضي الحسين، والمهذب واستمداده منه كثير، كما نبه عليه في المطلب، ومن تصانيفه أيضًا: الوجيز والخلاصة مجلد دون التنبيه، وكتاب الفتاوى له مشتمل على مائة وتسعين مسألة، وهي غير مرتبة. وله فتاوي أخرى غير مشهورة أقل من تلك. وصنف في الخلاف المآخذ جمع مأخذ، ثم صنف كتابًا آخر في الخلاف سماه تحصين المآخذ، وصنف في المسألة السريجية مصنفين، اختار في أحدهما عدم وقوع الطلاق وفي الآخر الوقوع، وكتاب الإحياء وهو الأعجوبة العظيم الشأن، وبداية الهداية في التصوف، والمستصفى في أصول الفقه، والمنخول، وإلجام العوام عن علم الكلام، والرد على الباطنية، ومقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، وجواهر القرآن، وشرح الأسماء الحسنى، ومشكاة الأنوار، والمنقذ من الضلال، وغير ذلك(*).



(*) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٩٣).

ترجمة موجزة للإمام محمد نووي الجاوي

هو محمد نووي بن عمر بن عربي بن علي أبو عبدالمعطي الجاوي الفقيه البنتني إقليمًا، التناري بلدًا: مفسر، متصوف، من فقهاء الشافعية. نزيل مصر ثم انتقل إلى مكة المكرمة وتوفي بها سنة ١٣١٦ هـ.

له مصنفات كثيرة، منها: «مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد - ط» مجلدان، وهو تفسيره، و«مراقي العبودية - ط» شرح لبداية الهداية للغزالي، فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٩ هـ، و«قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان - ط» و«قطر الغيث في شرح مسائل أبي الليث - ط» و«عقود اللجين في بيان حقوق الزوجين - ط» و«نهاية الزين بشرح قرة العين - ط» فقه، و«شرح فتح الرحمن - ط» تجويد، و«نور الظلام - ط» في شرح قصيدة «عقيدة العوام» لأحمد المرزوقي، و«مرقاة صعود التصديق - ط» تصوف، في شرح «سلم التوفيق» لابن طاهر، المتوفى سنة ١٢٧٢ و«كاشفة السجا في شرح سفينة النجا - ط» في أصول الدين والفقه، «بغية العوام في شرح مولد سيد الأنام عليه الصلاة والسلام» لابن الجوزي. «بهجة الوسائل بشرح المسائل» في الفروع. «تيجان الدراري على رسالة الباجوري في الحديث». «الثمار اليانعة المنيعة في شرح الرياض البديعة في أصول الدين وفروع الشريعة». «الدرر البهية في شرح الخصائص النبوية». «ذريعة اليقين على أم البراهين» للسنوسي. «سلم المناجاة على

سفينة الصلاة» للحضرمي. «سلوك الجادة على لمعة المفادة»، «الفصوص الياقوتية على الروضة البهية» في التصريف. «قوت الحبيب الغريب» على شرح ابن قاسم للتقريب. «منهاج الراغبين في الصفاء الأنسي ومعراج الواصلين إلى الحمى القدسي»(**).

* * *

(**) الأعلام (٦/ ٣١٨)، هدية العارفين (٢/ ٣٩٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جل وعلا أحمده لجميع الأيادي والآلا، وأشكره شكرَ من عوفي من البلا وأستغفره لي ولوالدي ولمن له حق علي وللمسلمين من كل ذنب قولًا وفعلًا، وأتوب إليه من كل معصية توبةَ عبدٍ لا يملك لنفسه هدى، ولا يستطيع أن يدفع عنها ضلالًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مماثلًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا نبيه ورسوله ذو المقام الأعلى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي اختص الله به فضائلا، وعلى آله الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما قالا، وأصحابه الذين فازوا بالاقتداء بالجهاد وغيره فنالوا الدرجات العلا * أما بعد فهذا شرح على بداية الهداية سميته: «مراقي العبودية» أرجو به حصول بركة الشيخ المصنف ودعاء طلبة العلم ممن ينتصف، وليس لي في هذا إلا الجمع من كلام العلماء الأجلاء بحسب ما أطلعني الله عليه فإذا رأيت فيه شيئًا من الخلل فمن وهم صدر من سوء فهمي فالمطلوب ممن علم ذلك أن يصلحه فإن بضاعتي من العلم والدين مزجاة، وإيماني أضعف الإيمان لنقص اليقين مع ضيق الوقت وكثرة الأحزان؛ فرحم الله امرأ رأى عيبًا فستره، وإلى الله الكريم أمد أكف الابتهال أن لا يجعله حجة علي يوم ظهور الأهوال وأن ينفع به نفسي ومثلي من الجهال؛ إنه تعالى رءوف جواد يعطي النوال وإليه التفويض والاعتماد وهو الهادي إلى سبيل الرشاد آمين.

(بسم الله الرحمن الرحيم) كلمات البسملة أربع ففيها إشارة إلى إعانة الله تعالى عباده المسلمين على الشيطان فإنه قال: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: الآية ١٧] ، فأعطاهم الله تعالى هذه الكلمات الأربع لئلا تضرهم وسوسته، وإشارة إلى أن معاصي المؤمنين في أربعة أوجه في السر والعلانية والليل والنهار فأعطاهم هذه ليغفرها لهم بها * ثم إن معاني الحروف أن الباء براءة الله لأهل السعادة والسين ستر الله على أهل الجهالة والميم محبته لأهل الإسلام والألف ألفته واللام لطافته والهاء هدايته والراء

قال الشيخ الإمام العالم العلامة حجة الإسلام وبركة الأنام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدّس الله روحه ونوَّر ضريحه آمين: الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمدٍ رسولِهِ وعبدِهِ. . . . .

رضوانه على السابقين والتائبين والحاء حلمه على المذنبين والميم منته على المؤمنين والنون نور المعرفة في الدنيا ونور الطاعة في العقبى فأعطاهما لعباده المتقين والياء يد الله أي حفظه على أهل الإسلام.

(قال الشيخ الإمام) أي المقتدى به (العالم العلامة) أي العالم جدًّا فالهاء للمبالغة (حجة الإسلام) فالحجة من أحاط بأكثر السنة ولم يفته منها إلا اليسير، وأما الحافظ فهو من أحاط بمائة ألف حديث والحاكم من أحاط بثلاثة آلاف حديث (وبركة الأنام) زين الدين (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد) ولد ﷺ بطوس سنة خمسين وأربعمائة وتوفي بها صبيحة يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة فكان عمره خمسًا وخمسين سنة.

(الغزالي) بتخفيف الزاي نسبة إلى غزالة قرية من قرى طوس (الطوسي) بضم الطاء نسبة إلى طوس بلدة من أعمال نيسابور (قدس الله روحه ونور ضريحه) أي قبره (آمين) أي استجب يا الله (الحمد لله) أي كل حمد لله فيدخل فيه جميع المحامد التي ذكرها ملائكة العرش والكرسي وسكان أطباق السموات، وجميع المحامد التي ذكرها جميع الأنبياء من آدم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام، وجميع المحامد التي ذكرها جميع الأولياء والعلماء وجميع الخلق (حق حمده) أي أعمه وأنهاه بالإجمال، وأما بالتفصيل فيعجز الخلق عنه (والصلاة والسلام على خير خلقه محمد رسوله) إلى كافة الخلق (وعبده) صاحب المناقب، وقد نظم بعضها بعضهم من بحر البسيط بقوله:

لم يحتلمْ قَطُّ طه مطلقًا أبدًا ... وما تثاءب أصلًا في مدى الزمنِ
منه الدَّوابُّ فلم تهرُبْ وما وقعتْ ... ذبابةٌ أبدًا في جسمِهِ الحَسَنِ

. . . وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد فاعلم أيها الحريصُ المقبل على اقتباس العلم، المُظْهِر من نفسه صدق الرغبة وفَرْط التعطش إليه أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا فأنت ساعٍ في هدم دينك وإهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك؛ فصفقتك خاسرة. . . .

بخَلْفِهِ كأمَامٍ رؤيةٌ ثَبَتَتْ
ولا يُرَى أثرُ بَوْلٍ منهُ في عَلَنِ
وقلبُهُ لم يَنَمْ والعينُ قد نَعَسَتْ
ولا يَرَى ظلَّه في الشمسِ ذو فَطَنِ
كَتِفاه قد عَلَتا قومًا إذا جلسوا
عند الولادةِ صِفْ يا ذا بمُخْتَتَنِ
هذي الخصائصُ فاحفظْها تكن أمِنًا
من شرِّ نارٍ وسُرَّاقٍ ومن مِحَنِ

(وعلى آله وصحبه من بعده، أما بعد).

نصيحة إلى الحريص على طلب العلم

(فاعلم أيها الحريص) أي المجتهد (على اقتباس العلم) أي استفادته من المعلم وفي نسخة: اقتناص العلم بالنون ثم الصاد أي اصطياده فحينئذ شبه العلم بالصيد في كون كُلٍّ يحتاج إلى الحيلة والسياسة (المظهر من نفسه) وفي نسخة: من نفسك بالخطاب (صدق الرغبة) أي الإقبال (وفرط التعطش) أي شدة الاشتياق (إليه) أي العلم (أنك) معمول لـ«اعلم» (إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة) بالفاء والسين المهملة أي الرغبة في التفرد بالعلم لأنه نفيس جدًا (والمباهاة) أي الافتخار الذي هو التعاظم (والتقدم على الأقران) أي الأمثال الذين يعادلونك في طلب العلم (واستمالة) أي طلب إقبال (وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا) أي متاع الدنيا الذي يصير آخره فانيًا، والإكرام عند السلطان (فأنت ساع) أي متصرف (في هدم دينك وإهلاك نفسك) بإقبالك على غضب الله تعالى.

(وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك) أي عقدك في ذلك البيع (خاسرة) أي ناقصة

. . .وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق كما قال ﷺ: «من أعانَ على معصيةٍ ولو بِشَطْرِ كلمةٍ كان شريكًا له فيها» وإن كانت نيّتُك وقصدُك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهدايةَ. . . .

لأن الدنيا في مقابلة ثواب الآخرة لا شيء (وتجارتك) أي تصرفك فيه (بائرة) أي هالكة لا خير فيها، وهذا كناية عن عدم النفع بذلك العلم (ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق) من بمعنى اللام (كما قال ﷺ: من أعان على معصية ولو بشطر كلمة) نحو أُقْ من اقتل (كان) أي المعين (شريكًا له فيها)[1] وفي الحديث **«طلبُ العلم فريضة على كل مسلم، وواضِعُ العلمِ عند غير أهله كمقلِّد الخنازيرِ الجوَاهرَ واللؤلؤَ والذهبَ»**[2] أي أن واضع العلم في غير موضعه ظالم فيجب أن يكون العالم ناصحًا في جميع الأمور يعامل كل الناس على حسب حاله كالطبيب يعالج كل مريض بما يناسب علته.

وروي عن معروف الكرخي[3] أنه قال: لما مات أبو يوسف صاحب أبي حنيفة لم يكن من الناس أحد حضر جنازته لأنه كان يدخل في أمر السلطان فرأيته في المنام قبل أن يدفن فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ربي. قلت: بماذا؟ قال: بنصحي للمتعلمين فانتبهت من النوم فشهدت جنازته (وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية) بأن تنوي بتحصيله

---

(١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن روى ابن ماجه في كتاب الديات باب: التغليظ في قتل مسلم ظلمًا (٢٦٢٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله ﷺ مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله»**. وقال البوصيري (٣/ ١٢٢): هذا إسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٤) عن أنس بن مالك، قال البوصيري (١/ ٣٠): هذا إسناد ضعيف.

(٣) معروف بن فيروز الكرخي: ولد في كرخ بغداد ونشأ وتوفي ببغداد، كان من=

. . . دون مجرد الرواية فأَبْشِرْ فإن الملائكة تَبْسُط لك أجنحتها إذا مشيت وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت، . . . .

إزالة الجهل عن نفسك وعن سائر الجهال، وإحياء الدين وإبقاء الإسلام بالعلم، والدار الآخرة ورضا الله تعالى، وتنوي بذلك الشكر على نعمة العقل ونعمة صحة البدن (دون مجرد الرواية) أي الحمل والنقل عن العلماء (فأبشر فإن الملائكة تبسط لك) أي رضًا بما تطلب (أجنحتها) أي تضعها لتكون وطاء لك (إذا مشيت) وقيل: إن الملائكة تظلل طالب العلم بأجنحتها (وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت)[٤] أي ذهبت إلى العالم وذلك لأن صلاح العالم منوط بالعالِم بتبليغه الأحكام الشرعية التي منها أن الحيوان يحرم تعذيبه كما أفاده العزيزي[٥]، وعلامة ذلك القصد أن يكون بحث العلم في الخلاء أحب إليك أن يكون في الملأ وأن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك «حكاية نفيسة» وقع للعلامة منعوش المغربي في درسه إشكال وقد حضر

=موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، أبو محفوظ، وهو من جلة المشايخ وقدمائهم والمذكورين بالورع والفتوة، كان أستاذ سري السقطي صحب داود الطائي، وقبره ببغداد ظاهر يتبرك بزيارته توفي سنة ٢٠٠هـ (اهـ طبقات الصوفية ص٨٠، الأعلام٧/ ٢٦٩).

(٤) أخرج الترمذي في سننه في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك اللهُ له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكةَ لَتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالِمَ ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحِيتانُ في الماء، وفَضْلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، إن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا إنما وَرَّثُوا العلمَ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر».

(٥) العزيزي: علي بن محمد بن إبراهيم البولاقي المصري الشافعي الشهير بالعزيزي المتوفى سنة ١٠٧٠ من تصانيفه: حاشية على شرح التحرير للقاضي زكريا، حاشية على شرح الغاية لابن قاسم، السراج المنير في شرح الجامع الصغير للسيوطي أربع مجلدات (اهـ هدية العارفين١/ ٧٥٩).

. . . . ولكن ينبغي لك. . . . .

مجلسه أئمة المذاهب الأربعة فاعترض قول الشافعي وهو إذا دخل شرط على شرط فلا يوجب الحكم إلا بتقديم المؤخر نحو: إن كلمت إن دخلت الدار فأنت طالق فلا يقع طلاق عنده إلا بالدخول فقال ذلك الشيخ: لم نر لهذا القول دليلاً في كلام العرب فقال له حمدان -وهو يومئذ صغير: ما قاله الإمام الشافعي هو الحق فزجره الناس من كل جانب لصغره فقال الشيخ: دعوه فإنه ليس بيننا وبين الحق خصومة وإن كان من صغير، ومن خصوصيتنا قبول الحق ولو من صغير ورد الصغير على الكبير في الحق بخلاف الأمم السابقة إذا أخطأ الكبير لم يتجاسر أحد على الرد عليه فيصير خطؤه شريعة يعمل بها في الكون ثم التفت الشيخ إلى حمدان وقال: قل ما عندك فقال له: ما تقول في قول الشاعر من بحر البسيط.

إن يستغيثوا بنا إن يذعَروا يجدوا
منا معاقدَ عزٍّ زانها كرمُ

فإن الاستغاثة إنما يحتاج لها بعد الخوف لا قبله، وما قاله الشافعي هو الحق، ويشهد له كلام العرب فتبسم الشيخ وفرح بذلك وقال: صدقت يا ولدي ودعا له قال الشيخ حمدان: ولم أكن أهلاً للرد إلا أني ظننت أن الإمام الشافعي هو الذي حرك لساني بالكلام، وما أحسن ما قيل من بحر الطويل:

وكم من صغيرٍ لاحظته عنايةٌ
من اللهِ فاحتاجتْ إليه الأكابرُ

(ولكن ينبغي) أي يطلب (لك) العبادة مع العلم وإلا كان علمك هباء منثورًا فإن العلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فيجب عليك أولاً أن تعرف المعبود ثم تعبده، وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد فيه وفي صفاته شيئًا مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورًا وذلك بأن تعرف أن لك إلهًا عالمًا قادرًا مريدًا حيًا متكلمًا سميعًا بصيرًا منفردًا بالقدم عن كل محدث، واحدًا لا شريك له متصفًا بصفات الكمال منزهًا عن النقصان والزوال ودلالات الحدوث، وأنه أرسل عبده سيدنا محمدًا ﷺ فهو رسوله الصادق فيما جاء به من الأحكام وفيما أخبر به من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط

. . .أن تعلم قبل كل شيء أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن، . . . .

والجنة والنار والحوض والشفاعة وغير ذلك ثم يطلب منك (أن تعلم قبل) الشروع في (كل شيء) أي عمل مطلوب شرعًا.

(أن الهداية) أي سلوك الطريق إلى الله تعالى (التي هي ثمرة العلم لها بداية) وهي المسماة بالشريعة والطريقة (ونهاية) وهي المسماة بالحقيقة لأن حقيقة الشيء منتهاه وهي ثمرة الشريعة والطريقة معًا كما قال شيخ الإسلام، وثمرة الطريقة فقط على ما قاله الصاوي[٦] (وظاهر وباطن) فإن كل باطن له ظاهر وعكسه فالشريعة ظهر الحقيقة والحقيقة باطنها، وهما متلازمان معنى فشريعة بلا حقيقة عاطلة أي خالية من الثمرات، وحقيقة بلا شريعة باطلة أي لاغية لا خير فيها ولا حاصل لها قال بعضهم نظمًا من بحر البسيط:

بـل الـتـصـوفُ أن تـصـفـو بـلا كَـدَرٍ ... وتـتـبّـع الـحـقَّ والـقـرآنَ والـديـنـا

وأن تُـرى خـاشـعًـا لـلـه مُـكـتـئـبًـا ... عـلـى ذنـوبـك طـولَ الـدّهـرِ محـزونـا

قال الصاوي: والشريعة هي الأحكام التي كلفنا بها رسول الله ﷺ عن الله جل وعلا من الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات والجائزات، وقيل: هي الأخذ بدين الله تعالى والقيام بالأمر والنهي، والطريقة هي العمل بالواجبات والمندوبات والترك للمنهيات والتخلي عن فضول المباحات والأخذ بالأحوط كالورع وبالرياضة من سهر وجوع وصمت، والحقيقة فهم حقائق الأشياء كشهود الأسماء والصفات وشهود الذات وأسرار القرآن وأسرار المنع والجواز والعلوم الغيبية التي لا تكتسب من معلم وإنما تفهم عن الله كما قال

---

(٦) الصاوي (١١٧٥.١٢٤١هـ) أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي، فقيه مالكي نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية بمصر، توفي بالمدينة المنورة، من كتبه: حاشية على تفسير الجلالين، وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية، وحاشية على جوهرة التوحيد للقاني (اهـ الأعلام ١/ ٢٤٦، معجم المؤلفين ٢/ ١١١).

. . .ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها، . . . .

تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: الآية ٢٩] أي فهمًا في قلوبكم تأخذونه عن ربكم من غير معلم، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢] أي بغير واسطة معلم كما قال الإمام مالك ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[٧] فأفاد بهذه الكلمات الشريعة والطريقة والحقيقة؛ فأشار بقوله: «علم» إلى الشريعة، وبقوله: «عمل» إلى الطريقة، وبقوله: «ورثه الله علم ما لم يعلم» إلى الحقيقة اهـ.

(ولا وصول) لك أيها السالك (إلى نهايتها) أي العبادة (إلا بعد إحكام) بكسر الهمزة أي إثبات (بدايتها) بأن تصح منك البداية التي هي الشريعة مع ملازمتك لها بالجد (ولا عثور) بالثاء المثلثة أي لا علم، وفي نسخة: لا عبور بالباء الموحدة أي لا مرور (على باطنها إلا بعد الوقوف) أي المشاهدة (على ظاهرها) ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر والحقيقة باللؤلؤ فلا يتحصل اللؤلؤ إلا من البحر ولا يتوصل إلى لجة البحر إلا بالسفينة، ومثل بعضهم هذه الثلاثة بالنارجيل[٨] فالشريعة كالقشر الظاهر والطريقة كاللب والحقيقة كالدهن الذي في باطن اللب فلا يتحصل الدهن إلا بعد دق اللب ولا يتوصل إلى اللب إلا بخرق القشر، ويقال للشريعة: عبادة، وللطريقة: عبودية، وللحقيقة: عبودة قال أبو

---

(٧) وهو الذي يسميه العلماء: علم الموهبة، ويقول السفاريني في «غذاء الألباب» (ص٣٨): وقد علمنا من قول الحافظ كما قيل: من عمل بما علم إلخ أنه ليس بحديث، وقد ذكره بعض العلماء على أنه كلام النبي ﷺ كما في البيضاوي وغيره، وفي الآداب الكبرى للإمام ابن مفلح أن الإمام أحمد ذكر عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من عمل بما يعلم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم» قال أبو نعيم عقب ذلك: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره النبي ﷺ.

(٨) النارجيل: جوز الهند، واحدته بهاء. وقد يهمز، ونخلته طويلة تميد بمرتقيها حتى تدنيه من الأرض لينًا (القاموس المحيط فصل النون باب اللام).

. . .وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك؛ فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ونفسك بها مطاوعة ولها قابلة فدونك التطلع إلى النهايات والتغلغل في بحار العلوم، وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مُسَوِّفًا وبالعمل بمقتضاها مُماطِلاً فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليُدَلِّيَكَ بحبل غروره فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك، وقصده أن يُرَوِّجَ . . . . .

علي الدقاق: العبادة للعوام من المؤمنين، والعبودية للخواص، والعبودة لخاص الخواص، وقال شيخ الإسلام: فالصابر على مراد الله وهو حامل النفس على مشاق التكليف لطلب الجزاء عليه في مقام العبادة، والراضي أي المطمئن بمراده تعالى في مقام العبودية والعارف في مقام العبودية (وها) للتنبيه (أنا مشير عليك) أيها المريد للخير (ببداية الهداية لتجرب بها نفسك) أي الأمارة أو غيرها.

(وتمتحن بها قلبك) ومعنى تجرب وتمتحن واحد وهو تختبر مرة بعد أخرى (فإن صادفت) أي وجدت (قلبك إليها) أي بداية الهداية (مائلًا) أي محبًا (ونفسك) التي في قلبك (بها) أي البداية (مطاوعة) أي منقادة (ولها قابلة) أي راضية في أخذها (فدونك) أي خذ ذلك (التطلع) أي الارتقاء (إلى النهايات والتغلغل) بالغينين وبالفاءين أي الدخول والسير (في بحار العلوم) أي علوم الأسرار اللدنية التي كالبحار في عمقها (وإن صادفت قلبك عند مواجهتك) أي استقبالك (إياها) أي بداية الهداية وفي نسخة: إياه أي القلب (بها مسوفًا) بأن يقول القلب مرة بعد أخرى: سوف أفعل ذلك (وبالعمل بمقتضاها) أي بمطلوبها (مماطلًا) أي مؤخّرًا بوعد (فاعلم) أيها الطالب للعلم (أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء وقد انتهضت) أي قامت النفس لطلب العلم (مطيعة للشيطان اللعين) أي المبعد من الخير (ليدليك) أي ليوصلك (بحبل غروره) بضم الغين أي خديعته (فيستدرجك) أي يأخذك قليلًا قليلًا (بمكيدته) أي حيلته (إلى غمرة الهلاك) أي شدته (وقصده) أي الشيطان (أن يروج) أي يسلك

...عليك الشرَّ في معرض الخير حتى يلحقك بالأخسرين أعمالًا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء وما ورد فيه من الأخبار والآثار..........

(عليك الشر في معرض الخير) أي مسلكه وطريقه (حتى يلحقك بالأخسرين أعمالاً) أي الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلًا فنالوا هلاكًا (الذين ضل) أي ضاع (سعيهم في الحياة الدنيا) لاتِّباعهم الشيطان (وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون صنعًا) أي عملًا يجازون عليه لاعتقادهم أنهم على الحق (وعند ذلك) أي قصد الشيطان تسليك الشر في طريق الخير (يتلو عليك الشيطان فضل العلم) أي النافع (ودرجة العلماء) أي العاملين بميزان الشرع (وما ورد فيه) أي العلم (من الأخبار) وهي أقوال النبي ﷺ (والآثار) وهي أقوال الصحابة والتابعين[٩] كما قال ﷺ **«نظرةٌ إلى العالِم أحب إلي من عبادة سنة صيامِها وقيامِها»**[١٠] وقال: **«الناس عالِم ومتعلم والباقي هَمَجٌ»**[١١] أي ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الحمير والغنم المهزولة وقال: **«فضل العالم على العابد سبعون درجةً ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»**[١٢] وقال: «من لم

---

(٩) يقول ابن الصلاح في المقدمة (٨٨): وموجود في اصطلاح الفقهاء الخراسانيين تعريف الموقوف باسم الأثر، قال أبو القاسم الفوراني منهم فيما بلغنا عنه: الفقهاء يقولون: الخبر ما يروى عن النبي ﷺ، والأثر ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم.

(١٠) لم أعثر عليه.

(١١) أخرجه الدارمي (١/ ١٠٦) (٣٢٣) من قول خالد بن معدان قال: **«الناس عالم ومتعلم وما بين ذلك همج لا خير فيه»**، ورواه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٩١) (٥٤٣) من كلام أبي الدرداء بلفظ: **«والعالم والمتعلم في الخير شريكان وسائر الناس همج لا خير فيهم»**.

(١٢) رواه بهذا اللفظ أبو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف (٢/ ١٦٣) (٨٥٦) قال في مجمع الزوائد (١/ ١٢٢): وفيه الخليل بن مرة قال البخاري: منكر الحديث، وقال=

. . .ويُلْهيك عن قوله ﷺ: «من ازداد علمًا ولم يَزْدَدْ هُدًى لم يَزْدَدْ من الله إلا بُعْدًا» وعن قوله ﷺ: «أشدُّ الناسِ عذابًا يومَ

يحزن بموت العالم فهو منافق فإنه لا مصيبةَ أعظم من موت العالم»(١٣) وقال: **«إن العمل القليل مع العلم ينفع وإن العمل الكثير مع الجهل لا ينفع»**(١٤) وقال عمر رضي الله عنه: «موت ألف عابد قائم بالليل صائم بالنهار أهون من موت عالم واحد يعلم ما أحل الله وما حرمه وإن لم يزد على الفرائض»(١٥) وقال الربيع: العلماء سرج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه (ويلهيك) أي يجعلك الشيطان غافلًا (عن قوله ﷺ: **«من ازداد علمًا ولم يزدد هدًى لم يزدد من الله إلا بُعْدًا»**)(١٦) ويغفلك الشيطان أيضًا (عن قوله ﷺ: **«أشد الناس عذابًا** -أي تعذيبًا- **يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»**) أي لم يعمل به، رواه الطبراني

=ابن عدي: لم أر حديثًا منكرًا، وهو في جملة من يكتب حديثه، وليس هو بمتروك.

(١٣) لم أعثر عليه.

(١٤) لم أعثر عليه.

(١٥) هذا الأثر عن عمر لم أجده بهذا اللفظ، وإنما أخرجه بلفظ قريب وبمعناه الهيثمي في مسند الحارث (٢/ ٨١٣) (٨٤٢) ولفظه: «لموت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عاقل عقل عن الله أمره فعلم ما أحل الله له وما حرم عليه فانتفع بعلمه وانتفع الناس به، وإن كان لا يزيد على الفرائض التي فرض الله تعالى عليه كثير زيادة» قال: وكذا قال النبي ﷺ.
قال الحافظ في المطالب العالية (٣/ ٢١٦): هذا الحديث من كتاب العقل لداود بن المحبر، وهو موضوع.

(١٦) قال في كشف الخفاء (٢/ ٣٠٤): «من ازداد علمًا ولم يزدد في الدنيا زهدًا لم يزد من الله إلا بعدًا» رواه الديلمي عن علي رفعه، وسنده ضعيف كما قال العراقي، وقال السخاوي: وفي لفظ: «ثم ازداد للدنيا حبًا ازداد من الله غضبًا»، وقال المناوي: ورواه الأزدي في الضعفاء من حديث علي بلفظ: «من ازداد علمًا ثم ازداد للدنيا حبًا ازداد من الله عليه غضبًا».

القيامةِ عالِمٌ لم ينفَعْهُ اللهُ بعلمه» وكان ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع وقلبٍ لا يخشع وعملٍ لا يُرْفَع ودعاء لا يُسْمَع» وعن قوله ﷺ: «مررتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي بأقوامٍ تُقْرَضُ شِفاهُهُم بمقاريضَ من نار فقلت: من أنتم؟ قالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه». . . . .

وعبدالله بن عدي والبيهقي عن أبي هريرة لكن بلفظ: **«لم ينفعه علمه»**[١٧] (وكان ﷺ يقول) كثيرًا في الدعاء تعليمًا لأمته: **«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»** وهو ما لا يصحبه عمل وما لا يُؤْذَن في تعلمه شرعًا أو ما لا يهذب الأخلاق **«وقلب لا يخشع»** أي لذكرك ولا لسماع كلامك وهو القلب القاسي **«وعمل لا يرفع»** أي رفع قبول لرياء أو فقد نحو إخلاص لكون صاحبه مغضوبًا عليه **«ودعاء لا يسمع»** أي لا يقبله الله ولا يعتد به فكان غير مسموع لخبث صاحبه، وفي رواية: **«لا يستجاب»** رواه أحمد بن حنبل ومحمد بن عبدالله الحاكم عن أنس لكن بإسقاط: وقلب لا يخشع[١٨] (و) يغفلك الشيطان أيضًا (عن قوله ﷺ: **«مررت ليلة أسري بي»**) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى **«بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم؟ قالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه»** أي

---

(١٧) رواه الطبراني في معجمه الصغير (١/ ٣٠٥) حديث رقم (٥٠٧) وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٤٠)، (٥/ ١٥٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨٤) حديث رقم (١٧٧٨) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ٢٨٨) قال في المختصر: ضعيف.

(١٨) رواه بلفظ الشارح الطيالسي في مسنده (١/ ٢٦٨) حديث رقم (٢٠٠٧) عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع»** ورواية الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٨٣) حديث رقم (١٤٠٥٥) عن أنس بن مالك أيضًا بلفظ: كان من دعاء رسول الله ﷺ **«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع »**، وكذلك رواية الحاكم (١/ ٧١٦) حديث رقم (١٩٥٧) عن عبد الله بن مسعود،=

. . .فإياك يا مسكين أن تُذْعِن لتزويره وتتدلّى بحبل غروره؛ فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة.

لا نفعله «وننهى عن الشر ونأتيه»[١٩] وفي السراج المنير[٢٠] للشربيني[٢١] روي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**رَأيتُ ليلةَ أُسري بي رجالًا تُقرض شفاهُهُم بمقاريضَ من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الخطباءُ من أمتك يأمرون الناسَ بالبرِّ وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتابَ**»[٢٢] (فإياك) أي فأحذرك (يا مسكين) أي يا أيها الذليل الضعيف الذي لا فطنة له (أن تذعن) بضم التاء وكسر العين أي تنقاد (لتزويره) أي لتزيين الشيطان الكذبَ عليك (وتتدلّى) أي تصل، وفي نسخة: فيدليك (بحبل غروره) وإذا كان تَعَلُّم العلم والسؤال عنه واجبًا لقوله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي العلم ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٣] فالعمل بالعلم بعد العلم واجب (ف) يقال (ويل) أي عذاب وهلاك أو واد في جهنم[٢٣] كما قاله الشربيني (للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة) في عمره كله (وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة) أي مثلاً،

=ولم أجد الرواية كما قال الشارح بإسقاط «وقلب لا يخشع».

(١٩) لم أعثر عليه بهذا اللفظ.

(٢٠) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير، ويعرف بتفسير الخطيب الشربيني طبع في بولاق سنة ١٢٨٥هـ، وأيضًا في ٤ أجزاء في بولاق سنة ١٢٩٩هـ (اهـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص١٢٠).

(٢١) الشربيني: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي مفسر من أهل القاهرة (ت٩٧٧هـ) له تصانيف منها: السراج المنير أربعة مجلدات في تفسير القرآن، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ط مجلدان، ومغني المحتاج في شرح منهاج الطالبين للنووي ط أربعة أجزاء (اهـ الأعلام ٦/٦).

(٢٢) أخرجه بلفظه الإمام أحمد في مسنده(٣/ ٢٣١) حديث رقم (١٣٤٤٥)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٤٩) حديث رقم (٥٣).

(٢٣) روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: الويل واد في جهنم يهوي فيه=

. . . .

ويقال أيضًا: ويل للعالم حيث لم يعمل بما علم سبعين مرة فقوله: ألف مرة يتعلق بقوله: لم يعمل، وكذا قوله: مرة فهو متعلق بقوله: لم يتعلم، وهو أظهر وأحسن، ويجوز أن يكون كل من الظرفين متعلقًا بقوله: «ويل» في الموضعين إذا كان بمعنى عذاب أو هلاك ولا يجوز ذلك إذا كان بمعنى واد لأنه اسم ذات وحينئذ يكون عذاب العالِم أعظم من عذاب الجاهل نعم هو بحسب العدد فقط دون الهيئة فيمكن أن يكون العذاب الواحد أشد من الألف بأضعاف وأيضًا إن العالِم إذا ترك واجبًا أو فعل محرمًا ويعذبه الله تعالى أن يكون تعذيبه تعالى له تطهيرًا له كذا قال بعضهم، وعلى هذا المعنى ما يقال: الزبانية تسرع للعلماء غير العاملين قبل عبدة الأوثان كما روي عن النبي ﷺ: **«العالِم حبيبُ اللهِ ولو كان فاسقًا والجاهلُ عدوُّ اللهِ ولو كان عابدًا»**[٢٤].

«وحكي» أن بعض الناس اختلف في شرف العالم الفاسق وشرف الجاهل العابد فخرج أحد منهم وذهب إلى صومعة العابد الجاهل فقال: يا عبدي قبلت دعوتك وغفرت لك ذنبك فاترك العبادة واسترح فقال العابد: إلهي إني أرجو منك هذا وإني أحمدك وأشكرك وأعبدك من زمان كذا فصار مخطئًا وكافرًا بجهله ثم ذهب أحد منهم إلى العالم الفاسق فإذا هو يشرب الخمر فقال: يا عبدي اتق

=الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره»، وقال سعيد بن المسيب: إنه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرّه» اهـ تفسير أبي السعود (١/ ١٢٠)، وقال أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٤٤٣)- بعد أن ذكر الأقوال التي وردت في معنى الويل: لو صح في تفسير الويل شيء عن رسول الله ﷺ لوجب المصير إليه، وقد تكلمت العرب في نظمها ونثرها بلفظ الويل قبل أن يجيء القرآن ولم تطلقه على شيء من هذه التفاسير، وإنما مدلوله ما فسره به أهل اللغة، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (١٣/ ١٨٢): ومن قال: هو وادٍ في جهنم لم يرد أنه في اللغة موضوع لذلك، وإنما أراد أن من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقرًا من النار وثبت له ذلك.

(٢٤) لم أعثر عليه.

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال: رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين، ....

مني وأنا ربك أستر ذنبك وأنت لا تستحي مني فإني أريد أهلكك فَسَلَّ العالِمُ الفاسقُ سيفَهُ وخرج من مكانه فقال: يا ملعون أنت لا تعلم ربك فإني أعلمك ربك الآن ففر ذلك القائل فعلم بذلك شرف العلم وأهله.

مراتب طلاب العلم

(واعلم) أيها المريد لطلب العلم (أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال) أي مراتب (رجل طلب العلم ليتخذه) أي ليجعله (زاده إلى المعاد) أي الآخرة فإنها معاد الخلق (ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة فهذا) أي الرجل (من الفائزين) أي الناجين من عذاب الله تعالى اللاحقين بالخير، وعلامة عالم الآخرة ثلاثة وهي عدم طلب الدنيا بالعلم وكون قصده بالاشتغال بالعلوم نيل سعادة الآخرة فيكون معتنيًا بعلم الباطن سائسًا لقلبه بمجاهدة النفس وكون اعتماده في العلوم على اتباع صاحب الشريعة ﷺ في أفعاله وأقواله، وعلامة عدم طلب الدنيا بالعلم أن يكون أولَ عاملٍ بالأمر ومجتنبٍ للنهي وأن يكون مجتنبًا ترفُّهَ مطعم ومسكن وملبس وأن يكونَ منعزلًا منقبضًا عن مخالطة السلطان إلا لنصح له أو لرد مظالم إلى أربابها أو للشفاعة في مرضاة الله تعالى وأن لا يكون مسارعًا إلى الفتاوى كأن يدل على من هو أعلم منه كما روي عن شريح بن هانئ[٢٥] قال:

---

(٢٥) شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك. ويقال: شريح بن هانئ بن يزيد بن الحارث بن كعب الحارثي، أبو المقدام.
أدرك النبيﷺ ولم يهاجر إلا بعده، ووفد أبوه على النبي ﷺ فسأله عن أكبر ولده فقال: شريح. فقال: أنت أبو شريح. وكان قبل ذلك يكنى: أبا الحكم.
وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: عاش مائة وعشر سنين، وقال القاسم بن مخيمرة: ما رأيت أفضل منه، وقتل غازيًا مع عبدالله بن أبي بكرة بسجستان سنة ثمان وسبعين، وكان الكفار قد أخذوا الدروب على المسلمين فقتل عامة ذلك الجيش (اهـ الإصابة (٣/ ٣٨٢)، أسد الغابة (٢/ ٦٢٨)).

. . . .

أتيت عائشة رضي الله عنها أسألها عن المسح على الخفين فقالت: عليك بعلي بن أبي طالب فاسأله فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ فسألناه(٢٦) وكما روي عن سعد بن هشام بن عامر(٢٧) أنه أتى ابن عباس يسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ قال: من؟ قال: عائشة فائتها فاسألها عن ذلك(٢٨) وكما روي عن عمران بن حطان(٢٩) قال: سألت عائشة عن الحرير فقالت: ائتِ ابن عباس فاسأله فسألته فقال: سل ابن عمر فسألت ابن عمر فقال: أخبرني أبو حفص وهو عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يلبسُ الحريرَ في الدنيا من لا خَلاقَ له في الآخرةِ»(٣٠) وهذا كله من النصيحة.

---

(٢٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب: التوقيت في المسح على الخفين برقم (٢٧٦) وتمام الحديث: فقال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم.

(٢٧) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني، ابن عم أنس بن مالك، روى عن أنس بن مالك، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن عباس، وعن أبيه هشام بن عامر، وأبي هريرة، وعائشة أم المؤمنين.
وروى عنه: الحسن البصري، وحميد بن عبد الرحمن الحميري، وحميد بن هلال، وزرارة بن أوفى.
قال النسائي: ثقة.
ذكر البخاري أنه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله (اهـ تهذيب الكمال ١٠/ ٣٠٧).

(٢٨) أخرجه الإمام مسلم بلفظه ضمن حديث طويل في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض برقم (٧٤٦).

(٢٩) عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن الحارث السدوسي ويقال: الذهلي، يكنى أبا شهاب. تابعي مشهور، وكان من رءوس الخوارج من القَعَدية، وقال محمد بن بشر العبدي: ما مات عمران بن حطان حتى رجع عن رأي الخوارج، وقال ابن قانع: مات سنة ٨٤هـ (اهـ الإصابة ٥/ ٣٠٢).

(٣٠) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه في كتاب اللباس باب: لبس الحرير=

. . .ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به العزَّ والجاهَ والمالَ وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله وخسة مَقْصَدِهِ فهذا من المخاطرين؛ فإن عاجله أجله قبل التوبة خِيفَ عليه من سوء الخاتمة وبقي أمره في خطر المشيئة، وإن وُفِّق للتوبة قبل حلول الأجل وأضاف إلى العلم العمل وتدارك ما فَرَّطَ فيه من الخلل التحق بالفائزين؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر. . . . .

(ورجل طلبه) أي العلم (ليستعين به على حياته) أي الرجل الثاني (العاجلة) أي الحاضرة (وينال به) أي العلم (العز) أي القوة والكرم (والجاه) أي القدر والمنزلة (والمال وهو عالم بذلك) أي بسبب ذلك الغرض (مستشعر) أي مضمر (في قلبه ركاكة حاله) أي ضعف قلبه فقوله: «ركاكة» معمول لـ «عالم» و«مستشعر» (وخسة) أي دناءة (مقصده) بفتح الصاد أي مقصوده (فهذا) أي الرجل (من المخاطرين) أي المقربين أنفسهم على خطر هلك (فإن عاجله) أي أخذه بلا مهلة (أجله) أي وقته الذي يموت فيه (قبل التوبة) من ذلك الغرض (خيف عليه سوء الخاتمة) وهو الموت بغير الإيمان نعوذ بالله منها (وبقي أمره) أي حاله (في خطر المشيئة) لله تعالى فإن شاء عفا عنه وإلا فلا (وإن وفق) بالبناء للمفعول أي وجه (للتوبة قبل حلول) أي انتهاء (الأجل) أي مدة الموت (وأضاف) أي ضم (إلى العلم العمل وتدارك ما فرط) أي قصر (فيه من الخلل) أي الفساد في أمره (التحق بالفائزين فإن التائب) الفاء للتعليل (من الذنب كمن لا ذنب له) كما في الحديث[٣١] (ورجل ثالث استحوذ) أي غلب (عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة) أي وسيلة (إلى التكاثر) أي المكاثرة (بالمال والتفاخر) أي

=وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز رقم (٥٣٨٧).

(٣١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب: ذكر التوبة رقم (٤٢٥٠).

. . .بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع يدخل بعلمه كل مُدْخَل رجاء أن يقضي من الدنيا وَطَرَهُ وهو مع ذلك يضمر في نفسه أنه عند الله بمكانة لاتِّسامه بسمة العلماء وترسُّمه برسومهم في الزي والمنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهرًا وباطنًا فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين وهو غافل عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾

المباهاة (بالجاه والتعزز) أي صيرورة القوة (بكثرة الأتباع) بفتح الهمزة جمع تَبَع كسبب وأسباب و(يدخل بعلمه كل مدخل) أي يمكر بعلمه مكرًا كثيرًا قال: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ [النحل: الآية ٩٤] أي مكرًا وخديعة (رجاء أن يقضي) أي يبلغ وينال (من الدنيا وطره) أي حاجته (وهو) أي الرجل الثالث (مع ذلك) أي جَعْل العلم وسيلة إلى تلك الأغراض (يضمر في نفسه) أي قلبه (أنه عند الله بمكانة) بالتاء المربوطة -كما قاله شيخنا يوسف السنبلاويني- أي عظمة وارتفاع وهو مصدر مكن بضم الكاف كذا في المصباح، وذكر الجوهري في فصل الكاف أن المكانة بمعنى المنزلة وهو مِنْ «كان»، وفي فصل الميم بمعنى الاستقامة وهو من «مكن» (لاتسامه) لاتخاذه سيمة أي علامة لنفسه (بسمة العلماء) أي بعلاماتهم (وترسمه) أي تصوره (برسومهم) أي بصورتهم (في الزي) بكسر الزاي أي اللباس والهيئة (والمنطق) أي الكلام وهو مصدر ميمي (مع تكالبه) أي تواثبه ومسارعته (على الدنيا ظاهرًا وباطنًا فهذا) أي الرجل الثالث (من الهالكين ومن الحمقى) بفتح الحاء وسكون الميم وبالقصر جمع أحمق وحَمِق بكسر الميم هما للمذكر وحمقاء بالمد للمؤنث كما في الصحاح ومعنى الحمق بفتحتين أو بضم فسكون وهو مصدر قلة العقل وفساده وماضيه حمق بكسر الميم أو ضمها ومصدر المضموم حماقة أيضًا (المغرورين) أي المخدوعين للشيطان (إذ الرجاء منقطع عن توبته) أي لأن توبته لا ترجى لفوت قصده عليها والمنقطع بفتح الطاء اسم معنى أما المنقطع بكسرها فهو اسم عين (لظنه أنه من المحسنين) أي العاملين بعلومهم (وهو) أي الرجل الثالث (غافل عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «أنا من غَيْرِ الدجال أَخْوَفُ عليكم من الدجال» فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: «علماءُ السُّوءِ»؛ وهذا لأن الدجال غايته الإضلال، . . . .

ﱡالَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ﱠ [الصّف: الآية ٢]، (وهو) أي هذا الرجل (ممن) أي من بعض من (قال فيهم) أي في حقهم (رسول الله ﷺ: «**أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال**»)، وفي رواية: «**غير الدجال أخوفني عليكم**» وفي رواية بحذف نون الوقاية أي أخوف مخوفاتي عليكم، وأخوف خبر غير وهو أفعل تفضيل وإنما دخل النون فيه لمشابهته لفعل التعجب (فقيل) أي لرسول الله (وما هو) أي غير الدجال (يا رسول الله فقال: «**علماء السوء**»)[٣٢] وهو كل منافق كثير علم اللسان جاهل القلب والعمل اتخذ العلم حرفة يتأكل بها وأبهة يتعزز بها يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه كما قال ﷺ: «**إن أَخْوَفَ ما أخافُ على أمتي كُلُّ منافقٍ عليم اللسانِ**»[٣٣] رواه أحمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب وكما قال ﷺ: «**إن أَخوف ما أخاف على أمتي الأئمةُ المضلُّون**»[٣٤] رواه الإمام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء أي إن من أخوف شيء أخافه على أمتي ذلك (وهذا) أي بيان هذا الحديث (لأن الدجال غايته الإضلال) فلا يخفى

---

(٣٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرجه الإمام أحمد بنحوه (٥/ ١٤٥) حديث رقم (٢١٣٣٤) عن أبي ذر بلفظ: فقال: «**لغير الدجال أخوفني على أمتي**» قالها ثلاثًا قال: قلت: يا رسول الله ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: «**أئمة مضلين**». وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٣) رقم (٣٧٤٨٦) عن علي بلفظ: «**غير الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال: أئمة مضلون**».

(٣٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢) برقم (١٤٣) ومسند أحمد (١/ ٤٤) برقم (٣١٠) بلفظ: «**وهذه الأمة**» بدلًا عن لفظ «**أمتي**».

(٣٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٤٤١) برقم (٢٧٥٢٥) ولفظه: عن أبي الدرداء قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٩٦) برقم (٩٨١) عن عمر بن الخطاب بلفظ: أسرَّ إلي رسول الله ﷺ فقال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي أئمة مضلين**».

. . . ومثل هذا العالم وإن صرف الناسَ عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داعٍ لهم إليها بأعماله وأحواله، ولسان الحال أنطق من لسان المقال، وطباع الناس إلى المساعدة في الأعمال أَمْيَل إليها من المتابعة في الأقوال؛ فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله إذ لا يستجرئ الجاهلُ على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلماء؛ فقد صار علمه سببًا لجرأة عباد الله على معاصيه، ونفسه الجاهلة مُدِلَّة مع ذلك تُمَنِّيه. . . . .

على أحد من المؤمنين (ومثل هذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا) أي عن حبها (بلسانه ومقاله فهو داع لهم إليها) أي إلى حبها (بأعماله وأحواله ولسان الحال أنطق) أي أوضح دلالة إلى المراد، وفي بعض النسخ: أفصح أي أظهر (من لسان المقال وطباع الناس إلى المساعدة) بالسين المهملة ثم بالعين أي المعاونة (في الأعمال أميل) أي أكثر ميلاً (إليها من المتابعة في الأقوال) فقوله: «ولسان الحال» في مقام التعليل لما قبله، وكذا قوله: «وطباع الناس» فهو أيضًا في مقام التعليل، وقوله: «إلى المساعدة» متعلق بأميل، وقوله: «إليها» تأكيد له، وقوله: «من المتابعة» مفضول عليه متعلق أيضًا بأميل (فما) أي فالذي (أفسده هذا المغرور) بالشيطان (بأعماله) الفاسدة (أكثر مما أصلحه بأقواله) المزخرفة (إذ لا يستجرئ) أي لا يَشْجُع (الجاهل على الرغبة) أي التوجه (في الدنيا إلا باستجراء العلماء) عليها (فقد صار علمه) أي ذلك الرجل الثالث (سببًا لجرأة) بضم الجيم وسكون الراء (عباد الله على) إتيان (معاصيه) من غير توقف؛ فقوله: «صار إلخ» ملتصق بقوله: «فاتخذ علمه ذريعة إلى آخره» فلو أتى بهذه الجملة عقبه ثم عللها بقوله: «إذ لا يستجرئ إلخ»، ثم ذكر معطوفها لكان ذلك أظهر والله أعلم (و) صارت (نفسه الجاهلة) الأمارة بالسوء (مدلة مع ذلك) أي الرجل الثالث كتدلل المرأة مع زوجها، والمدلة بضم الميم وكسر الدال من أدل بهمزة الصيرورة كما في الصحاح، ومعنى ذلك أن النفس صارت دَلالًا أي ملاعبة مع صاحبها. ثم بين المصنف تدللها معه بقوله (تمنيه) أي فتارة تأمره النفس بأن يتمنى ما بَعُدَ

. . .وتُرَجِّيه وتدعوه إلى أن يَمُنَّ على الله بعلمه وتُخَيِّل إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله؛ فكن أيها الطالب من الفريق الأول واحذر أن تكون من الفريق الثاني؛ فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فَخَسِرَ، وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلَكَ هلاكًا لا يُرْجى معه فلاحُك ولا يُنْتظر صلاحُك.

فإن قلت: فما بداية الهداية لأجرب بها نفسي؟ فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى؛ فلا عاقبة. . . . . . .

حصولًا كالجنة والثواب العظيم (وترجيه) أي وتارة تأمره نفسه بأن يترجى ما سهل حصوله كالمال وكثرة الأتباع (وتدعوه) أي وتارة تطلبه نفسه (إلى أن يمن) أي يعدد (على الله بعلمه) بأن يقول: يا رب علمت كذا وكذا (وتخيل إليه نفسه) أي وتارة توقع النفس في وهمه وخَلَده (أنه خير من كثير من عباد الله) أي بسبب كثرة علمه (فكن أيها الطالب) للعلم (من الفريق) أي الطائفة (الأول) وهو الناجي.

(واحذر) أي احترز (أن تكون من الفريق الثاني) وهو المشرف على الهلاك (فكم) الفاء للتعليل أي لأن كثيرًا (من مسوف) أي مماطل للتوبة (عاجله) أي أسرع إليه (الأجل قبل التوبة فخسر) بالخاء المعجمة أي ضل وهلك، ويجوز بالحاء المهملة بمعنى حزن وندم في الآخرة فلم ينفعه الندم (وإياك) أي احذر تلاقيك (ثم إياك) تأكيد للأول (أن تكون من الفريق الثالث) وهو الهالك الذي تدللت معه نفسه(فتهلك) بالنصب لأنه جواب الأمر، وهو في الحقيقة جواب الشرط المقدر، والتقدير: وإن لم تحذر فتهلك (هلاكًا لا يرجى معه فلاحك) أي نجاتك (ولا ينتظر صلاحك) أي خيرك وصوابك.

بيان بداية الهداية

(فإن قلت) لي (فما بداية الهداية) التي ذكرتها سابقًا (لأجرب بها نفسي) الأمارة وغيرها فهل تقبلها أو تماطلها (ف) أقول لك (اعلم) أيها السائل المريد للخير (أن بدايتها) أي الهداية (ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة) أي

. . .إلا بالتقوى ولا هدى إلا للمتقين، والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهما قسمان: وها أنا أشير عليك بِجُمَل مختصرة من ظاهر علم التقوى في القسمين جميعًا وأُلحِق قسمًا ثالثًا ليصير هذا الكتاب جامعًا مغنيًا، والله المستعان.

لا غنيمة (إلا بالتقوى ولا هدى) أي رشاد (إلا للمتقين) أي المتصفين بالتقوى (والتقوى عبارة عن امتثال) أي اقتداء (أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه) أي مناهيه كما في نسخة وسمي ذلك تقوى لأنه يقي أي يحفظ صاحبه من المهالك الدنيوية والأخروية (فهما) أي الامتثال والاجتناب (قسمان وها) للتنبيه (أنا أشير عليك بجمل) بفتح الميم جمع جملة بسكونها (مختصرة) أي موجزة في العبارة (من ظاهر علم التقوى في) هذين (القسمين جميعًا) وهو آداب في الطاعات، وآداب في ترك المعاصي (وألحق) أي أُتبع (قسمًا ثالثًا) وهو آداب الصحبة (ليصير هذا الكتاب جامعًا) أي لجميع المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق (مغنيًا) أي عن الكتب التي لم تذكر أحد هذه الأقسام الثلاثة أو عن الكتب المبسوطات (والله المستعان) على أداء الخيرات وترك المنكرات.

القسم الأول في الطاعات

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونوافل؛ فالفرض رأس المال وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة، والنفل هو الرِّبْح وبه الفوز بالدرجات. قال ﷺ: **«يقول اللهُ تبارك وتعالى: ما تقرَّبَ إلي المتقرِّبون بِمِثْلِ أداءِ ما افترضتُ عليهم ولا يزال العبدُ يتقرَّبُ إلي بالنوافلِ حتّى أُحبَّهُ فإذا أحببتُهُ**

(القسم الأول) من قسمي معنى التقوى (في الطاعات)

(اعلم أن أوامر الله تعالى) نوعان (فرائض ونوافل فالفرض رأس المال) أي أصله (وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة) من المهالك (والنفل هو الربح وبه الفوز) أي الظفر (بالدرجات) وهي الطبقات من المراتب (قال ﷺ: **يقول الله تبارك**) أي تزايد إحسانه (**وتعالى**) أي تنزه عما لا يليق به أي في الحديث القدسي والكلام الأنسي (**ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم**) وفي رواية للبخاري **«وما تقرب إلي عبد بشيء من الطاعات أحب إلي مما افترضته عليه»**(٣٥) أي من أداء ذلك، ودخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وشمل الفرائض الظاهرة فعلًا كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، وتركًا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات، والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه (**ولا يزال العبد يتقرب**) أي يتحبب (**إلي بالنوافل**) أي التطوع من جميع صنوف العبادات (**حتى أحبه**) بضم أول الفعل لأن الذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفًا من العقوبة ومؤدي النوافل لا يفعلها إلا إيثارًا للخدمة فلذلك جوزي المحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته، والمراد بالنوافل هي النوافل الواقعة ممن أدى الفرائض لا ممن ترك شيئًا منها كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور (**فإذا أحببته**) أي أظهرت حبي له بعد تقربه إلي بما ذكر فإن حبه تعالى قديم غير حادث

---

(٣٥) رواية البخاري هذه ليس فيها قوله: **«من الطاعات»** صحيح البخاري كتاب الرقاق باب التواضع رقم الحديث (٦٥٠٢).

كنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به ولِسانَهُ الذي يَنْطِقُ به ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها ورِجْلَهُ التي يمشي بها».

ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك

(**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**)[٣٦] أي كنت حافظ أعضائه وحامي أجزائه أن يتحرك بغير رضائي وأن يسكن لغير طاعتي وهنا معنى أدون من ذلك وهو أنه لا يسمع إلا ذكري ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يتلذذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا يمد يده إلا بما فيه رضائي ولا يمشي برجله إلا في طاعتي.

مقام الإحسان وكيفية الوصول إليه

والحاصل أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه الله تعالى إليه ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق إليه تعالى حتى يصير مشاهدًا له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى فحينئذ يمتلئ قلبه بمعرفته ومحبته ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيرها فلا تستطيع جوارحه أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلبه، وهذا هو الذي يقال فيه: لم يبق في قلبه إلا الله أي معرفته ومحبته وذكره (**ولن تصل أيها الطالب**) للدرجة العالية (**إلى**) مقام الإحسان الذي هو حقيقة (**القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك**) وهو دوام ملاحظتك أي اشتغال قلبك

---

(٣٦) الحديث رواه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع برقم (٦٥٠٢) بلفظ: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**» بدون جملة: «**ولسانه الذي ينطق به**».
وهذه الجملة وردت في رواية أخرجها أبو يعلى في مسنده (١٢/ ٥٢٠) برقم (٧٠٨٧) بلفظ: «**وما تقرب إليّ عبد بمثل أداء فرائضي وإنه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها، ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به**» وبنحوه عند الطبراني في معجمه الكبير (٨/ ٢٠٦) برقم (٧٨٣٣).

وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح إلى حين تمسي؛ فاعلم أن الله تعالى مُطَّلِعٌ على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك وسائر سكناتك وحركاتك، وأنك في مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه؛ فلا يسكن في الملك والملكوت ساكن ولا يتحرك متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: الآية ١٩] و ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: الآية ٧]

واستغراق أعضائك مع الله تعالى (في) دوام (لحظاتك) بعينك (وأنفاسك من حين تصبح إلى حين تمسي) فإذا أردت المراقبة (فاعلم أن الله تعالى مطلع) أي عالم (على ضميرك) أي قلبك (ومشرف) أي ناظر (على ظاهرك وباطنك ومحيط) أي بعلم تام (بجميع لحظاتك وخطراتك) في بالك (وخطواتك) برجليك (وسائر سكناتك) في المعاصي والطاعات (وحركاتك) في ذلك (وأنك في مخالطتك) مع الناس (وخلواتك) بنفسك (متردد) وحاضر (بين يديه) تعالى (فلا يسكن في الملك والملكوت) أي في الملك العظيم والتاء للمبالغة والمراد بذلك في الأرض والسماء (ساكن ولا يتحرك) في ذلك (متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه) أي على كل من الساكن والمتحرك ﴿يَعْلَمُ﴾ ﷻ ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي خيانتها التي هي أخفى ما يقع من أفعال الظاهر وهو الإشارة بالعين كذا قاله الشربيني، ويصح أن يكون ذلك من إضافة الصفة للموصوف أي العين الخائنة بمسارقتها النظر إلى ما لا يحل ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ أي القلوب من العزم على فعل المعصية والطاعات (و﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: الآية ٧])، قال ابن عباس: السر ما تسر في نفسك، وأخفى السر هو ما يلقيه الله تعالى في قلبك من بعد، ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك لا تعلم ما تسره اليوم ولم تعلم ما تسره غدًا، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر غدًا. قال بعض المشايخ: فإذا داوم العابد على هذا الذكر وهو «الله شاهدي الله حاضري الله مطلع علي» أعانه الله تعالى على المراقبة المذكورة انتهى.

وقد أرشد المصنف بذلك العابد إلى أن يأتي بعبادته على الوجه الأكمل من

فتأدب أيها المسكينُ ظاهرًا وباطنًا بين يدي الله تعالى تأدُّبَ العبد الذليل المذنب في حضرة الملك الجبار القهار، واجتهدْ أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، ولن تَقْدِرَ على ذلك إلا بأن توزِّع أوقاتك وترتِّب أورادك من صباحك إلى مسائك فأصغِ إلى ما يُلْقَى إليك من أوامر الله تعالى عليك من حينِ تستيقظ من منامك إلى وقتِ رجوعك إلى مضجعك.

إخلاص وفراغ قلب من شواغل الدنيا ومَنْ تمكن من تلك المراقبة في عبادته عالمًا بأنه يناجي ملك الملوك ذهب عنه الوسواس الصادر عن الجهل بمسالك الشريعة وتدبر معاني ما يقول؛ فإذا كانت عبادته كذلك انفتح له فيها من المعارف ما يقصر عن وصفه كل عارف (فتأدب أيها المسكين ظاهرًا وباطنًا) أي بالجوارح والقلب بمحاسن الأخلاق وبمخالفة مرادات النفس المنهي عنها من حب الدنيا والرياسة في مخالطة الناس وفي الانفراد بنفسك (بين يدي الله تعالى تأدب العبد) أي خادم الملك أو واحد من رعيته (الذليل) أي بيِّن الذل (المذنب) أي متحمل الذنب (في حضرة الملك) أي متولي السلطنة (الجبار) أي الذي يقتل عند الغضب (القهار) أي الذي قهر رعيته فلا يقدر أحد على دفع مراده. قال بعضهم: إذا أردت أن تفعل شيئًا فاعلم أولاً أن الله تعالى حاضر وناظر فإن كان ذلك الشيء خيرًا فافعله بالخضوع -أي التذلل في الأعضاء- والخشوع -أي خفض الصوت رعاية وتعظيمًا لله تعالى- وإلا فاتركه خوفًا من الله وعذابه (واجتهد) أي فابْذُل طاقتك في (أن لا يراك مولاك حيث) أي في موضع (نهاك ولا يفقدك حيث) أي في موضع (أمرك) أي ابذل وسعك في تحصيل اجتناب المعاصي وتحصيل أداء الطاعات لتصل إلى نهاية المطلوب (ولن تقدر على ذلك) الاجتهاد (إلا بأن توزع) أي تقسم (أوقاتك وترتب أورادك) أي وظائفك (من صباحك إلى مسائك فأصغ) أي مِلْ (إلى ما يلقى) أي ما يبلغ (إليك من أوامر الله تعالى) المطلوبة (عليك من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك) حتى تنام.

فصل في آداب الاستيقاظ من النوم

فإذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر وليكن أوّلَ ما يجري على قلبك ولسانك ذِكْرُ الله تعالى. . . . . .

(فصل في آداب الاستيقاظ من النوم) وآداب اللُّبْس

هذه الترجمة ساقطة في بعض النسخ (فإذا استيقظت) أي أردت الاستيقاظ (من النوم) لتحصيل الفضيلة العظمى (فاجتهد) في طلب (أن تستيقظ قبل طلوع الفجر) لتصلي أول الوقت لأن التغليس(٣٧) أولى من التنوير؛ لأن الإنسان إذا شرع في الصلاة من أول الوقت وفي ذلك الوقت ظلمة كانت ملائكة الليل حاضرة ثم إذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة حتى ظهر الضوء كانت ملائكة النهار حاضرة أيضًا وهم يشهدون صلاته، وأيضًا الإنسان إذا شرع في صلاة الصبح من أول هذا الوقت وامتدت القراءة ففي أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة إلى الضوء فالظلمة مناسبة للموت والعدم، والضوء مناسب للحياة والوجود؛ فالإنسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت إلى الحياة ومن العدم إلى الوجود ومن السكون إلى الحركة، وهذه الحالة العجيبة تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقليب إلا الخالق بالحكمة فحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه فإن أكثر الخلق وقعوا في أمراض القلوب وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر، والأنبياء كالأطباء الحاذقين حملوا أممهم على الشروع في الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم لأنه مما ينفع في إزالة هذا المرض هكذا قال الشربيني (وليكن أول ما يجرى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى) لخبر البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **«يَعْقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدكم إذا هو نَامَ ثلاثَ عُقَدٍ يضرب على كل عقدة: مكانكَ عليكَ ليلٌ طويلٌ فارْقُدْ فإن استيقظَ ذاكرًا لله تعالى انحلتْ عقدةٌ فإن توضأ انحلتْ عقدةٌ فإن**

---

(٣٧) الغَلَس: ظلام آخر الليل، وغَلَّسْنا: سِرنا بغلس، وهو التغليس، وفي حديث الإفاضة: «كنا نغلِّس من جَمْعٍ إلى مِنًى» أي نسير إليها ذلك الوقت (لسان العرب فصل الغين حرف السين).

. . .فقل عند ذلك: «الحمد لله الذي أَحْيَانَا بعد ما أماتنا وإليه النُّشُورُ، أصبحنا وأصبح المُلْكُ لله والعظمةُ والسلطانُ لله والعزةُ والقدرةُ لله رب العالمين، أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين، اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموتُ وإليك النشورُ، . . . .

صلى انحلتْ عُقَدُهُ كُلُّها فأصبح نشيطًا طيبَ النَّفْسِ وإلا أصبح خبيثَ النفسِ كسلانَ»[٣٨] قوله: «أول» خبر «يكن» مقدم و«ذكر الله» اسمها مؤخر (فقل عند ذلك) أي الاستيقاظ من النوم (الحمد لله الذي أحيانا) أي أيقظنا (بعد ما أماتنا) أي أنامنا (وإليه النشور) أي من القبور للجزاء، روى هذا التحميد البخاري[٣٩] عن حذيفة وأبي ذر (أصبحنا) أي دخلنا في الصباح مملوكين لله. (وأصبح) أي صار (الملك لله والعظمة) أي الكبرياء (والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين، أصبحنا على فطرة الإسلام) بكسر الفاء أي دين الحق (وعلى كلمة الإخلاص) وهي كلمة الشهادة (وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا) أي مائلاً إلى الدين المستقيم.

(مسلمًا وما كان من المشركين) روى هذا الذكر الأخير الإمام أحمد[٤٠] (اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور[٤١] اللهم إنا

---

(٣٨) رواه البخاري كتاب الجمعة باب: عقد الشيطان على قافية الرأس (١١٤٢) وكتاب بدء الخلق باب: صفة إبليس وجنوده (٣٢٦٩)، ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (١٢٩٥).

(٣٩) البخاري كتاب الدعوات باب: ما يقول إذا نام برقم (٦٣١٢) عن حذيفة بن اليمان، وباب: ما يقول إذا أصبح(٦٣٢٥) عن أبي ذر.

(٤٠) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٠٦) عن ابن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن النبي ﷺ، وكذلك رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١/ ١٣٤).

(٤١) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه كتاب الأدب باب: ما يقول إذا أصبح برقم=

. . .اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليومِ إلى كل خير، ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءًا أو نَجُرَّهُ إلى مسلم أو يَجُرَّهُ أحدٌ إلينا، نسألك خيرَ هذا اليومِ وخيرَ ما فيه ونعوذ بك من شرِّ هذا اليومِ وشرِّ ما فيه». . . . .

نسألك أن تبعثنا) أي توجهنا (في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح) أي نكتسب (فيه) أي هذا اليوم (سوءًا) أي ذنبًا (أو نجره إلى مسلم أو يجره أحد إلينا نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه)[٤٢] وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**قال إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمدُ للهِ الذي ردَّ علي روحي وعافاني في جسدي وأَذِنَ لي بذكره**»[٤٣] وعن أبي هريرة قال: قال

=(٥٠٦٨) عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى برقم (٣٣٩١) بلفظ: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه يقول: إذا أصبح أحدكم فليقل: «**اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير**».

(٤٢) لم أعثر على رواية بهذا اللفظ، ولكن الذي في صحيح ابن حبان (٣/ ٢٤٣) (٩٦٣) عن عبد الله بن مسعود قال: كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح: «**أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله أسألك من خير هذا اليوم ومن خير ما فيه وخير ما بعده، وأعوذ بك من الكسل والهرم وسوء العمر وفتنة الدجال وعذاب القبر، وإذا أمسى قال مثل ذلك**».

وجاء في رواية الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٢٤) (١١٧٠) عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا أصبح وأمسى: «**أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر وأعوذ بك من عذاب النار**».

(٤٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب: منه (٣٤٠١) ضمن حديث بلفظ: فإذا استيقظ فليقل: «**الحمد لله الذي عافاني في جسدي وردَّ علي روحي وأذن لي**=

. . .فإذا لَبِسْتَ ثيابك فانْوِ به امتثالَ أمر الله تعالى في ستر عورتك، واحذر أن يكون قصدك من لباسك مُراءَاةَ الخلق فتخسرَ.

رسول الله ﷺ: «ما من رجلٍ يَنْتَبِهُ من نومه فيقول: الحمدُ للهِ الذي خلق النومَ واليقظةَ، الحمد لله الذي بعثني سالمًا سويًا أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ إلا قال الله تعالى: صدق عبدي»(٤٤)، وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إلهَ إلا أنتَ سبحانك اللهم أستغفرُكَ لذنبي وأسألُكَ رحمَتَكَ اللهم زدني علمًا ولا تُزِغْ قلبي بَعْدَ إذ هديتني وَهَبْ لي من لدنك رحمةً إنك أنتَ الوهَّابُ»(٤٥) كذا ذكره النووي في أذكاره.

آداب اللبس

(فإذا لبست ثيابك فانو به) أي اللبس (امتثال أمر الله تعالى) الوارد (في ستر عورتك واحذر أن يكون قصدك من لبس لباسك مراءاة الخلق فتخسر) أي فتهلك أما لو قصدت بلبس الثياب والنعل ونحو ذلك أن يكون لك تعظيم عند الناس أو محبة عند المشايخ والأئمة لتتمكن من تأييد مذهب أهل الحق ونشر العلم وحض الناس على العبادة لا لشرف نفسك من حيث هي ولا لدنيا تنالها لصار ذلك الأمر خيرًا وصار في حكم أعمال الآخرة؛ لأن هذه نيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء إذ المقصود من ذلك أمر الآخرة بالحقيقة كما قاله الغزالي، وقال بعضهم: وينبغي أن يكون العلماء وطالب العلم في زماننا هذا أحسن ثيابًا وأعظم عمامة وأوسع أكمامًا من الجهلاء أي ليكون العلم قويًا عظيمًا كما قال أبو حنيفة لأصحابه: عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم لئلا يستخف الناس بالعلم وأهله، وعن سعيد بن مالك بن سنان أن النبي ﷺ كان إذا لبس ثوبًا قميصًا أو رداءً أو

=بذكره» وقال الترمذي: حديث حسن، وكذلك رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١٧) (١٠٧٠٢) باللفظ نفسه.

(٤٤) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤/ ٢٠) (٦٠٥٩).

(٤٥) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل (٥٠٦١) وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٣٤١) (٥٥٣١) وغيرهما.

. . . .

عمامةً يقول: «اللهم إني أسألُكَ من خَيْرِهِ وخير ما هو له، وأعوذُ بك من شرِّهِ وشرِّ ما هو له»[٤٦] وعن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من لَبِسَ ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورَزَقَنِيهِ من غير حَوْلٍ مني ولا قوةٍ غفر اللهُ له ما تقدم من ذنبه»[٤٧].

* * *

---

(٤٦) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن روى الترمذي في سننه كتاب اللباس باب: ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا (١٧٦٧) عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سمَّاه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداء ثم يقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له» قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب صحيح، وبنحو هذا اللفظ رواه ابن حبان في صحيحه (١٢/ ٢٤٠) (٥٤٢١).

(٤٧) أخرجه الدارمي في سننه بلفظه باب : ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا (٢٦٩٠) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وأبو داود في سننه كتاب اللباس الباب الأول (٤٠٢٣) ولفظه عندهما: عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل طعامًا ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال: ومن لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه»، وزاد أبو داود: «ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

باب آداب دخول الخلاء

فإذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فقدِّم في الدخول رجلك اليسرى وفي الخروج رجلك اليمنى، ولا تستصحب شيئًا عليه اسم الله تعالى ورسوله، ولا تدخل حاسِرَ الرأس ولا حافيَ القدمين وقل عند الدخول: «باسم اللهِ أعوذ بالله من الرِّجْسِ النِّجْسِ........

(باب آداب دخول الخلاء)

أي وما معه (فإذا قصدت بيت الماء) وهو مكان قضاء الحاجة من بول وغائط (لقضاء الحاجة) أو غيره (فقدم في الدخول رجلك اليسرى) أو بدلها لو قطعت (وفي الخروج رجلك اليمنى) ومثل بيت الماء كل ما ليس شريفًا، ولو خرج من مستقذر إلى مستقذر قدَّم يساره كذا أفاده الوَنَائِي[48] (ولا تستصحب) أي لا تلازم (شيئًا) معظمًا وإن كتب بقلم هندي كأن كان (عليه اسم الله تعالى ورسوله) وحمله مكروه فيه، والحروف ليست معظمة لذاتها (ولا تدخل) فيه (حاسر الرأس) أي كاشفه بلا ستر، ويكفي في الأدب ستره بالكم للأمن من أذى الجن كما أفاده الرَّمْلِي[49] (ولا حافي القدمين) أي بلا نعل وخف للتحفظ من النجاسة (وقل عند الدخول) أي لما تصل لبابه وإن بعد محل جلوسه عنه فإن تركت حتى دخلت فقل بقلبك (باسم الله) أي أتحصن من الشيطان ولا تزد: الرحمن الرحيم (أعوذ بالله) أي أعتصم بالله (من الرجس النجس) بكسر الراء في الكلمة الأولى

---

(٤٨) الونائي (١١٧٠-١٢١٢هـ): علي بن عبد البر أبو الحسن جمال الدين، فقيه شافعي أزهري عارف بالحديث مصري من تلاميذ مرتضى الزبيدي، نسبته إلى «ونا» قرية بصعيد مصر الأدنى. من تصانيفه: دليل السالك إلى مالك الممالك، الزهرة العليا في التحذير من متاع الحياة الدنيا، المنح الإلهية بشرح بعض الأوراد البكرية (اهـ الأعلام ٤/٢٩٨، معجم المؤلفين ٧/١١٧).

(٤٩) الرملي : (٩١٩-١٠٠٤هـ) محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي: فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى، يقال له: الشافعي الصغير، نسبته إلى الرملة (من قرى المنوفية بمصر) ومولده ووفاته بالقاهرة. من تصانيفه: عمدة=

. . .الخبيثِ المُخْبِثِ الشيطانِ الرَّجيمِ» وعند الخروج: «غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى فيَّ ما ينفعني» وينبغي أن تُعِدَّ النُّبَل

وكسر النون في الثانية وسكون الجيم فيهما (الخبيث المخبث) بضم فسكون فكسر أي الذي يوقع الناس في الخبث أي يفرح بوقوعهم فيه. (الشيطان الرجيم)[٥٠] أي البعيد من الرحمة وفي رواية ابن عدي[٥١] «اللهم إني أعوذ بك من الرجس» إلى آخره بلا لفظ «باسم الله» وهو موجود في رواية ابن أبي شيبة لكن مع التعوذ الآخر[٥٢] (وعند الخروج) أي الانصراف من بيت الماء بأن يكون خارجًا عنه (غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني) أي بإخراج الفضلة (وأبقى في ما ينفعني)[٥٣] هو قوة المأكول والمشروب، ويسن أن يقول عند ذلك أيضًا «غفرانك»[٥٤] مرتين أو ثلاثًا كما أفاده الونائي (وينبغي أن تعد النبل) أي أن تحضر أحجار الاستنجاء من مَدَر وغيره، والنبل -بضم النون وفتح الباء- جمع نبلة

=الرابح شرح على هدية الناصح في فقه الشافعية، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (ط) فقه (اهـ الأعلام ٦/٧).

(٥٠) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء (٢٩٩) بلفظ: «**اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم**» دون قوله: «**باسم الله**».

(٥١) الكامل في ضعفاء الرجال (٢/٣٨٦).

(٥٢) مصنف ابن أبي شيبة (١/١١) كتاب الطهارات باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء (٣) عن رجل من أصحاب عبدالله بن مسعود قال: قال عبدالله: إذا دخلت الغائط فأردت التكشف فقل: «**اللهم إني أعوذ بك من الرجس والنجس والخبث والخبائث والشيطان الرجيم**».

(٥٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الطهارات باب: ما يقول الرجل وما يدعو به إذا خرج من المخرج ٢٩٩٠٨) بلفظ: عن طاوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خرج أحدكم من الخلاء فليقل: الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأمسك علي ما ينفعني**».

(٥٤) أخرج الترمذي في سننه في كتاب الطهارة باب: ما يقول إذا خرج من=

قبل قضاء الحاجة وأن لا تستنجيَ بالماء في موضع قضاء الحاجة وأن تستبرئَ من البول بالتَّنَحْنُح والنَّتْر ثلاثًا، وبإمرار اليد اليسرى . . . .

مثل غرف وغرفة لقوله ﷺ: «اتقوا المَلَاعِنَ وأعدوا النُّبَلَ»(٥٥) (قبل قضاء الحاجة) والجلوس له (وأن لا تستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة) إن لم يكن معدًا لذلك لئلا يعود عليه الرشاش فينجسه بخلاف المستنجي بالحجر لفقد تلك العلة، وبخلاف المعد لذلك فإن الاستنجاء فيه يصيره نظيفًا إلا إن كان فيه هواء معكوس فيكره ذلك فيه لخوف عود الرشاش (وأن تستبرئ من البول) أي والغائط أيضًا بعد انقطاعهما (بالتنحنح والنتر) بالتاء المثناة (ثلاثًا) لقوله ﷺ: «فَلْيَنْتُرْ ذَكَرَهُ ثَلاثَ نَتَرَاتٍ»(٥٦) يعني بعد البول، وكيفية النتر أن يمسح بيسراه من دبره إلى رأس ذكره ويعيده بلطف ليخرج ما بقي إن كان، ويكون ذلك بالإبهام والمسبِّحة لأنه يتمكن بهما من الإحاطة بالذكر، وتضع المرأة أصابع يدها اليسرى على عانتها كذا نقله البُجَيْرِمِي(٥٧) عن شرح الروض لشيخ الإسلام لكن المراد بالنتر هنا مد الذكر بلطف بدليل عطف ما بعده وهو قوله: (وبإمرار اليد اليسرى) أي

=الخلاء (٧) عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٥٥) قال الإمام ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير (١/ ١٠٧): حديث روي أنه ﷺ قال: اتقوا الملاعن وأعدوا النبل: عبد الرزاق عن ابن جريج عن الشعبي مرسلًا، ورواه أبو عبيد من وجه آخر عن الشعبي عن من سمع النبي ﷺ، وإسناده ضعيف، ورواه ابن أبي حاتم في العلل من حديث سراقة مرفوعًا وصحح أبوه وقفه.

(٥٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب: الاستبراء بعد البول (٣٢٦) والإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٤٧) كلاهما عن عيسى بن يزداد عن أبيه.

ويقول المناوي في (فيض القدير) (١/ ٣١١): (إذا بال أحدكم) أي فرغ من بوله (فلينتر) بمثناة فوقية لا مثلثة (ذكره ثلاث نترات) أي يجذبه بقوة؛ فالاستبراء بذلك ونحوه مندوب، فلو تركه واستنجى عقب الانقطاع ثم توضأ صح وضوؤه، وقيل: واجب، وأطيل في الانتصار له، وحمل على ما لو غلب على ظنه حصول شيء لولا الاستبراء.

(٥٧) البجيرمي (١١٣١. ١٢٢١هـ) سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي، فقيه مصري=

. . . على أسفل القضيب، وإن كنت في الصحراء فابعُدْ عن عيون الناظرين واستتر بشيء إن وجدته ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس، ولا تستقبل الشمسَ ولا القمرَ ولا تستقبل القبلةَ ولا تستدبرها، . . . .

بمسحها أي بمسح إبهامها ومسبحتها (على أسفل القضيب) وهو قصبة الذكر من مجامع عروقها، ويمسح البطن ونحو ذلك، ويختلف الاستبراء باختلاف الناس وهو سنة إن علم أن بوله ينقطع بمجرد الخروج، وواجب إذا غلب على ظنه عدم انقطاعه إلا بنحو التنحنح (وإن كنت في الصحراء) أو في البنيان (فابعد عن عيون الناظرين) بحيث لا يرى شخصك، وهذا الإبعاد أفضل من الإبعاد عن الناس إلى حيث لا يسمع للخارج منه صوت ولا يشم له ريح كما نقله الونائي عن الرملي (واستتر بشيء) يستر العورة عمن يمر عليك وإن لم يكن أحد، ولا يكفي الزجاج (إن وجدته) سواء وجدت هناك ساتر القبلة أو لا إذا جلس في وسط مكان واسع فإن كان في بناء مسقف أو يمكن عادة تسقيفه كفى الستر عن الأعين بذلك البناء، وإن تباعد عنه بأكثر من ثلاثة أذرع إن لم يكن داخله من ينظر إليه وإلا وجب الستر للعورة حينئذ لأنه يحرم عليه كشف العورة بحضرة الناس كما قاله الونائي.

(ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس) فإذا انتهيت إليه فاكشف ثوبك شيئًا فشيئًا إلا أن تخاف تنجس ثوبك فترفعه بقدر حاجتك ثم أسدله كذلك قبل انتصابك (ولا تستقبل الشمس ولا القمر) بعين بول وغائط عند طلوعهما أو غروبهما بدون ساتر كسحاب، ولا بأس عليك باستدبارهما (ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها)[٥٨] فاستقبال القبلة واستدبارها بعين الفرج الخارج منه البول أو الغائط ولو مع عدم الاستقبال بالصدر لعين القبلة بغير ساتر حال

=ولد في بجيرم (من قرى الغربية) وقدم القاهرة صغيرًا فتعلم في الأزهر ودرس وكف بصره. من تصانيفه: التجريد، أربعة أجزاء وهو حاشية على شرح المنهج في فقه الشافعية، وتحفة الحبيب حاشية على شرح الخطيب المسمى بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع أربعة أجزاء (اهـ الأعلام ٣/ ١٣٣).

(٥٨) لحديث البخاري في كتاب الصلاة باب: قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق=

...ولا تجلس في مُتَحَدَّثِ الناس ولا تَبُلْ في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة ولا في الجُحْرِ، ....

قضاء الحاجة حرام في غير المعد لها، وبساتر خلاف الأولى سواء كان بصحراء أو بناء، أما في المعد فخلاف الأفضل إن سهل العدول عن القبلة، والمراد باستدبار القبلة كشف دبره إلى جهتها حال خروج الخارج منه فمن قضى الحاجتين معًا لم يجب عليه الاستتار من جهة القبلة فقط إن استقبلها أو استدبرها، ويشترط في عرض الساتر أن يعم جميع ما توجه به إلى القبلة ولو زجاجًا وهو من السرة إلى الأرض سواء في ذلك القائم والجالس؛ فلو قضى حاجته قائمًا فلابد أن يستر من سرته إلى موضع قدميه صيانة للقبلة وإن كانت العورة تنتهي للركبة، ويشترط أن يكون بينه وبين الساتر ثلاثة أذرع فأقل بذراع الآدمي المعتدل، ولا يحرم استقبال المصحف أو استدباره ببول أو غائط وإن كان أعظم من القبلة لأنه قد يثبت للمفضول ما لا يثبت للفاضل لكن إذا كان ذلك على وجه يعد ازدراء حرم بل قد يكون كفرًا، وكذا يقال في استقبال القبر المكرم أو استدباره كذا أفاده الونائي (ولا تجلس) لقضاء الحاجة (في متحدث الناس) وهو محل اجتماع الناس في الشمس شتاء والظل صيفًا، والمراد هنا كل محل غير مملوك لأحد يقصد لغرض كمعيشة أو مقيل فيكره ذلك إن اجتمعوا لأمر مباح وإلا فلا بل قد يجب إن لزم على ذلك دفع معصية اهـ (ولا تبل) أي ولا تتغوط أيضًا (في الماء الراكد) قَلَّ أو كَثُرَ ما لم يستبحر أما الجاري فلا يكره ذلك في كثيره لقوته، ويحرم ذلك في مسبل وموقوف مطلقًا وماء هو واقف فيه إن قل، والتفصيل إنما هو في قضاء الحاجة في الماء نهارًا أما في الليل فيكره مطلقًا جاريًا كان أو راكدًا مستبحرًا أو لا؛ لأن الماء بالليل مأوى الجن (وتحت الشجرة المثمرة) ولو كان الثمر مباحًا صيانةً للثمرة الواقعة عن التلويث فتعافها الأنفس ولو في غير وقت الثمرة سواء كان الثمر مأكولًا أو مشمومًا فيكره ذلك ما لم يعلم مجيء ما يزيل ذلك النجس عن المحل قبل وجود الثمرة من مطر أو غيره (ولا في الجحر)

=(٣٩٤) عن أبي أيوب الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا».

. . . واحذر الأرضَ الصلبةَ ومهبَّ الريح احترازًا من الرَّشَاش لقوله ﷺ: «إن عامةَ عذابِ القبرِ منه» واتكئ في جلوسك على الرِّجْل اليسرى ولا تَبُلْ قائمًا إلا عن ضرورة، . . . .

وهو الثقب أي الخرق المستدير النازل في الأرض وألحقوا به السَّرَب بفتح السين والراء، وهو الشَّق المستطيل لما قيل أن ذلك مسكن الجن وأنهم قتلوا سعد بن عبادة ﷺ لما بال فيه ويحرم، قضاء الحاجة فيه إذا غلب على ظنه أن فيه حيوانًا لم يندب قتله يتأذى بذلك النجس أو يموت به كما قال الونائي (واحذر الأرض الصلبة) بضم الصاد وفتحها وسكون اللام أي في البول والغائط المائع لئلا يصيبك رشاش الخارج (ومهب الريح) أي محل هبوبها وقت هبوبها أي مرورها على ما قاله الرملي فلا تستقبله (احترازًا من الرشاش) إن كان الخارج بولًا أو غائطًا رقيقًا ومن عَوْد ريحه إن كان جامدًا، وقال ابن حجر والشربيني: المعتبر في الكراهة هبوب الريح الغالب في ذلك الزمن وإن لم تكن هابة بالفعل إذ قد يهب بعد الشروع في البول والغائط فيتأذى بهما (واتكئ) أي اعتمد (في جلوسك على الرجل اليسرى) ناصبًا يُمناك بأن تضع أصابع اليمنى على الأرض وترفع باقيها لأن ذلك أسهل لخروج الخارج مع راحة الأعضاء الرئيسة كالكبد والقلب فإنها في جهة اليسار فإن الإنسان كالجرة الملآنة فإذا أميلت سهل خروج الخارج منها، وإذا كبت معتدلة كان في خروج الخارج عسر، ولأن المناسب لليمنى أن تصان عن استعمالها في هذا المحل القذر أما القائم فيعتمد على الرجلين معًا في البول والغائط كما اعتمده الشيخ عطية أخذًا من كلام المنهاج (ولا تبل) ولا تتغوط (قائمًا) فذلك مكروه (إلا عن) أي لأجل (ضرورة) فلا كراهة ولا خلاف الأولى؛ لأن النبي ﷺ أتى سُباطَةَ[٥٩] قوم فَبَالَ قائمًا[٦٠] وفي الحديث ثلاثة أوجه أحدها:

---

(٥٩) السباطة والكناسة: الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يُكْنَس من المنازل. وقيل: هي الكناسة نفسها (النهاية في غريب الحديث والأثر باب السين مع الباء).

(٦٠) الحديث رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب: البول قائمًا وقاعدًا (٢٢٤) ومسلم في كتاب الطهارة باب: المسح على الخفين (٢٧٣)، ولفظ البخاري: عن حذيفة=

... واجْمَعْ في الاستنجاء ....

أن رسول الله ﷺ فعل ذلك لمرض منعه من القعود، والثاني: أنه استشفى بذلك من وجع الصلب جريًا على عادة العرب من أنهم يستشفون بالبول قيامًا، والثالث: أنه لم يتمكن من القعود في ذلك المكان لكثرة النجاسة(٦١) (واجمع في الاستنجاء)

=قال: أتى النبي ﷺ سباطة قوم فبال قائمًا ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ.

(٦١) يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم (٣/ ١٦٥): وأما سبب بوله ﷺ قائمًا فذكر العلماء فيه أوجهًا حكاها الخطابي والبيهقي وغيرهما من الأئمة أحدها: قالا- وهو مروي عن الشافعي - إن العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائمًا قال: فترى أنه كان به ﷺ وجع الصُّلب إذ ذاك؟ والثاني: أن سببه ما روي في رواية ضعيفة رواها البيهقي وغيره: أنه ﷺ بال قائمًا لعلة بمأبضه، والمأبض -بهمزة ساكنة بعد الميم ثم موحدة- هو باطن الركبة، والثالث: أنه لم يجد مكانًا للقعود فاضطر إلى القيام لكون الطرف الذي من السباطة كان عاليًا مرتفعًا، وذكر الإمام أبو عبد الله المازري والقاضي عياض -رحمهما الله تعالى- وجهًا رابعًا، وهو أنه بال قائمًا لكونها حالة يؤمن فيها خروج الحدث من السبيل الآخر في الغالب بخلاف حالة القعود، ولذلك قال عمر: البول قائمًا أحصن للدبر، ويجوز وجه خامس: أنه ﷺ فعله للجواز في هذه المرة، وكانت عادته المستمرة يبول قاعدًا، يدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائمًا فلا تصدقوه، ما كان يبول إلا قاعدًا» رواه أحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وآخرون، وإسناده جيد، والله أعلم.

وقد روي في النهي عن البول قائمًا أحاديث لا تثبت، ولكن حديث عائشة هذا ثابت؛ فلهذا قال العلماء: يكره البول قائمًا إلا لعذر، وهي كراهة تنزيه لا تحريم، قال ابن المنذر في الإشراق: اختلفوا في البول قائمًا فثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت وابن عمر وسهل بن سعد أنهم بالوا قيامًا، قال: وروي ذلك عن أنس وعلي وأبي هريرة رضي الله عنهم، وفعل ذلك ابن سيرين وعروة بن الزبير، وكرهه ابن مسعود والشعبي وإبراهيم بن سعد، وكان إبراهيم بن سعد لا يجيز شهادة من بال قائمًا، وفيه قول ثالث: أنه كان في مكان يتطاير إليه من البول شيء فهو مكروه؛ فإن كان لا يتطاير فلا بأس به، وهذا قول مالك، قال ابن المنذر: البول جالسًا=

. . . بين استعمال الحَجَر والماء؛ فإذا أردت الاقتصارَ على أحدهما فالماء أفضل، وإن اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة مُنَشِّفة للعين، تمسح بها محل النَّجْو . . . .

من البول والغائط (بين استعمال الحجر والماء) بتقديم الحجر وهو أفضل من الاقتصار على أحدهما ليجتنب مس النجاسة لإزالة عينها بالحجر، ومن ذلك حصل أصل السنة بالحجر النجس في حال الجمع. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: الآية ١٠٨]، قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: «إن الله تعالى قد أثنى عليكم في الطُّهور فما هو» قالوا: إنا نستنجي بالماء[٦٢] وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله ﷺ: «إذا أتى أحدُكم الخلاءَ فَلْيَسْتَنْجِ بثلاثةِ أحجارٍ»[٦٣] وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء وقيل: إنهم لما سئلوا عن ذلك قالوا: إنا كنا نتبع الماء الحجر كذا في عوارف المعارف، (فإذا أردت الاقتصار) في الاستنجاء (على أحدهما فالماء أفضل) لأن النجاسة إنما تزول بالماء (وإن اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة) أي متشربة (للعين) فلا يجزئ متنجس ولا ما فيه رطوبة وما فيه نعومة كالتراب والفحم الرخو والقصب الذي لم يشق إذا كان غير جذوره (تمسح) أي تعم (بها محل النجو) أي الخرء؛ فإن تعميم كل مسحة من الثلاث

=أحب إليّ وقائمًا مباح، وكل ذلك ثابت عن رسول الله ﷺ، هذا كلام ابن المنذر، والله أعلم.

(٦٢) قال الإمام ابن حجر في الإصابة (٦/ ٢٢) رقم (٧٧٩٢): أخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو بكر بن أبي شيبة وابن قانع والبغوي والطبراني وابن منده من طريق مالك بن مغول عن سيار عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال: قدم علينا النبي ﷺ فقال: ما الذي أثنى الله عليكم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٨] قال: نستنجي بالماء.

(٦٣) أخرجه الدارقطني في السنن كتاب الطهارة باب: الاستنجاء (١٢) ولفظه: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى أحدكم حاجته فليستنجِ بثلاثة أعواد أو ثلاثة أحجار أو بثلاث حثيات من التراب». =

. . . بحيث لا تنتقل النجاسةُ عن موضعها، وكذلك تمسح القضيبَ في ثلاثة مواضع من حجر؛ فإن لم يحصل الإنقاءُ بثلاثة فَتَمِّمْ خمسةً أو سبعةً إلى أن ينقى بالإيتار؛ فالإيتار مستحب والإنقاء . . . .

لكل جزء من المحل واجب بأن تضع الحجر على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة وتمرها بالمسح والإدارة إلى مؤخره وتأخذ الثانية وتضعها على المؤخرة كذلك وتمرها إلى المقدمة وتأخذ الثالثة فتديرها حول المسربة إدارة وتمسحها بها من المقدمة إلى المؤخرة (بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها) الذي أصابته عند الخروج واستقرت فيه حتى لو قمت وانضمت إلياك وانتقلت النجاسة تعيَّن عليك الماء، وقوله: «بحيث» الباء بمعنى في، وهو متعلق بقوله: «أن تستعمل» أما النقل المضطر إليه الحاصل من الإدارة فلا يضر (وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر) بأن تأخذ حجرًا كبيرًا بيمينك والذكر بيسارك وتمسح الحجر بذكرك وتحرك اليسار فتمسح ثلاث مرات في ثلاثة مواضع من حجر واحد كبير أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا ترى الرطوبة في محل المسح هكذا في الإحياء (فإن) حصل الإنقاء بمرتين وجب عليك الإتيان بالثالثة وإن (لم يحصل الإنقاء بثلاثة) من المسحات بأن بقي أثر يزيله ما فوق صغار الخزف فعليك برابع وهكذا ثم إن أنقيت المحل بوتر فواضح وإلا (فتمم خمسة) إن أنقيت برابعة (أو سبعة) إن أنقيت بستة وهكذا (إلى أن ينقى) أي الموضع ويحصل المسح (بالإيتار) أي الانفراد (فالإيتار) بواحدة بعد الإنقاء الذي لم يحصل بوتر (مستحب والإنقاء) إلى أن لا يزيل الأثر إلى الماء أو صغار الخزف

=وفي سنن الدارمي (١/ ١٨٠) (٦٧٠) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار يستطيب بهن فإنها تجزئ عنه».
وروى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب: الاستطابة (٢٦٢) عن سلمان قال: قال لنا المشركون: إني أري صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة فقال: أجل إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام وقال: لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار.

. . . واجب، ولا تَسْتَنْجِ إلا باليد اليسرى وقل عند الفراغ من الاستنجاء: «اللهم طهِّر قلبي من النفاق وحصِّن فَرْجي من الفواحش» وادْلُكْ يدك بعد تمام الاستنجاء بالأرض أو بحائط ثم اغسلها.

* * *

(واجب) واعلم أن المصنف ذكر لإجزاء الاقتصار على الحجر ستة شروط: شرطين في ذات الحجر وهما كونه طاهرًا قالعًا لعين النجاسة، وثلاثة شروط لإجزاء استعمال الحجر وهي ثلاث مسحات وتعميم المحل بكل مسحة وإنقاء المحل، وشرطًا واحدًا للمحل الذي يستنجى فيه وهو عدم انتقال الخارج.

(ولا تستنج إلا باليد اليسرى) بأن تأخذ الحجر بيسارك على الكيفية المذكورة وبأن تفيض الماء باليمنى على محل الخرء وتدلكه باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بِحِسِّ اللمس، ويكفي في ذلك غلبة ظن زوال النجاسة، ولا يسن حينئذ شم اليد وينبغي الاسترخاء لئلا يبقى أثرها في تضاعيف شرج المقعدة فتنبه لذلك كذلك قاله ابن حجر (وقل عند الفراغ من الاستنجاء) وبعد الخروج من محله (اللهم طهر قلبي من النفاق) أي نفاق الاعتقاد أي الاعتقاد الفاسد كاعتقاد المعتزلة فيكون المعنى أَدِمْ تطهيرَه منه أو نفاق العمل فيكون المعنى اقطع قلبي عن أصول النفاق من القوة الشهوية والغضبية (وحصن فرجي من الفواحش) أي اجعله عفيفًا عن الأمور التي تجاوز الحد، واعلم أن التكلم ولو بغير ذكر بمجرد الدخول في محل قضاء الحاجة مكروه ولو بغير قضائها كأن دخل لوضع إبريق مثلاً أو لكنس إلا لمصلحة، ولا يكره الذكر بالقلب ويكفي في هذه الحالة الحياء من الله والمراقبة وذكر نعمة الله تعالى في إخراج هذا العدو المؤذي الذي لو لم يخرج لقتل صاحبه، وهذا من أعظم الذكر ولو لم يقل باللسان كما قاله عمر البصري.

(وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالأرض أو بحائط) أي جدار إزالةً للرائحة إن بقيت (ثم اغسلها) أي اليد، ومن الآداب أيضًا عدم تطويل القعود بلا ضرورة وعدم العبث باليد وبالرؤية إلى اليمين والشمال وعدم النظر للسماء أو الفرج أو للخارج بلا حاجة.

باب آداب الوضوء

فإذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان، وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك، . . . .

(باب آداب الوضوء)

المراد بالآداب هنا المطلوبة فتشمل المندوبة والواجبة كما أفاده شيخنا عبدالحميد **(فإذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك)**(٦٤) وانوِ بالسواك السنة وتطهير الفم لقراءة القرآن وذكر الله في الصلاة كما تنوي بالجماع حصول النسل **(فإنه)** أي السواك **(مطهرة للفم)** بفتح الميم وكسرها أي آلة تنظفه من الرائحة الكريهة **(ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان**(٦٥) **وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك)** لخبر رواه الحميدي **«ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بلا**

---

(٦٤) السواك: هو لغة الدلك وآلته، وشرعًا: استعمال عود ونحوه في الأسنان وما حولها لإذهاب التغيير ونحوه بنية، وأركانه ثلاثة: مستاك ومستاك به ومستاك فيه، وهو من الشرائع القديمة كما يدل له قوله ﷺ: **«إن هذا سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»** أي من محمد وإبراهيم لأنه أول من استاك، ونص بعضهم على أنه من خصائص هذه الأمة بالنسبة للأمم السابقة لا للأنبياء؛ لأنه كان للأنبياء السابقين من عهد إبراهيم دون أممهم . وهو من سنن الوضوء الفعلية الخارجة عنه بناء على ما قاله الرملي من أنه قبل غسل الكفين يحتاج إلى نية لأنه سابق على نية الوضوء فلم تشمله أو الداخلة فيه بناء على ما قاله ابن حجر من أنه بعد غسل الكفين فلا يحتاج إلى نية لشمول نية الوضوء له، والمعتمد الأول، وعليه فالسواك أول سنن الوضوء الفعلية الخارجة عنه، وأما غسل الكفين فأول سنن الوضوء الفعلية الداخلة فيه، وأما التسمية فأول سننه القولية الداخلة فيه، وأما الذكر المشهور بعده فأول سننه القولية الخارجة عنه فلا تنافي (اهـ حاشية فتح القريب للباجوري ١/ ٤٣، ٤٤).

(٦٥) أخرج البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب: سواك الرطب واليابس للصائم تعليقًا عن عائشة عن النبي ﷺ: **«السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»** دون قوله: **«مسخطة للشيطان»**، وكذا أخرجه النسائي في سننه كتاب الطهارة باب: الترغيب=

. . .وروي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أَشُقَّ على أمتي لأمرتهم بالسِّواكِ في كُلِّ صلاةٍ» وعنه ﷺ: «أُمِرْتُ بالسِّواكِ حتى خَشِيتُ أن يُكْتَبَ عليَّ».

ثم اجلس للوضوء........................

سواك»[٦٦] وفي رواية: «ركعة بسواك تعدل سبعين ركعة»[٦٧] ولا يدل هذا الحديث على زيادة فضل السواك على فضل الجماعة التي هي بسبع وعشرين درجة لأنه لم يتحد الجزاء فيهما لأن درجة واحدة من الجماعة قد تعدل كثيرًا من السبعين ركعة بسواك. وقال الونائي: وقد يجب الاستياك لامرأة إذا أمرها زوجها وللمملوك إذا أمره سيده ولمن أكل ثومًا أو بصلًا يوم الجمعة وقد توقفت إزالة الرائحة على السواك لأجل صلاة الجمعة اهـ.

(ثم) عند الفراغ من السواك (اجلس للوضوء) وهذا موافق لما في كلام الرملي والماوردي من أن محله قبل غسل الكفين خلافًا للإمام وابن الصلاح وابن

=في السواك (٥)، والإمام أحمد في مسنده (٦/٤٧) (٢٤٢٤٩) ولفظ: «ومسخطة للشيطان» جاء في سنن الدارقطني (١/٥٨) بكتاب الطهارة باب: السواك (١) عن ابن عباس قال: «في السواك عشر خصالٍ: مرضاة للرب تعالى ومسخطة للشيطان ومفرحة للملائكة، جيد للثة ويذهب بالحَفْر ويجلو البصر ويطيب الفم ويقلل البلغم وهو من السنة ويزيد في الحسنات».

(٦٦) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٥٢٤): «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك» رواه ابن النجار عن أبي هريرة ﷺ، وزاد الديلمي: «دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية، وصدقة في السر أفضل من سبعين صدقة في العلانية»، ورواه الدارقطني في الأفراد عن أم الدرداء بلفظ: «ركعتان بسواك خير من سبعين ركعة بغير سواك»، ورجاله موثقون، ورواه الحميدي وأبو نعيم عن جابر، وإسناده حسن. انتهى.

(٦٧) لم أعثر على هذه الرواية.

. . .مُستقبِلَ القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاشُ وقل: «بسم الله الرحمن الرحيم رَبِّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون» ثم اغسل يديك ثلاثًا قبل أن تدخلهما الإناءَ وقل: «اللهم إني أسألك اليُمْنَ والبركةَ وأعوذ بك من الشُّؤْمِ والهَلَكَةِ» ثم انوِ رفعَ الحدث أو استباحةَ الصلاة . .

النقيب[٦٨] وابن حجر والشربيني من أن محله بين غسل الكفين والمضمضة (مستقبل القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاش) بفتح الراء أي المتناثر من الماء (وقل بسم الله الرحمن الرحيم) فإن قلت: «بسم الله» كفى فإن تركت البسملة في أول الوضوء فاتتِ بها في أثنائه فإن فرغت فلا تَأْتِ بها لفوت محلها ثم قل: «الحمد لله الذي جعل الماء طهورًا» كذا في الأذكار (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أي وساوسهم (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي أن تصيبني الشياطين بسوء كذا في الصحاح (ثم اغسل يديك) أي كفيك إلى كوعيك (ثلاثًا قبل أن تدخلهما الإناء وقل: اللهم إني أسألك اليمن) بضم الياء أي القوة على الطاعة (والبركة) أي زيادة الخير (وأعوذ بك من الشؤم) أي الشر (والهلكة) بفتح أحرفه أو قل مثل ما نقل عن الرملي، وهو: «اللهم احفظ يدي من معاصيك كلها» (ثم انْوِ رفع الحدث أو استباحة الصلاة) واستدم النية إلى غسل الوجه ولا يقدح في نية رفع الحدث عند أول غسل الكفين أن السنن المقدمة لا ترفع الحدث لأن السنن في كل عبادة تندرج في نيتها على سبيل التبعية؛ فمعنى نية رفع الحدث

---

(٦٨) ابن النقيب: أحمد بن لؤلؤ، العلامة شهاب الدين أبو العباس المصري ولد سنة ٧٠٢هـ وسمع من طائفة واشتغل بالعلم وله عشرون سنة، وأخذ الفقه عن الشيخ تقي الدين السبكي والقطب السنباطي وغيرهما من مشايخ مصر، وأخذ النحو عن أبي حيان وابن الملقن، وانتفع به الناس وتخرج به فضلاء، توفي سنة ٧٦٩هـ من تصانيفه: مختصر الكفاية، ونكت المنهاج، وهي كثيرة الفائدة (اهـ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٨٠).

. . . ولا ينبغي أن تَعْزُبَ نِيَّتُكَ قبل غسل الوجه فلا يصح وُضوؤك ثم خُذْ غَرْفَةً لِفِيكَ وتمضمض بها ثلاثًا وبالِغْ في رد الماء إلى الغَلْصَمَةِ إلا أن تكون صائمًا فترفَّق وقل: «اللهم أَعِنِّي على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك وثَبِّتْنِي بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثًا واسْتَنْثِرْ ما في الأنف من رطوبة وقل في الاستنشاق: «اللهم أَوْجِدْ لي رائحة الجنة وأنت عني راض»، وفي الاستنثار: «اللهم إني أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار» ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدأ تسطيح الجبهة إلى منتهى ما يُقْبل من الذَّقَن في . . . .

قصد رفعه بمجموع أعمال الوضوء وهو رافع بلا شك كذا في حاشية الإقناع (ولا ينبغي) أي لا يجوز (أن تعزب) بضم الزاي وكسرها (نيتك) أي أن تغيب عنك ذكرًا (قبل غسل) جزء من (الوجه فلا يصح وضوؤك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثًا وبالغ في رد الماء إلى الغلصمة) أي رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلق، وأدر الماء في فيك ثم مُجّه (إلا أن تكون صائمًا) أي أو ممسكًا لترك النية (فترفق) بضم الفاء لخوف الإفطار (وقل: اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك) أو مثل ما ذكر في الأذكار وهو: «اللهم اسقني من حوض نبيك ﷺ كأسًا لا أظمأ بعده أبدًا» أو قل اللهم: «أعني على ذكرك وشكرك» (ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثًا) وبالغ في تصعيد الماء بالنفس إلى الخيشوم ما لم تكن صائمًا (واستنثر ما في الأنف من رطوبة) وأذى بخنصر يدك اليسرى (وقل في الاستنشاق اللهم أوجد لي) وفي بعض النسخ: أرحني (رائحة الجنة وأنت عني راض) وفي الأذكار بدل ذلك «اللهم لا تحرمني رائحة نعيمك وجناتك» (وفي الاستنثار:- اللهم إني أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار) لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة (ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدأ تسطيح الجبهة) أي من أعلى بسطها (إلى منتهى ما يقبل من الذقن في

. . . الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض، وأوْصِل الماءَ إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو ما بين رأس الأذن إلى زاوية الجبين أعني ما يقع منه في جبهة الوجه، وأوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة: الحاجبين والشاربين والأهداب والعِذارين، وهما ما يوازيان الأذنين من مبتدأ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة وقل عند غسل الوجه: . . . .

الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض وأوصل الماء إلى موضع التحذيف) فهو من الرأس لاتصال شعره بشعر الرأس وبعضه من الوجه (وهو ما يعتاد النساء) والأكابر وهو ما له وجاهة (تنحية الشعر) أي إزالته (عنه) ليتسع الوجه (وهو ما بين رأس الأذن) أي أصلها الذي يعلوه بياض مستور بالمرتفع منها فهو فوق الوتد قريب ليس بينه وبينه فاصل إلا الجزء المنخفض؛ فالجزء الذي فوق هذا المنخفض هو المسمى برأس الأذن (إلى زاوية الجبين) أي إلى ركن فوق الصدغ (أعني) بموضع التحذيف (ما) أي القدر الذي (يقع منه في جبهة الوجه) أي جانبها بأن يوضع طرف خيط على رأس الأذن والطرف الثاني على أعلى الجبهة ويجعل هذا الخيط مستقيمًا فما نزل عنه إلى جانب الوجه الملاصق للنزعة فهو موضع التحذيف (وأوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبين والشاربين) الشاملين للسِّبالين (والأهداب والعذارين وهما ما يوازيان) أي يحاذيان (الأذنين من مبدأ اللحية) وهو ما بين الصدغ والعارض مما ينبت أولًا للأمرد غالبًا (ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة) بأن ترى البشرة من تحتها في مجلس التخاطب (دون الكثيفة) والحاصل أن لحية الذكر وعارضيه وما خرج من حد الوجه من الشعور ولو من امرأة وخنثى إن كثف وجب غسل ظاهره فقط وما عدا ذلك يجب غسله مطلقًا أي ظاهرًا وباطنًا ولو كثيفًا؛ هذا هو المعتمد في شعور الوجه فاعتمده كذا نقله البُجَيْرِمي عن الشَّبْرَامُلُّسِي(٦٩) (وقل عند غسل الوجه:

---

(٦٩) الشبراملسي (٩٩٧- ١٠٨٧هـ) علي بن علي الشبراملسي أبو الضياء، نور الدين،=

. . . «اللهم بيِّض وجهي بنورك يوم تَبْيَضُّ وجوهُ أوليائك ولا تُسَوِّدْ وجهي بظلماتك يوم تَسْوَدُّ وجوهُ أعدائك» ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العَضُدَين فإن الحِلْيَة في الجنة تبلغ مواضع الوضوء. . . . .

اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك) والأخصر من ذلك «اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» (ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة) قبل غسل الوجه كما قاله عطية تبعًا للعَنَاني إلا إذا كنت محرمًا فاتركه لخوف انتتاف الشعر كما اعتمده الرملي وتبعه ابن القاسم والزِّيَادِي(٧٠) والشَّبْرَامُلْسِي وهو بأصابع اليد اليمنى من أسفلها على الأفضل ومثلها كل شعر يكفي غسل ظاهره (ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العضدين فإن الحلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء)(٧١) وحرك الخاتم وخلل قبل غسلهما أصابعهما والأولى في تخليل اليد اليمنى أن يجعل بطن اليسرى على ظهر اليمنى وفي تخليل اليد اليسرى بالعكس خروجًا من فعل العبادة على صورة العادة في التشبيك كذا في البجيرمي نقلًا عن

=فقيه شافعي مصري، كف بصره في طفولته وهو من أهل شبراملس بالغربية بمصر، تعلم وعلم بالأزهر، وصنف كتبًا منها: حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني خ، أربع مجلدات، وحاشية على نهاية المحتاج (ط) في فقه الشافعية (اهـ الأعلام ٤/ ٣١٤).

(٧٠) الزيادي (٠٠٠- ١٠٢٤هـ) علي بن يحيى الزيادي المصري، نور الدين: فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية بمصر. نسبته إلى محلة زياد بالبحيرة. كان مقامه ووفاته في القاهرة.

من كتبه: حاشية على شرح المنهج لزكريا الأنصاري (خ)، شرح المحرر للرافعي، وكلاهما في فروع الفقه الشافعي (اهـ الأعلام٥/ ٣٢، معجم المؤلفين٧/ ٢٦٠) .

(٧١) أخرج مسلم في كتاب الطهارة باب: تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء برقم (٢٥٠) عن أبي هريرة قال: سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

. . . وقل عند غسل اليمنى: «اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابًا يسيرًا»، وعند غسل الشمال: «اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري».

ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تَبُلَّ يديك وتُلْصِق رءوس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس وتُمِرَّهما إلى القفا ثم تردهما إلى المقدمة فهذه مرة؛ تفعل ذلك ثلاث مرات وكذلك في سائر الأعضاء

الشَّوْبَرِي[٧٢] وابدأ باليمنى (وقل عند غسل اليمنى: اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابًا يسيرًا) وهو المسمى بحساب العرض (وعند غسل الشمال: اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يديك وتلصق رءوس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس) وتضع إبهاميك على صُدْغَيْك (وتمرهما) أي اليدين (إلى القفا ثم) إن انقلب شعرك (تردهما إلى المقدمة) ليصل الماء لجميع الرأس (فهذه) أي الإمرار والرد (مرة) لعدم تمام المسحة بالإمرار إلى القفا من غير رد إلى المبدأ فإن لم ينقلب شعرك لضَفْره أو لقِصَره أو عدمه فلا ترد لعدم الفائدة لاستعمال الماء فيما لابد منه وهو مسح البعض الواجب فلا يستحب مرة ثانية (تفعل ذلك) أي الاستيعاب (ثلاث مرات وكذلك) أي فعل التثليث (في سائر الأعضاء[٧٣]

---

(٧٢) الشوبري (٩٧٧. ١٠٦٩هـ) محمد بن أحمد الشوبري الشافعي المصري، شمس الدين، فقيه، من أهل مصر، ينعت بشافعي الزمان.
ولد في شوبر (من الغربية بمصر) وجاور بالأزهر، وتوفي بالقاهرة.
له كتب، منها: حاشية على المواهب اللدنية (خ) في الخصائص النبوية، وحاشية على شرح التحرير (خ) في فقه الشافعية، وتعليقات ظريفة وتحقيقات لطيفة على شرح الأربعين النووية (خ) (اهـ الأعلام٦/ ١١، هدية العارفين٢/ ٢٨٧).

(٧٣) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء باب: الوضوء ثلاثًا ثلاثًا (١٦٠)=

وقل: «اللهم غشِّني برحمتك وأنْزِلْ علي من بركاتك وأَظِلَّني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم حرم شعري وبَشَرِي على النار» ثم امسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وأدخل مُسَبِّحَتَيك في صِمَاخَي أذنيك وامسح ظاهر أذنيك ببطن إبهاميك وقل: «اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أَسْمِعْني مناديَ الجنة في الجنة مع الأبرار» ثم امسح رقبتك وقل: «اللهم فُكَّ رقبتي من النار، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال»

وقل اللهم غشني) أي غطني (برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك) وفي الأذكار بدل ذلك (اللهم حرم شعري وبشري على النار) وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك(ثم امسح أذنيك ظاهرهما) وهو ما يلي الرأس (وباطنهما) وهو ما يلي الوجه (بماء جديد) أي غير ماء بلل الرأس (وأدخل مسبحتيك) أي رأسهما (في صماخي أذنيك) وأَدِرْهُمَا في المعاطف (وامسح ظاهر أذنيك ببطن إبهاميك) والوجه أشرف الأعضاء لكن فيه منافذ في بعضها مُرٌّ كوسخ الأذنين والبعض ملح كالدمع والبعض حامض كالذي في الأنف والبعض عذب كالريق، وجملة منافذه ست: العينان والأذنان والفم والأنف كذا قال الشيخ عطية (وقل: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة) وهو سيدنا بلال بن رباح الحبشي (في الجنة مع الأبرار) أي المطيعين لله (ثم امسح رقبتك وقل: اللهم فك رقبتي) أي ذاتي (من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال) قال النووي: ومسح الرقبة

=عن عمران مولى عثمان أنه رأى عثمان بن عفان دعا بإناءٍ فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثًا ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه».

ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين وخَلِّلْ بخنصر اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئًا بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى وتُدْخِل الأصابع من أسفل، وقل: «اللهم ثبِّت قدمي على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين» وكذلك تقول عند غسل اليسرى: «اللهم إني أعوذ بك أن تَزِلَّ قدمي على الصراط في النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين» وارفع الماء إلى أنصاف الساقين وَرَاعِ التكرارَ ثلاثًا في جميع أفعالك. . . . .

بدعة لا يُسن[٧٤] كما نقل عن شرح الروض (ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين) إن وُجدا ومع قدرهما إن فُقدا (وخلل) قبل غسلهما أصابعهما بأي كيفية كان والأفضل أن تخلل (بخنصر) اليد (اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئًا بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى، وتدخل الأصابع من أسفل) أي أسفل الرجلين فيكون التخليل بخنصر من خنصر إلى خنصر أي بخنصر اليد اليسرى، ويبتدئ بخنصر الرجل اليمنى ويختم بخنصر الرجل اليسرى. وادلك أعضاءك المغسولة بعد إفاضة الماء عليها وبالغ في العقب خصوصًا في الشتاء (وقل: اللهم ثبت قدمي) بكسر الميم وهو مفرد مضاف فيعم الاثنين (على الصراط المستقيم) يوم تزل الأقدام في النار (وقل عند غسل اليسرى: اللهم إني أعوذ بك أن تزل قدمي) بالإفراد، ولو أريد المثنى لقيل: قدماي بألف بعد الميم (على الصراط في النار يوم تزل أقدام المنافقين) والأخصر من ذلك ما في الأذكار للنووي وهو أن تقول عند غسل الرجلين: «اللهم ثبت قدمي على الصراط» (وارفع الماء إلى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثًا في جميع أفعالك) من الغسل والمسح والتخليل والدلك والسواك وسائر الأذكار كالبسملة والتلفظ بالنية كما

---

(٧٤) قال الشوكاني في نيل الأوطار (١/ ١٦٣): وفي الباب حديث: «مسح الرقبة أمان من الغُلّ» قال ابن الصلاح: هذا الخبر غير معروف عن النبي ﷺ وهو من قول=

. . .فإذا فرغت فارفع بصرك إلى السماء. . . . .

نقله عطية عن الشبراملسي والتشهد آخر الوضوء، وأما دعاء الأعضاء فقال النووي: لم يجئ فيه شيء عن النبي ﷺ وإنما هي دعوات جاءت عن السلف الصالحين وزادوا ونقصوا، فيها وقال ابن حجر: ورد ذلك من طرق لا تخلو من كذب لكن المَحَلِّي والرملي الكبير والصغير اعتمدوا استحبابه لورود ذلك في تاريخ ابن حبان وغيره وإن كان ضعيفًا؛ لأن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال فشرط العمل بالحديث الضعيف عدم شدة ضعفه وأن يدخل تحت أصل عام وأن يكون في العبادات(٧٥) (فإذا فرغت) أي من التطهر (فارفع بصرك إلى السماء) ولو كنت أعمى، وارفع يديك واستقبل القبلة بصدرك لأن السماء

=بعض السلف، وقال النووي في شرح المهذب: هذا حديث موضوع ليس من كلام النبي ﷺ، وقال في موضع آخر: لم يصح عن النبي ﷺ فيه شيء قال: وليس هو سنة بل بدعة، وقال ابن الهيثم في الهذي : لم يصح عنه في مسح العنق حديث ألبتة. وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٧٢): وقال الشربيني : وأما أثر ابن عمر: «من توضأ ومسح عنقه وقي الغل يوم القيامة» فغير معروف، وقال القاري: لكن روى أبو عبيد عن موسى بن طلحة أنه قال: «من مسح قفاه مع رأسه وقي من الغل» وهو موقوف لكنه في حكم المرفوع؛ إذ لا يقال بالرأي، ويقويه ما رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر مرفوعًا بسند ضعيف بلفظ: «من توضأ ومسح يديه على عنقه أمن من الغل يوم القيامة»، ولذا قال أئمتنا: مسح الرقبة مستحب أو سنة انتهى.

وأقول : أما مذهب الشافعية فلا يستحب على الراجح كما صوبه النووي ونقله عن الأكثرين خلافًا للرافعي تبعًا للغزالي وآخرين فإنهم قالوا بسنية ذلك أهـ.

(٧٥) يقول د. محمود سعيد ممدوح: والضعيف يمكن أن يقسم من حيث الاحتجاج به في الأحكام إلى ثلاث مراتب تبعًا لعبارات الجرح وقوة المخالفة:

الأولى: الضعيف أو المضعّف أو الليِّن.

الثانية: متوسط الضعف الذي فيه سيئ الحفظ أو المضطرب وما في معناهما كمنكر الحديث.

الثالثة: التالف أو الواهي الذي فيه متهم بالكذب، والموضوع في معناه، ويفارقه في أمور ويلاحظ هنا الآتي: =

. . . .

قبلة الدعاء ولأن حوائج العباد في خزانة تحت العرش فالداعي يمد يديه لحاجته،

=١- تقرر عند العلماء أن الصحيح والحسن بنوعيهما يحتج بهما في الأحكام، وعليه فالمقبول أو الصالح يشملهما.
٢- الضعيف الذي في المرتبة الأولى يحتج به كثير من الأئمة في الأحكام تصريحًا، ومن منعه فقوله نظري فقط، ويدخل في باب المقبول، ويقال عنه: صالح - يعني للاحتجاج - فهما أعم من الصحيح والحسن.
٣- أما في الترغيب والترهيب والمناقب وفضائل الأعمال فالاحتجاج بأحاديث المرتبة الثانية متجه والعمل عليه؛ فالمقبول أو الصالح هنا أعم منه في النوعين السابقين.
فالضعيف الذي يقرر العلماء العمل به في الأحكام هو الضعيف الذي في المرتبة الأولى، وإن كان بعضهم ينزل للمرتبة الثانية كما يظهر لمن له أدنى اطلاع على كتب السنن وأحاديث الأحكام.
ويقول: وقد نقل النووي الإجماع في الجزء الذي جمعه في إباحة القيام لأهل الفضل فقال: أجمع أهل الحديث وغيرهم على العمل في الفضائل ونحوها مما ليس فيه حكم ولا شيء من العقائد وصفات الله تعالى بالحديث الضعيف. ونقل الاتفاق في شرح الأربعين (ص٣).
ويقول: وكلمات الأئمة الحفاظ الثقات تنطق وتصرح بأن الضعيف بأنواعه فيما سوى الموضوع يجوز روايته والعمل به في غير العقائد والأحكام.
بل قال جماعات من الأئمة: يكون الشيء واجبًا أو مستحبًا بالحديث الضعيف، وكم من حديث نص الترمذي على ضعفه في جامعه وعمل به الأئمة. وابن تيمية قال في الاختيارات العلمية (ص١٠٠): قال الشيخ أبو محمد المقدسي: لا بأس بها (أي صلاة التسبيح) فإن الفضائل لا يشترط لها صحة الخبر، وقال علامة الحنابلة أبو محمد بن قدامة في المغني (١/ ١٠٤٤): النوافل والفضائل لا يشترط صحة الحديث فيها.
وعن شروط العمل بالضعيف في غير العقائد يقول:
قال الحافظ السخاوي في القول البديع (ص ١٩٥): سمعت شيخنا ابن حجر مرارًا يقول: شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة:
الأول: متفق عليه: وهو أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين=

. . . وقل: «أشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت عَمِلْتُ سوءًا وظلمتُ نفسي، أستغفرك. . . . .

. . . ولأن الكعبة أشرف الجهات (وقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) كما رواه مسلم والترمذي[٧٦] (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت عملت سوءًا) أي ذنبًا (وظلمت نفسي) أي بارتكاب المعاصي (أستغفرك) أي أطلب منك المغفرة وهي ستر الذنب من غير

=والمتهمين ومن فحش غلطه.

والثاني: أن يكون مندرجًا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلًا.

والثالث: أن لا يعتقد عند العمل ثبوته لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله، والأخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد، والأول نقل العلائي الاتفاق عليه.

ومعنى «من فحش غلطه» أن حديثه في معنى الموضوع.

والغلط في أمر نسبي يختلف من راوٍ لآخر، ومن مرتبة لأخرى. وقولهم في شرائط العمل بالضعيف: «أن يكون غير شديد الضعف» يقصد به الموضوع وما في معناه.

وأما الشرط الثاني: وهو أن يندرج تحت أصل، ولا يخالف غيره فيوافق الشريعة ولا ينفرد بأصل بمفرده تندرج تحته فروع.

وهذا واضح لأن الضعيف يحمل أمارة ضعيفة فإذا اندرج تحت أصل عام تقوى به وصار صالحًا للاحتجاج بالهيئة المجموعة من الأصل العام ومن الدليل الخاص.

وأما الشرط الثالث: قولهم: «أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته للنبي ﷺ»، والاعتقاد هنا يعني الظن بمعنى إدراك الطرف الراجح، وهذا الشرط مع دقته لا يمنع العمل بالحديث الضعيف؛ فالحديث الضعيف لم يترجح فيه جانب الظن أو الوهم فيتوقف فيه، وقد يزيد أحد الجانبين تبعًا لدرجة ضعف الحديث فلما لم يترجح جانب الظن كان الصواب عدم اعتقاد أي ظن نسبته لرسول الله ﷺ، وكذا لما لم يترجح جانب الوهم كان الصواب أيضًا عدم نفي النسبة فالاحتمال قائم سلبًا وإيجابًا (اهـ بتصرف من كتاب التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف من الجزء الأول ص٧٥، ١٢٩، ١٣١).

(٧٦) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب: الذكر المستحب عقب الوضوء=

. . . وأتوب إليك فاغفر لي وَتُبْ علي، إنك أنت التواب الرحيم، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين،

مصاحبة عقوبة (وأتوب إليك) أي آتي بصورة التائب الخاضع الذليل أو المعنى أسألك أن تتوب علي كما رواه الحاكم(٧٧) إلا قوله: «عملت سوءًا وظلمت نفسي» فليس فيه (فاغفر لي وتب علي) أي أنقذني من المعاصي (إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين) من الذنوب والراجعين عن العيوب (واجعلني من المتطهرين) أي بالإخلاص عن تبعات الذنوب السابقة وعن التلطخ بالسيئات اللاحقة أو من المتطهرين من الأخلاق الذميمة؛ فيكون فيه إشارة إلى أن طهارة الأعضاء الظاهرة لما كانت بيدنا طهرناها وأما طهارة الأعضاء الباطنة فإنما هي بيدك فأنت تطهرها بفضلك، وهاتان الكلمتان رواهما الترمذي (واجعلني من عبادك الصالحين) أي القائمين بما عليهم من حقوق الله وحقوق

=(٢٣٤) عن عقبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فأدركت رسول الله ﷺ قائمًا يحدث الناس فأدركت من قوله: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» قال: فقلت: ما أجود هذه؛ فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود؛ فنظرت فإذا عمر قال: إني قد رأيتك جئت آنفًا قال: ما منكم من أحد يتوضأ. . .

وأخرجه الترمذي في كتاب الطهارة باب : فيما يقال بعد الوضوء (٥٥) عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء».

(٧٧) لفظ الحديث كما في مستدرك الحاكم (١/ ٧٥٢) (٢٠٧٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورًا يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه، ومن توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة» ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه سفيان الثوري عن أبي هاشم فأوقفه.

واجعلني صبورًا شكورًا، واجعلني أذكرك ذكرًا كثيرًا وأسبحك بُكْرَةً وأصيلاً» فمن قرأ هذه الدعوات في وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه وخُتِمَ على وضوئه بخاتم ورُفِعَ له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويُكْتب له ثوابُ ذلك إلى يوم القيامة.................

عباده (واجعلني) عبدًا (صبورًا شكورًا) أي كثير الصبر وكثير الشكر لك، والصبر هو تعظيم الله تعالى تعظيمًا يمنع عن الجزع فيما أصابه، ويحمل الصبر على الشكر وهو تعظيم المنعم وهو يمنع عن الكفران، ويحمل على الصبر فأحدهما لا ينفك عن الآخر لأن الباعثة عليهما واحدة وهي الاستقامة. (واجعلني أذكرك ذكرًا كثيرًا وأسبحك بكرة وأصيلًا) أي عشيًا وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب كما في المصباح، وقل عقب ذلك: وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد وأصحابه، ويستحب أن يكرر ذلك ثلاثًا (فمن قرأ هذه الدعوات) التي رواها مسلم والترمذي والحاكم (في وضوئه) أي بعده (خرجت) جميع (خطاياه) أي ذنوبه (من جميع أعضائه) وكتب هذا اللفظ في جلد (وختم) أي طبع (على وضوئه) أي ثوابه (بخاتم) بفتح التاء، ويصان صاحبه من تعاطي مبطل ثوابه بأن يرتد والعياذ بالله تعالى وفي ذلك بشرى بأن من قال تلك الدعوات لا يرتد وأنه يموت على الإيمان (ورفع له) أي الوضوء (تحت العرش فلم يزل) أي الوضوء (يسبح الله تعالى) أي ينزهه عما يقول الجاحدون (ويقدسه) أي يطهره عن كل نقص وما خطر بالبال (ويكتب له) أي للمتوضئ (ثواب ذلك) أي التسبيح والتقديس (إلى يوم القيامة) ويتجدد ذلك بتعدد الوضوء لأن الفضل لا امتناع عليه فإذا قال تلك الدعوات ثلاثًا عقب الوضوء كتب ثلاث مرات وما ذلك على الله بممتنع، وقرأ «إنا أنزلناه» ثلاثًا فإن من قرأها مرة واحدة في أثر وضوئه كان من الصديقين ومن قرأها مرتين كتب في ديوان الشهداء ومن قرأها ثلاثًا حشره الله محشر الأنبياء كما في الحديث[78] ويسن بعد قراءة تلك السورة أن تقول: «اللهم

(٧٨) جاء في كنز العمال للمتقي الهندي حديث رقم (٢٦٠٩٠) رواه الديلمي عن أنس، لم يثبت حديث صحيح في قراءة سورة القدر عقب الوضوء، وقال العجلوني في=

. . . واجْتَنِبْ في وضوئك سبعًا: لا تَنْفُضْ يديك فَتَرُشَّ الماءَ. . . . .

اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي ولا تَفْتِنِّي بما زَوَيْتَ عني»(٧٩).

«تنبيه» يندب إدامة الوضوء لما ورد في الحديث القدسي: «يا موسى إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك»(٨٠) ولقوله ﷺ: «دُمْ على الطهارة يُوَسَّعْ عليك الرزقُ»(٨١)، كما أفاد ذلك البجيرمي نقلاً عن سيدي مصطفى البكري(٨٢).

ما يجتنب في الوضوء

(واجتنب في وضوئك سبعًا) من الخصال (لا تنفض يديك فترش الماء) لأن النفض كالتبري من العبادة فهو خلاف الأولى وكذا التنشيف بلا عذر وهو أخذ الماء بخرقة أما إذا كان لعذر فيسن وتقدم حينئذ اليسار على اليمين لأنه يزيل أثر العبادة فينبغي البداءة فيه باليسرى ليبقى أثرها على الأشرف كأن خرجت بعد وضوئك في هبوب ريح ينجس أو آلمك شدة نحو برد، والأولى أن لا يكون بذيلك ولا بطرف ثوبك ونحوهما كما نقله الونائي عن الذخائر، ويسن تنشيف

=كشف الخفاء رقم (٢٥٦٦): لا أصل له.

(٧٩) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٤٧٦) (١٩٤٣) عن معاوية عن النبي ﷺ بلفظ: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في خلقي وبارك لي في كسبي وقنعني بما رزقتني ولا تفتني بما زويت عني» ومعنى زويت: حجبت وقبضت.
وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١/ ١٧٢) (٨٠) عن أبي موسى: أتيت رسول الله ﷺ فتوضأ فسمعته يدعو يقول: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي قال: فقلت: يا نبي الله لقد سمعتك تدعو بكذا وكذا قال: «وهل تركن من شيء؟» بدون قوله: «ولا تفتني بما زويت عني».

(٨٠) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٥) (٤٧) عن يزيد بن بشر قال: إن الله أوحى إلى موسى أن توضأ فإن لم تفعل فأصابتك مصيبة فلا تلومن إلا نفسك.

(٨١) لم أعثر عليه.

(٨٢) مصطفى البكري (١٠٩٩ - ١١٦٢هـ) مصطفى بن كمال الدين بن علي الصديقي الخلوتي طريقة، الحنفي مذهبًا، أبو المواهب، متصوف، من العلماء، كثير=

. . . ولا تلطم وجهك ولا رأسك بالماء لطمًا ولا تتكلم في أثناء الوضوء ولا تزد في الغسل على ثلاث مرات ولا تُكْثر صبَّ الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة فللموسوسين شيطان يضحك بهم يقال له الوَلْهانُ. . . . .

الميت بعد غسله (ولا تلطم وجهك ولا رأسك بالماء لطمًا) بل تأخذ الماء بكفيك وتغسل وجهك بهما معًا وتمسح بهما رأسك (ولا تتكلم في أثناء الوضوء) بلا عذر ولا يكره الكلام له ولو من عارٍ لأنه ﷺ كلم أم هانئ يوم فتح مكة وهو يغتسل كما أفاده ابن حجر (ولا تزد في الغسل) أي والمسح (على ثلاث مرات) ولا تنقص عنها فإن ذلك مكروه إلا لعذر[٨٣] كأن ضاق الوقت بحيث لو اشتغل بالتثليث، لخرج الوقت فحينئذ يحرم التثليث أو قل الماء بحيث لا يكفيك إلا للفرض فتحرم حينئذ الزيادة عليه أو احتجت إلى الفاضل عن الماء لعطش فيحرم عليك التثليث وإدراك الجماعة أفضل من تثليث الوضوء وسائر آدابه التي لم يقل المخالف بوجوبها كمسح جميع الرأس والدلك للأعضاء وإلا قدم على الجماعة (ولا تكثر صب الماء) بحيث يزيد على ما يكفي العضو وإن لم يزد على الثلاث (من غير حاجة) ولو على شط نهر[٨٤] فذلك مكروه إذا كان (بمجرد الوسوسة) وكان الماء مملوكًا له أو مباحًا فإن كان موقوفًا حرم الإسراف (فللموسوسين شيطان يضحك) وفي بعض النسخ: يلعب (بهم) أي يهزأ بهم (يقال له الولهان)

=التصانيف والرحلات والنظم.
ولد في دمشق، وزار حلب وبغداد ومصر والقسطنطينية والحجاز، ومات بمصر.
وفي تاريخ المرادي أسماء كتبه كلها.
منها: السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد (ط) والذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام (ط) وشرح القصيدة المنفرجة (خ) وفوائد الفرائد (ط) منظومة في العقائد، شرحها الدردير، (اهـ الأعلام ٧/ ٢٣٩).

(٨٣) أخرج النسائي في سننه في كتاب الطهارة باب: الاعتداء في الوضوء رقم (١٤٠) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه الوضوء ثلاثًا ثلاثًا ثم قال: «**هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**».

(٨٤) أخرج ابن ماجه في سننه كتاب الطهارة وسننها باب: ما جاء في القصد في=

... ولا تتوضأ بالماء المُشَمَّسِ..................

بسكون اللام وهو الذي يُوَلِّه الناسَ بكثرة استعمال الماء: وذكر بعضهم أن لإبليس تسعة من الولد لكل منهم اسم وعمل فمنهم: خَنْزَب وهو الموسوس في الصلاة، والولهان وهو الموسوس في الطهارة، والثالث: زَلَّنْبُور -بزاي مفتوحة ولام مشددة بعدها نون فموحدة وآخره راء، وهو في كل سوق يزين للبائعين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة وتطفيف الكيل والميزان، والرابع: الأعور، وهو شيطان الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعَجُز المرأة، والخامس: الوَسْنان -بواو مفتوحة وسين مهملة ساكنة ونونين بينهما ألف، وهو شيطان النوم يثقل الرأس والأجفان عن القيام إلى الصلاة ونحوها ويوقظ إلى القبيح من زنا ونحوه، والسادس: تَبْر -بفوقية فموحدة فراء، وهو اسم شيطان المصيبة يزين الصياح ولطم الخدود ونحوه، والسابع: داسِم -بدال وسين مهملتين بينهما ألف، وهو اسم شيطان الطعام يأكل مع الإنسان ويدخل المنزل إن لم يسم عند طعامه ودخوله وينام على الفراش ويلبس الثياب إن لم تكن مطوية وذكر اسم الله عليها، وقيل: إنه يسعى في إثارة الخصام بين الزوجين ليفرق بينهما، والثامن: مطون -بميم مفتوحة فطاء مهملة وآخره نون، ويقال: مِسْوط بسين مهملة مضمومة وآخره طاء مهملة، وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها على ألسنة الناس ثم لا يوجد لها أصل، والتاسع: الأبيض -بموحدة فتحتية فضاد معجمة، موكل بالأنبياء والأولياء أما الأنبياء فسلموا منه وأما الأولياء فهم مجاهدون له فمن سلمه الله سلم ومن أغواه الله غوى كذا أفاده حسين بن سليمان الرشيدي (ولا تتوضأ بالماء المشمس) أي ما أثرت فيه الشمس بحيث قويت على أن تفصل بحدتها زُهُومة من الإناء الذي يقبل المطرقة غير النقدين ولو مغطى لكن كراهة المكشوف أشد لما روي عن عائشة أنها سخنت ماء في الشمس لرسول الله ﷺ فقال: «لا تفعلي يا

=الوضوء وكراهة التعدي (٤٢٥) عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر بسعدٍ وهو يتوضأ فقال: «ما هذا السرف؟» فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهرٍ جارٍ».

. . . ولا من الأواني الصُّفْرية؛ فهذه السبعة مكروهة في الوضوء، وفي الخبر: «إن مَنْ ذَكَرَ اللهَ عند وضوئه طهَّر اللهُ جسدَهُ كُلَّهُ ومن لم يذكرِ اللهَ لم يَطْهُر منه إلا ما أصابه الماءُ».

حُمَيراءُ فإنه يُورِثُ البَرَصَ»[85] وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا لضعف سنده يقويه خبر عمر رضي الله عنه أنه كان يكره الاغتسال بالمشمس[86] وروي أنه قال: «لا تغتسلوا بالماء المشمس فإنه يورث البرص ولا تخلَّلوا بالقَصَبِ فإنه يورث الأَكَلَةَ»[87] وهذا مشتهر بين الصحابة فصار إجماعًا سكوتيًا وقيس بالاغتسال باقي أنواع الاستعمالات في البدن ظاهرًا وباطنًا بأن يُشرب ذلك الماء (ولا) تتوضأ (من الأواني الصفرية) بل من الخزفية أو الجلدية أو الخشبية لما قد روي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما من كراهية إناء الصفر (فهذه السبعة مكروهة في الوضوء) أي مشتملة على خلاف الأولى كما في النفض والتكلم (وفي الخبر) الذي رواه عبدالرزاق عن الحسن الكوفي (إن من ذكر الله عند وضوئه طهَّر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهُر منه إلا ما أصابه الماء)[88] قال علي بن أحمد العزيزي

---

(٨٥) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى في الطهارة باب: ما تكون به الطهارة من الماء (٢٠٤) وقال: ولا يثبت ما روي عن عائشة عن النبي ﷺ من قوله في ذلك: يا حميراء . الحديث، وأخرجه الدارقطني في سننه باب: الماء المسخن (٢) وقال: غريب جدًا، خالد بن إسماعيل متروك.

(٨٦) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى (١/ ١٥٦)كتاب الطهارة باب: ما تكون به الطهارة من الماء (٢٠٣).

(٨٧) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٣٩) كتاب الطهارة باب: الماء المسخن (٤) من كلام عمر دون قوله: «ولا تخللوا. . .»، وروى البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١٢٦) (٦٠٥٧) عن عبد الله بن معقل المزني عن عمر أن رجلًا تخلل بالقصب فنفر فمه فنهى عمر . يعني ابن الخطاب - عن التخلل بالقصب

وأما قوله: «لا تخللوا بالقصب فإنه يورث الأكلة» فقد أخرجه البخاري في الضعفاء عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا قال الذهبي: هذا موضوع.

(٨٨) الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الطهارة باب: التسمية على=

. . . .

في معنى هذا الحديث أي من سمى الله أول الوضوء طهَّر الله جسده الظاهر والباطن فإن لم يذكر اسم الله عنده لم يطهر منه إلا الظاهر دون الباطن.

المواضع التي يسن فيها الوضوء

«تتمة» يسن الوضوء في مواضع نظمها بعضهم من بحر الطويل بقوله:

ويندب للمرء الوضوءُ فخذ لدي ... مواضعَ تأتي وَهْيَ ذاتُ تعددِ

قراءةُ قرآنٍ سماعُ روايةٍ ... ودرسٌ لعلمٍ والدخولُ لمسجدِ

وذكر وسعي مع وقوف بعرفة ... زيارة خير العالمين محمد

وبعضهُمُ عدَّ القبورَ جميعَهَا ... وخطبةَ غيرِ الجمعةِ اضْمُمْ لما بدي

ونومٌ وتأذينٌ وغُسْلُ جنابةٍ ... إقامةٌ ايضًا والعبادةَ فاغْدُدِ

وإن جُنُبًا يختار أكلًا ونومةً ... وشربًا وعَوْدًا للجِماعِ المجددِ

ومن بَعْدِ فَصْدٍ أو حجامةِ حاجمٍ ... وقيءٍ وحملُ المَيْتِ واللمسُ باليدِ

له أو لخنثى أو لِمَسٍّ لفرجِهِ ... ومسٍّ ولمسٍ فيه خُلْفٌ كأمْرَدِ

وأكلُ جَزُورٍ غيبةٌ ونميمةٌ ... وفُحْشٌ وقذفٌ قَوْلُ زُورٍ مجرَّدِ

وقهقهةٌ تأتي المصلِّي وقصُّنا ... لشاربنا والحَلْقُ والغضبُ الردي

بلوغٌ بسنٍّ مسُّ فرجِ بهيمةٍ ... خروجٌ لشيءٍ من فتوح ومرتدٌ

ورفعُ لصوقٍ لم يكن قَطُّ يندمِلُ ... ومسٌّ للانفتاحِ إن كان من معدِ

=الوضوء (١٩٩) عن ابن مسعود، (٢٠٠) عن ابن عمر، (٢٠١) عن أبي هريرة، ورواه الدارقطني في سننه في كتاب الطهارة باب: التسمية على الوضوء (١١) عن ابن مسعود، (١٢) عن أبي هريرة ، (١٣) عن ابن عمر.

. . . .

وحـمـلٌ لـتـفـسـيـرٍ إذا كـان أكـثـرَ
من الـمـصـحـفِ الرسـمـيّ صَـلّ وجـدِّدِ

وشرح هذه الأبيات أن الوضوء الشرعي لا اللغوي الذي هو مجرد غسل اليدين يطلب في مواضع كثيرة:

في قراءة قرآن أي إرادته وفي سماع للقرآن وللحديث وفي رواية الحديث غير الموضوع يقينًا أي تحمله رواية عن الشيخ، وفي تعلم علم شرعي من تفسير وحديث وفقه وتعليمه للطلبة أما آلاته فلا يسن لها الوضوء، وفي دخول المسجد ولو مارًا ولو لجنب، وفي ذكر الله تعالى، وفي سعي بين الصفا والمروة وفي وقوف عرفة وفي زيارة قبر النبي ﷺ وزيارة سائر القبور، وفي خطبة غير الجمعة، وفي نوم ليلاً أو نهارًا ولو قليلاً قاعدًا متمكنًا، وفي أذان وفي غسل جنابة وغيرها من غسل واجب ومندوب، وفي إقامة الصلاة، وفي العبادة ككتابة الفقه وكرمي الجمار وعند إرادة الجنب أكلاً ولو محرمًا كمغصوب أو شربًا كذلك أو نومًا أو وطئًا جائزًا بأن أراد وطء حليلته ثانيًا، وإن كانت الجنابة الأولى من غير وطء أما المحرم كالزنا فلا يسن له الوضوء، وفي فصد وحجامة وقيء أي بعدها وفي حمل ميت أي قبله وبعده، وفي مس جزء ميت وإن لم ينقض الوضوء كالشعر والظفر فيسن بعده الوضوء، وفي لمس الرجل أو المرأة بدن الخنثى وفي مس أحد قبليه ومحل سنية الوضوء بعد ذلك إذا مس كل من الرجل والمرأة غير ما له، وفي مس الأمرد الحسن للخلاف في نقضه الوضوء، وفي أكل لحم إبل وفي غيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره فيسن الوضوء بعدها ولو كنت متوضئًا، ونميمة وهي السعي بين الناس بالإفساد، وفي فحش كسخرية ويمين غموس وشهادة زور، وفي قذف زنا وفي قول كذب لغير مصلحة، وفي قهقهة في الصلاة فإن القهقهة داخل الصلاة تبطل الوضوء عند أبي حنيفة أما القهقهة خارجها فلا تبطل الوضوء عنده[٨٩] كما قرره شيخنا عبدالحميد والشيخ يوسف السنبلاويني،

---

(٨٩) جاء في المبسوط للسرخسي (١٣٨) في الفقه الحنفي: التبسم لا يضر المصلي أما القهقهة في الصلاة لا تنقض الوضوء قياسًا، وهو قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ لأن انتقاض=

. . . .

وفي قص شارب وسبال[٩٠]، وفي حلق الرأس، وفي الغضب ولو لله تعالى لقوله ﷺ: **«إن الغضبَ من الشيطان وإن الشيطان خُلق من النار وإنما تُطفأ النارُ بالماء فإذا غَضِبَ أحدُكم فليتوضأ»**[٩١] وفي البلوغ بالسن فيسن له الوضوء مع استحباب الغسل أيضًا لأن الوضوء يطلب له استقلالاً بدون الغسل لأن حكمة الغسل احتمال نزول المني من حيث لا يشعر ولذا ينوي به رفع الجنابة وهذا لا يظهر في الوضوء، وفي مس فرج البهيمة فيسن الوضوء بعده لأن مس المشقوق منه ينقض الوضوء على القول القديم أما دبر البهيمة فلا ينقض بلا خلاف كما أفاده الدَّمِيري، وفي خروج شيء من المنفتح مطلقًا أي في أي موضع كان، وفي الردّة، وكذا في قطع النية بعد فراغ الوضوء، وفي رفع لصوق الجرح عند توهم الاندمال فرآه لم يندمل، وفي مس المنفتح تحت المعدة مع انفتاح الأصلي، وفي

=الوضوء يكون بالخارج النجس ولم يوجد، ولو كان هذا حدثًا لم يفترق الحال فيه بين الصلاة وغيرها كسائر الأحداث، وقاس بالقهقهة في صلاة الجنازة وسجدة التلاوة، واستحسن علماؤنا رحمهم الله لحديث زيد بن خالد الجهني قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه رضوان الله عليهم إذ أقبل أعمى فوقع في بئر أو ركية هناك فضحك بعض القوم فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته قال: **«من ضحك منكم فليعد الوضوء والصلاة»**.

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **«من ضحك في صلاته حتى قرقر فليعد الوضوء والصلاة»** وتركنا القياس بالسنة، والضحك في غير الصلاة ليس في معنى الضحك في الصلاة؛ لأن حال الصلاة حال المناجاة مع الله تعالى فتعظم الجناية منه بالضحك في حال المناجاة، وصلاة الجنازة ليست بصلاة مطلقة وكذلك سجدة التلاوة، والمخصوص من القياس بالنص لا يلحق به ما ليس في معناه من كل وجه اهـ.

(٩٠) السِّبال: جمع واحده سَبَلَة، ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة (القاموس المحيط فصل السين باب اللام).

(٩١) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه كتاب الأدب باب: ما يقال عند الغضب (٤٧٨٤) وأخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٢٦) كلاهما من حديث عطية السعدي.

. . . .

حمل كتب التفسير إذا كان التفسير أكثر من القرآن وهذا باعتبار رسم مصحف سيدنا عثمان الذي اختص به نفسه المسمى بالإمام وأما التفسير فباعتبار رسمه على قواعد علم الخط هذا ما اعتمده ابن حجر، وفي تجديد الوضوء بعد كل صلاة ولو كان الوضوء المجدد مكملًا بالتيمم سواء كان الوضوء الأول كله بالماء أو مكملًا بالتيمم أيضًا فتطلب إعادة الوضوء، وهذه الأمور بعضها يطلب الوضوء قبله وبعضها بعده كما لا يخفى وفي جميعها يأتي بنية من نيات الوضوء ولا يكفي نية السبب عنها كأن نوى الوضوء لقراءة القرآن وكأن نوى سنة الوضوء للغضب بخلاف الأغسال المسنونة فإنها تصح نية أسبابها، والفرق أن أكثر مقصودها النظافة ومقصود هذا الوضوء العبادة، وإذا توضأ بنية سجود تلاوة أو شكر جاز له أن يصلي بها الفرض، ولو توضأ بنية قراءة القرآن أو اللبث في المسجد لم يجز له أن يصلي به الفرض، والفرق أن الطهارة لا تشترط للقراءة فإنها تباح مع الحدث بخلاف سجود التلاوة فإن من شرط صحته الطهارة فلهذا جاز له أن يصلي به الفريضة.

آداب الغُسْل

فإذا أصابتك جنابةٌ من احتلام أو وِقاع فخذ الإناء إلى المُغْتَسَل واغسل يديك أولاً ثلاثًا وأَزِلْ ما على بدنك من قَذَرٍ، وتوضأ كما سبق في وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات، وأخِّر غسل قدميك كيلا يضيع الماء، فإذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثًا وأنت ناوٍ رفع الحدث من الجنابة ثم على شقك الأيمن ثلاثًا ثم على الأيسر ثلاثًا، ....

(آداب الغسل)

أي الواجب والمسنون (فإذا أصابتك جنابة من احتلام) أي إمناء (أو وقاع) أي جماع (فخذ الإناء) وفي نسخة: فاحمل الإناء (إلى المغتسل) وضعه عن يمينك إن كنت تغترف منه وعن يسارك إن كنت تصب منه وَسَمِّ الله تعالى أولاً (واغسل يديك أولاً ثلاثًا) ثم استنج كما مر (وأزل ما على بدنك) أي جسدك (من قذر) كمني ومخاط، ومن نجاسة إن كانت (وتوضأ كما سبق في وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات وأخر غسل قدميك) وفي نسخة: رجليك.

(كيلا يضيع الماء) فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان مثل إضاعة الماء، والأفضل أن تقدم الوضوء جميعه على الغسل ولك أن تؤخره كله أو بعضه عنه، وتنوي بالوضوء في صورة التأخير الفرضية إن أردت الخروج من الخلاف وإلا نويت السنة بأن تقول: نويت الوضوء لسنة الغسل وكذا في صورة التقديم إن تجردت جنابتك عن الحدث وإلا فانوِ نية معتبرة في الوضوء (فإذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك) والمعتمد أن الأفضل بعد فراغ الوضوء أن تتعهد معاطفك وتخلل رأسك ولو كنت محرمًا لكن برفق إن كان عليه شعر بأن تدخل أصابعك العشرة فيه فتشرب بها أصوله كما قاله ابن حجر ثم تدلكه ثلاثًا كما قاله شيخ الإسلام في التحرير ثم تصب الماء على رأسك (ثلاثًا وأنت) في أول ما تغسل من بدنك (ناوٍ رفع الحدث من الجنابة) أو نحوه (ثم) صب الماء (على شقك الأيمن ثلاثًا ثم على) شقك (الأيسر ثلاثًا) وهذه الكيفية تحصل أصل

وادْلُكْ ما أقبل من بدنك وما أدبر ثلاثًا ثلاثًا، وخَلِّلْ شعر رأسك ولحيتك، وأوصل الماء إلى معاطف البدن ومنابت الشعر ما خَفَّ منه وما كَثُفَ.

السنة كما قاله البجيرمي، والكيفية الأخرى أن يغسل الرأس ثلاثًا ثم شقه الأيمن من مقدمه ثلاثًا ثم من مؤخره ثلاثًا ثم مقدم الأيسر ثلاثًا ثم مؤخره ثلاثًا فلا ينتقل إلى مؤخر ولا إلى أيسر إلا بعد تثليث مقدم وأيمن (وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر) وظاهر كلام المصنف أن المغتسل لا ينتقل إلى الأيسر حتى يثلث الأيمن، وصريح كلامه في الإحياء أن الدلك يكون بعد تمام الشقين (ثلاثًا ثلاثًا).

لكن قال ابن حجر والشربيني: فالأكمل أن يغسل ويدلك شقه الأيمن المقدم ثم المؤخر ثم الأيسر كذلك فهذه مرة ثم ثانية كذلك ثم ثالثة كذلك (وخلل شعر رأسك ولحيتك) سواء كان كثيفًا أو خفيفًا، ولا يجب على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعور (وأوصل الماء إلى) كل معطف من (معاطف البدن) وهو ما فيه انعطاف والتواء كطبقات البطن والمُوقِ[٩٢] واللِّحاظِ[٩٣] والإبط والأذن وداخل السرة وتحت المقبل من الأنف فإن ذلك مما يغفل عنه، ويتأكد التعهد في الأذن خصوصًا في حق الصائم بأن يأخذ كفًّا من ماء ويضع الأذن عليه برفق مميلًا لها ليصل لمعاطفها من غير نزول لصماخها فيضر به (ومنابت الشعر ما خف منه وما كثف) وإنما وجب غسل الكثيف هنا دون الوضوء لقلة المشقة هنا لعدم تكرره في كل صلاة بخلاف الوضوء فإنه يتكرر كل وقت فخفف فيه.

واعلم أن المضمضة والاستنشاق سنتان مستقلتان في الغسل كما أنهما سنتان في الوضوء، ومحلهما قبل الوضوء كما في فتح الجواد، وكره تركهما كترك الوضوء ويسن تداركهما ولو بعد الفراغ من الغسل لأن سنن الغسل لا تفوت

---

(٩٢) الموق: طرف العين الذي يلي الأنف، وهو مخرج الدمع من العين، ولكل عين موقان. (المخصص لابن سيدة ١/ ٩٧).

(٩٣) اللحاظ: مؤخر العين الذي يلي الصدغ، والجمع: لُحُظ (المخصص ١/ ٩٨).

واحذر أن تمسَّ ذَكَرَكَ بعد الوضوء؛ فإن أصابته يَدُكَ فأعد الوضوء، والفريضة من جملة ذلك كله: النية وإزالة النجاسة واستيعاب البدن........................

بالفراغ منه لعدم اشتراط الترتيب في أفعاله، وهما عند مالك سنتان في الغسل والوضوء كما عندنا، وواجبان فيهما عند أحمد، وفرضان في الغسل سنتان في الوضوء عند أبي حنيفة.

(واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء) أي وقبل تمام الغسل كما في الإحياء (فإن أصابته يدك فأعد الوضوء) وهذا موافق لابن حجر، وهذا ظاهر لأجل الخروج من الخلاف في عدم اندراج الأصغر في الأكبر، وقال البجيرمي: ولو أحدث بعد الوضوء وقبل الغسل لا تندب له إعادته على المعتمد عند الرملي لأن هذا الوضوء لا يبطله الحدث وإنما يبطله الجماع، وبه يلغز فيقال: لنا وضوء لا يبطله الحدث وقد نظم السيوطي ذلك من بحر الكامل المجزوّ المرفل فقال:

قـل لـلـفـقـيـهِ ولـلـمـفـيـدْ
ولـكـل ذي بـاعٍ مـديـدْ

مـا قـلـتَ فـي مـتـوضـئ
قـد جُـاء بـالأمـرِ الـسـديـدْ

لا يَـنْـقُـضـون وُضُـوءَهُ
مـهـمـا تـغـوّط أو يـزيـدْ

ووُضـوؤه لـم يَـنْـتَـقِـضْ
إلا بـإيـلاجٍ جـديـدْ

ونظم الجوابَ بعضُهم من ذلك أيضًا فقال:

يـا مُـبـدئ الـلـغـزِ الـسـديـدْ
يـا واحـدَ الـعـصـرِ الـفـريـدْ

هـذا الـوضـوءُ هـو الـذي
لـلـغُـسـلِ سُـنَّ كـمـا تُـفـيـدْ

وهـو الـذي لـم يـنـتـقـضْ
إلا بـإيـلاجٍ جـديـدْ

فرائض الغسل

(والفريضة من جملة ذلك كله) أي المذكور من الأفعال المطلوبة في الغسل سواء كان واجبًا أو مندوبًا شيئان (النية وإزالة النجاسة واستيعاب البدن) حتى

. . .بالغسل، وفرض الوضوء: غسل الوجه واليدين مع المِرْفَقَيْن ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة مرة مع النية، والترتيب، وما عداها سنن مؤكدة فضلها كثير وثوابها جزيل، والمتهاون بها خاسر بل هو بأصل فرائضه مخاطر فإن النوافل جوابر للفرائض.

الشعور والأظفار (بالغسل) وأما إزالة النجاسة التي لا تزول أوصافها بغسلة واحدة فهي شرط لصحة الغسل فيجب قبله، وأما إن زالت بذلك فإزالتها قبل الغسل سنة إذا وصل الماء إلى البشرة بغير تغير وإلا وجبت.

فرائض الوضوء

ثم استطرد المصنف بيانَ أركان الوضوء فقال: (وفرض الوضوء) ستة (غسل الوجه) ولو بفعل غيره بلا إذنه إن كان ذاكرًا للنية. (واليدين مع المرفقين) إن وجدتا ومع قدرهما إن فقدتا، وأما إن وجدتا في غير محلهما المعتاد فيحتمل اعتبار الغالب واعتبار وجودهما (ومسح بعض الرأس) من بشرته وإن خرجت عن حده أو من شعره الذي في حده (وغسل الرجلين إلى الكعبين) كما في المرفقين (مرة مرة) في الأعضاء الأربعة (مع النية) المقرونة بأول مغسول من الوجه (والترتيب) ما بين الأعضاء الأربعة (وما عداها) أي الستة من أفعال الوضوء (سنن مؤكدة فضلها) أي تلك السنن (كثير وثوابها) أي جزاؤها عند الله تعالى (جزيل) أي عظيم (والمتهاون بها) أي المستحقر للسنن (خاسر بل هو) أي المتهاون (بأصل فرائضه مخاطر) أي مشرف على فساده لأن التهاون بالسنن يؤدي إلى التهاون بالفرائض (فإن النوافل جوابر للفرائض) أي فإن مات شخص ولم يفعل الفرائض من الصلوات يقوم كل سبعين من النوافل مقام ركعة من الفرض وكذلك يقوم كل سبعين ريالًا من صدقة التطوع مقام ريال واحد من الزكاة أما في الدنيا فلا يجبر ترك الفرائض بالنوافل بل لابد من فعلها، وأما الوضوء فهو مكفر للصغائر فإن لم يكن عليه شيء من الصغائر حتت من الكبائر ثم الفرائض هنا بالنسبة للوضوء هي اجتناب المعاصي وذلك إن كان المراد بالنوافل سنن الوضوء

. . . .

صار معنى قوله: «فإن النوافل جوابر للفرائض» أن إتيان سنن الوضوء جابر للفرائض التي هي ترك الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى بمعنى أنها مكفرة لتلك الذنوب زيادة على تكفير الوضوء بدون سننه لها، وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة أو الحج المبرور، وكذلك الذنوب المتعلقة بحقوق الآدميين فلابد من التوبة وإلا فالقصاص عليه إن لم يجد فضلاً من الله تعالى(٩٤)، والله أعلم.

---

(٩٤) قال في جوهرة التوحيد:

وباجتناب للكبائر تُغفَرُ صغائرٌ وجا الوضُو يُكَفِّرُ

وجاء في حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد: المسماة: «تحفة المريد»: جاء في السنة أن الوضوء يكفر الذنوب ففي الحديث عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يسبغ أحد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» وفي الحديث أيضًا: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه -يعني بسوء- غفر له ما تقدم من ذنبه» وفي رواية: «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة إلا غفر له ما بينها وبين الصلاة التي تليها» وذكر الصلاة في هذين الحديثين للترغيب في سنة الوضوء ليزيد ثوابه وإلا فالتكفير لا يتوقف على الصلاة كما أخرجه أحمد مرفوعًا «الوضوء يكفر ما قبله ثم تصير الصلاة نافلة» وأشار المصنف بذلك إلى أنه لا ينحصر تكفير الصغائر في اجتناب الكبائر بل الوضوء يكفرها أيضًا وكذلك الصلوات الخمس وكذلك صوم رمضان وكذلك الحج المبرور.

فإن قيل: إذا كفر الوضوء لم يجد الصوم ما يكفره وهكذا أجيب بأن الذنوب كالأمراض والطاعات كالأدوية فكما أن لكل نوع من أنواع الأمراض نوعًا من أنواع الأدوية لا ينفع فيه غيره كذلك الطاعات مع الذنوب، ويدل له حديث «إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا جهاد وإنما يكفرها السعي على العيال» وهذا كله في الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى، وأما المتعلقة بحقوق الآدميين فلابد فيها من المقاصة بأن يؤخذ من حسنات الظالم ويعطى للمظلوم فإذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم لكن قد أخرج البزار عن أنس بن مالك مرفوعًا «من تلا قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى منادٍ من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه: ألا إن فلانًا عتيق الله فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل» وظاهر ذلك تكفير الكبائر بهذا أيضًا، وهذه هي العتاقة الكبرى. =

آداب التيمم

فإن عَجَزْتَ عن استعمال الماء لفقده بعد الطلب، أو لعذر من مرض أو لمانع من الوصول إليه من سبع أو حبس، أو كان الماء الحاضر تحتاج إليه لعطشك أو لعطش رفيقك، . . . .

(آداب التيمم)

وهو رخصة مطلقًا سواء كان الفقد حسيًا أو شرعيًا(٩٥) وقيل: عزيمة، والرخصة إنما هي إسقاط القضاء، وقيل: إن كان الفقد حسيًا فعزيمة وإلا فرخصة بدليل صحة تيمم العاصي بالسفر قبل التوبة إن فقد الماء حسًا وبطلان تيممه قبلها إن فقده شرعًا كأن تيمم لنحو مرض.

متى يحل التيمم؟

(فإن عجزت عن استعمال الماء) لأحد ستة أسباب فيحل لك التيمم وهي إما (لفقده) أي الماء (بعد الطلب) للماء في وقت الصلاة.

(أو لعذر من مرض أو لمانع من الوصول إليه) أي الماء (من سبع أو حبس) أي بغير حق، وهذا داخل في الفقد الحسي كما قاله عطية (أو كان الماء الحاضر) أي الموجود (تحتاج إليه لعطشك أو لعطش رفيقك) غير المرتد وتارك الصلاة

=ومن جملة مكفرات الكبائر: الحج المبرور لحديث: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» ومن جملتها أيضًا: الجهاد فقد ورد أن الغزو في البر يكفرها إلا التبعات، وفي البحر يكفرها حتى التبعات. (أهـ ص٢٨٥ - ٢٨٧).

(٩٥) التيمم: لغة القصد، وشرعًا: إيصال تراب طهور للوجه واليدين بدلاً عن وضوء أو غسل أو غسل عضو بشرائط مخصوصة.

والمراد بفقد الماء الحسي: تعذر الوصول للماء واستعماله حسًا كما إذا حال بينه وبين الماء سبع أو خاف راكب السفينة غرقًا لو استعمل الماء وغلب على ظنه ذلك؛ بخلاف ما لو قدر على الوصول إليه واستعماله لكن منعه الشرع منه فإنه فقد شرعي كمرض يخاف معه من استعمال الماء على منفعة عضو أو يخاف بطء شفاء (حاشية الفتح القريب للباجوري، ج ١، ص٩١-٩٣).

. . .أو كان ملكًا لغيرك ولم يَبِعْ إلا بأكثر من ثمن المِثْل، أو كان بك جراحةٌ أو مرضٌ تخاف منه على نفسك فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة ثم اقصد صعيدًا طيبًا عليه تراب خالص طاهر لين فاضرب عليه بكفيك ضامًّا بين أصابعك، . . . .

والحربي(٩٦) والخنزير ولو كان لحاجة إليه في المستقبل فيجب عليك أن تدخره، ويحرم الوضوء به صونًا للروح أو العضو أو المنفعة من التلف.

(أو كان) الماء (ملكًا لغيرك ولم يبع إلا بأكثر) أي بأزيد (من ثمن المثل) أي اللائق به في ذلك الزمان والمكان، ولو كان الزائد على اللائق مما يتسامح بمثله عادة (أو كان بك جراحة) أو كسر وخفت من استعمال الماء فساد العضو مثلاً، وروى الحاكم أن رجلاً أصابه جرح على عهد رسول الله ﷺ ثم أصابه احتلام فأمروه بالاغتسال فاغتسل فمات فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «قتلوه ألم يكن شفاءُ العِيِّ السؤالَ»(٩٧) والعي بالعين المهملة الجهل (أو مرض تخاف منه على نفسك) الهلاك أو شدة الضَّنَى، وهو على وجه لا يُحتمل عادة أو طول مدة البُرْء وهو مقدار وقت المغرب.

كيفية التيمم

فإذا أردت التيمم (فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة) لأن التيمم طهارة ضرورة، ولا ضرورة قبل الوقت (ثم اقصد صعيدًا) أي وجه الأرض (طيبًا) أي حلالًا (عليه تراب) أي على أي صفة كان (خالص) بأن لم يختلط بنحو جص ورمل ناعم يلصق بالعضو (طاهر) بأن لم يكن متنجسًا ولا مستعملاً (لين) أي بحيث يرتفع منه غبار (فاضرب عليه) أي التراب (بكفيك ضامًّا بين أصابعك) لأن الضربة الأولى مقصودة للوجه فما فضل لليدين منها لا يعتد به، وهذا كما في

---

(٩٦) الحربي: هو أصلاً من ينتمي لدولة في حالة حرب مع الدولة الإسلامية، وهو أيضًا من كان معصومًا بأمان أو عهد فانتهى أمانه أو نقض عهده (اهـ التشريع الجنائي في الإسلام ١/ ٥٣٣).

(٩٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٥) رقم (٦٣٠).

. . . وانْوِ استباحةَ فرض الصلاة وامسح بهما وجهك كله مرةً واحدةً، ولا تتكلفْ إيصالَ الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف، ثم انزع خاتمك

الإحياء خلافًا لما قاله النووي والمحلي وشيخ الإسلام حيث قالوا: ويندب تفريق أصابعه في كل ضربة لأنه أبلغ في إثارة الغبار فلا يحتاج إلى زيادة على الضربتين.

(وانو استباحة فرض الصلاة) أو استباحة نحوه[٩٨] لا رفع الحدث؛ لأن التيمم لا يرفعه، ويجب قرن النية بأول النقل وأول مسح الوجه، ولا يضر عزوبها بينهما (وامسح بهما) أي كفيك (وجهك كله مرة واحدة) فإن تكرير المسح لكل عضو مكروه (ولا تتكلف) أي لا تتجشم على مشقة (إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف) فإنه لا يسن لعسره مع عدم طلب الإزالة في غير لحية المرأة أما تحت الأظفار فيجب إيصال التراب إليه كالوضوء لأن الأظافر مأمور بإزالتها (ثم انزع خاتمك) بفتح التاء؛ فإن نزع الخاتم في الضربة الثانية واجب ليصل التراب إلى محله، ولا يكفي تحريكه لأن التراب لا يدخل تحته لكثافته بخلاف

---

(٩٨) ما يستبيحه المتيمم بتيممه على ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: فرض الصلاة ولو منذورة وفرض الطواف كذلك وخطبة الجمعة لأنها منزَّلة منزلة ركعتين فهي كصلاتها عند الرملي، ويحتاط فيها عند ابن حجر كشيخ الإسلام فلا يصلي بالتيمم لها فرضًا، ولا يجمع معها فرضًا آخر ولو مثلها فلا يخطب ثانيًا بعد أن خطب أولاً بتيمم واحد، ولو كان في المرة الأولى زائدًا على الأربعين خلافًا لابن قاسم، وله جمع الخطبتين على المنبر الواحد بتيمم واحد لأنهما فرض واحد.

المرتبة الثانية: نفل الصلاة ونفل الطواف وصلاة الجنازة لأنها وإن كانت فرض كفاية فالأصح أنها كالنفل.

المرتبة الثالثة: ماعدا ذلك كسجدة التلاوة والشكر وقراءة القرآن من الجنب ونحوه ولو منذورة، ومس المصحف وتمكين الحليل؛ فإذا نوى واحدًا من المرتبة الأولى استباح واحدًا منها، ولو غير ما نواه واستباح معه جميع الثانية والثالثة، وإذا نوى واحدًا من الثانية استباح جميعها وجميع الثالثة دون شيء من الأولى، وإذا نوى شيئًا من الثالثة استباحها كلها وامتنعت عليه الأولى والثانية (اهـ حاشية فتح القريب للباجوري ١/٩٦).

واضرب ضربة ثانية مُفَرِّجًا بين أصابعك وامسح بهما يديك مع مرفقيك فإن لم تستوعبهما فاضرب ضربة أخرى إلى أن تستوعبهما، ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى وامسح ما بين أصابعك بالتخليل وصَلِّ به فرضًا واحدًا وما شئت من النوافل، فإن أردت فرضًا ثانيًا فاستأنف له تيممًا آخرَ.

الماء فإيجاب نزعه إنما هو عند المسح لا عند النقل كذا أفاده أحمد المِيهي[٩٩]، وأما في الأولى فمندوب ليكون مسح جميع الوجه باليد كما أفاده المحلي (واضرب ضربة ثانية مفرجًا) أي مفرقًا كما في نسخة، (بين أصابعك) وإن لم تفرق أصابعك في هذه الضربة وجب عليك التخليل لأنها المقصودة لليدين ولتستغني الأصابع بالتراب الواصل عن المسح بما على الكف (وامسح بهما) أي بكفيك (يديك مع مرفقيك فإن لم تستوعبهما) أي اليدين بتلك الضربة (فاضرب ضربة أخرى) أي ثالثة (إلى أن تستوعبهما ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى وامسح ما بين أصابعك بالتخليل) ويسن أن يأتي بمسح اليدين على كيفيته المشهورة وهي أن يضع بطون أصابع اليسرى سوى الإبهام تحت أطراف أنامل اليمنى بحيث لا تخرج أنامل اليمنى عن مسبحة اليسرى ولا مسبحة اليمنى عن أنامل اليسرى ويُمِرُّها على ظهر كفه اليمنى، فإذا بلغ الكوع ضم أطراف أصابعه إلى حرف الذراع ويُمِرُّها إلى المرفق ثم يدير بطن كفه إلى بطن الذراع فيمرها عليه رافعًا إبهامه فإذا بلغ الكوع أَمَرَّ إبهام اليسرى على ظهر إبهام اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح إحدى الراحتين بالأخرى، وإنما لم يجب لأن فرضهما حصل بضربهما بعد مسح وجهه، وجاز مسح ذراعيه بترابهما لعدم انفصاله مع الحاجة إذ لا يمكن مسح الذراع بكفها فصار كنقل الماء من بعض العضو إلى بعضه لأن اليدين كعضو واحد كما أفاده البجيرمي.

(وصَلِّ به) أي بالتيمم الذي استبحت به الفرض (فرضًا واحدًا وما شئت من النوافل) أي ومن صلاة الجنازة (فإن أردت فرضًا ثانيًا) أي عينيًا ولو منذورًا (فاستأنف له تيممًا آخر) وإن لم تحدث، وهكذا تفرد كل فريضة بتيمم نعم إن

---

(٩٩) أحمد الميهي، الشبيني، النعماني. فقيه، متكلم. (كان حيًا ١٢٦٣هـ)=

. . . .

كانت الصلاة الثانية معادة جاز أن تجمعها مع أصلها بتيمم لأن المعادة تقع نفلًا وإن كنت تنوي فيها الفرض، ويجوز أن تجمع أيضًا الظهر مع الجمعة بتيمم واحد.

=(١٨٤٧م). من تصانيفه: هداية المريد على الجوهر الفريد في التوحيد، فرغ من تأليفها في ٧ شعبان ١٢٦٣هـ، حاشية على شرح الستين مسألة للرملي في فروع الفقه الشافعي. (اهـ معجم المؤلفين ٢/ ١٩١).

آداب الخروج إلى المسجد

فإذا فرغت من طهارتك فَصَلِّ في بيتك ركعتي الصبح إن كان الفجر قد طَلَعَ، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ.

ثم توجه إلى المسجد.........................

(آداب الخروج إلى المسجد)

أي للصلاة أو لنحو طلب علم (فإذا فرغت من طهارتك) أي من الحدثين (فصل في بيتك ركعتي الصبح إن كان الفجر قد طلع) واقرأ فيهما سورة الكافرون والإخلاص أو اقرأ «ألم نشرح لك» و«ألم تر كيف» فمن قرأ في ركعتي الفجر «ألم نشرح لك» و«ألم تر كيف» قصرت عنه يد كل عدو ولم يجعل لهم عليه سبيل، وهذا صحيح مجرب بلا شك هكذا نقله البجيرمي عن الغزالي.

(كذلك) أي أداء الصلاة -ركعتي الفجر- في البيت (كان يفعل رسول الله ﷺ) يسن أن يفصل بين سنة الفجر والفريضة بالاضطجاع على شقه الأيمن أو الأيسر واليمين أفضل(١٠٠) ولو في المسجد ولو أخّرها على الفريضة كما قاله الونائي، وحكمة ذلك تذكر ضجعة القبر أول النهار ليكون باعثًا له على أعمال الآخرة أو لإظهار العجز في أول النهار، ويقول في حال اضطجاعه: «اللهم رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل وعِزْرائيل ورب محمد ﷺ أَجِرْني من النار» ثلاثًا.

فضل صلاة الجماعة

(ثم توجه إلى المسجد) لقوله ﷺ: **«قال الله تعالى في بعض الكتب إن بيوتي في أرضي المساجدُ وإن زُوّاري فيها عُمّارُها فَطُوبَى(١٠١) لعبد تطهّر في بيته ثم**

---

(١٠٠) أخرج الترمذي في سننه في كتاب الصلاة باب: ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر (٤٢٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه»** قال: وقد روي عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا صلّى ركعتي الفجر في بيته اضطجع على يمينه، وقد رأى بعض أهل العلم أن يفُعل هذا استحبابًا.

(١٠١) طوبى هي شجرة في الجنة، وقال سعيد بن جبير: طوبى اسم الجنة بالحبشية=

...ولا تَدَعِ الصلاةَ في الجماعة لاسيما الصبح؛ فصلاة الجماعة تَفْضُلُ على صلاة الفَذِّ بسبع وعشرين درجةً، فإن كنت تتساهل في مثل هذا الربح فأي فائدة لك في طلب العلم؟! وإنما ثمرة العلم العملُ به فإذا

زارني في بيتي فحقٌّ على المَزُورِ أن يكرمَ زَائِرَهُ»[١٠٢] (ولا تدع الصلاة في الجماعة) لقوله ﷺ: «من صلى أربعين يومًا الصلواتِ في جماعة لا تفوته فيها تكبيرةُ الإحرام كَتَبَ اللهُ له براءتَيْنِ براءةً من النفاق وبراءةً من النار»[١٠٣].

(لاسيما الصبح) فإن الجماعة فيها أفضل من الجماعة في العشاء، والجماعة في هذه أفضل منها في سائر الصلوات، وأما أفضل الصلوات فهي صلاة العصر وفي الحديث: «من شَهِدَ العِشاءَ فكأنما قامَ نصفَ ليلةٍ ومن شَهِدَ الصبحَ فكأنما قامَ ليلةً»[١٠٤] ثم علل المصنف نهي ترك الجماعة بقوله: (فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ) بفاء وذال معجمة أي المنفرد (بسبع وعشرين درجة) أي صلاة كما في الحديث[١٠٥] (فإن كنت تتساهل) أي تتسامح (في مثل هذا الربح) وهو فضيلة الجماعة (فأي فائدة لك في طلب العلم وإنما ثمرة العلم العمل به فإذا

=وقيل: بالهندية، والعرب تقول: طوبى لك ولا يقولون: طوباك، إلا أن الأخفش قال: من العرب من يقولها. (اهـ غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٤٣).

(١٠٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن ورد نحوه في المعجم الكبير للطبراني (٦/ ٢٥٣) عن سلمان عن النبي ﷺ قال: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر». وروى البيهقي نحوه موقوفًا على أصحاب رسول الله ﷺ بإسناد صحيح، انظر شعب الإيمان (٣/ ٨٢) (٢٩٤٣).

(١٠٣) الحديث أخرج نحوه الترمذي في سننه في كتاب الصلاة باب: ما جاء في فضل التكبيرة الأولى (٢٤١).

(١٠٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (٦٥٦) عن عثمان بن عفان.

(١٠٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب: فضل صلاة الجماعة (٦٤٥) ومسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة باب: فضل صلاة الجماعة (٦٥٠)=

سعيت إلى المسجد فَامْشِ على هِينَةٍ وتُؤَدَةٍ وسكينةٍ ولا تَعْجَلْ، وقل في طريقك: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين إليك وبحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رياءً ولا سُمْعَةً بل خرجتُ اتقاءَ سخطِكَ وابتغاءَ مرضاتِكَ؛ فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

سعيت) أي ذهبت على أي وجه كنت، وفي نسخة: مشيت (إلى المسجد فامش على هينة) أي برفق من غير عجلة (وتؤدة) بضم التاء وفتح الهمزة أي تأنٍّ وتثبت (وسكينة) كما في نسخة (ولا تعجل) وهذا تفسير لما قبله (وقل في طريقك: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين إليك وبحق ممشاي) أي سيري (هذا) أي الذي أنا فيه (إليك) أي إلى بيتك أي إلى البيت الذي يعبدونك فيه وهو المسجد (فإني لم أخرج) أي من بيتي إلى ذلك المحل (أشرًا) بفتح الشين أي كفرانًا للنعمة (ولا بطرًا) أي شدة مرح (ولا رياء) أي نفعًا دنيويًا (ولا سمعة) أي ذكرًا جميلًا عند الناس[١٠٦] (بل خرجت) من بيتي (اتقاء سخطك) أي اجتناب غضبك (وابتغاء) أي طلب (مرضاتك فأسألك أن تنقذني) أي تنجيني، وفي «الأذكار» للنووي: أن تعيذني أي تمنعني (من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت)[١٠٧] وفي كتاب ابن حجر بعد ذلك زيادة: يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين.

=عن عبد الله بن عمر، وجاء في حاشية السندي على ابن ماجه: قوله (بحق السائلين عليك) أي: متوسلًا إليك في قضاء الحاجة وإمضاء المسألة بما للسائلين عندك من الفضل الذي يستحقونه عليك بمقتضى فضلك ووعدك وجودك وإحسانك، ولا يلزم منه الوجوب المتنازع فيه عليه تعالى لكن لإيهامه الوجوب بالنظر إلى الأفهام القاصرة يحترز عنه علماؤنا الحنفية ويرون إطلاقه لا يخلو عن كراهة.

(١٠٦) قال العيني في عمدة القاري (باب الرياء والسمعة): الرياء هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، ومعنى السمعة التنويه بالعمل وتشهيره ليراه الناس ويسمعوا به، والفرق بينهما أن الرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة بحاسة السمع.

(١٠٧) أخرج هذا الدعاء ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات باب: المشي إلى=

آداب دخول المسجد

فإذا أردتَ الدخولَ إلى المسجدِ فقدِّم رجلَكَ اليمنى وقل: «اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد وصَحْبِهِ وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبوابَ رحمتِكَ».

(آداب دخول المسجد)

أي وبيان جملة الأذكار (فإذا أردت الدخول إلى المسجد) ووصلت بابه فانزع نعلك اليسرى أولاً وحُطَّ رجلك اليسرى على ظهره ثم انزع نعلك اليمنى (فقدم رجلك اليمنى) ومثل المسجد كل محل شريف وكذا ما جَهِلَ حاله، ولو خرج من مسجد إلى مسجد قدم يمينه، وفي الكعبة يقدم يمينه دخولًا وخروجًا كذا أفاده الونائي.

(وقل) عند إرادة الدخول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، الحمد لله[١٠٨] كما في «الأذكار» ثم قل (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك)[١٠٩] ثم قل: بسم الله ثم ادخل، وإذا خرجت فقدم رجلك اليسرى وقل ذلك إلا أنك تقول: وافتح لي أبواب فضلك، وحكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج أن المساجد محالُّ رحمة الله تعالى لعباده رحمة تناسب العبادة، وأما الخروج منها فهو إلى محل الأسباب التي تحصل بها الأرزاق

=الصلاة برقم (٧٧٨)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢١) (١١١٧٢) كلاهما عن أبي سعيد الخدري.

(١٠٨) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد رقم (٤٦٦) بدون لفظ: «الحمد لله».

(١٠٩) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الصلاة باب: فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (٤٦٥) بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك». =

ومهما رأيتَ في المَسجد من يبيع أو يبتاع فقل: «لا أَرْبَحَ اللهُ تجارتَكَ» وإذا رأيت فيه من يَنْشُدُ ضالَّةً فقل: «لا ردَّ اللهُ عليك ضالَّتَكَ» كذلك أمر رسول الله ﷺ.

والغنى عن الناس فهذا من مظاهر الفضل التي تفضل الله بها على عباده كما أفاده ابن حجر.

البيع وإنشاد الضالة في المسجد

(ومهما رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: لا أربح الله تجارتك وإذا رأيت فيه من ينشد) بضم الشين أي يطلب (ضالة فقل: لا رد الله عليك ضالتك كذلك أمر رسول الله ﷺ) كما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا رأيتم من يبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ فقولوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تجارَتَكَ وإذا رأيتم من ينشُدُ فيه ضالةً فقولوا: لا ردَّها اللهُ عليك»**(١١٠) وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سمع رجلًا ينشُد ضالةً في المسجد فليقل: لا ردَّها اللهُ عليك فإن المساجدَ لم تُبْنَ لهذا»**(١١١).

=وأخرج الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: ما يقول إذا دخل المسجد (٧١٣) نحوه بلفظ : إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: **«اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»**.

(١١٠) أخرجه بلفظه الترمذي في كتاب البيوع باب: النهي عن البيع في المسجد رقم (١٣٢١) ، والدارمي (١/ ٣٧٩) حديث رقم (١٤٠١) وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٧٤) برقم (١٣٠٥) ولكن بلفظ: **«لا أدى الله عليك»** بدل: **«لا ردها الله عليك»**.

(١١١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله رقم (٥٦٨).

ويقول المناوي في فيض القدير (١/ ٣٥٧): قال جمع من أئمتنا: يندب لمن رأى من يبيع أو يشتري أو ينشد ضالة في المسجد أن يقول: لا أربح الله تجارتك ولا وجدت، ثم إن هذا وما بعده من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشترط له شروطه، وإذا دعا عليه بذلك فإن انزجر وكف فذاك وإلا كرره، وعليه حمل ما=

فإذا دخلتَ المسجدَ فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية، . . .

تحية المسجد

(فإذا دخلت المسجد) ولو مشاعًا(١١٢) أو مظنونًا(١١٣) (فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية)(١١٤) لكن إذا دخلت المسجد الحرام وأردت الطواف فالأفضل أن تبدأ بالطواف ثم تنوي بالركعتين سنة الطواف وتحية المسجد معًا؛ فإن نويت

=وقع في حديث ثوبان من أنه يكرره ثلاثًا، (وإذا رأيتم من ينشد)، يتطلب فيه (ضالة) بالتاء يقع على الذكر والأنثى، ويختص أصالة بالحيوان، والمراد هنا شيء ضاع (فقولوا له: لاردها الله عليك أو لا وجدت) - كما في رواية - زجرًا له عن ترك تعظيم المسجد، زاد مسلم: (فإن المساجد لم تبن لهذا) أي وإنما بنيت لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحو ذلك، ولما وضع الشيء في غير محله ناسب الدعاء عليه بعدم الربح والوجدان معاقبة له بنقيض قصده وترهيبًا وتنفيرًا من مثل فعله؛ فيكره ذلك بالمسجد تنزيهًا عند الشافعي إلا لضرورة، وقيده الحنفية بما إذا أكثر ذلك فيه، ونبه بذكر البيع والشراء على كل معاملة واقتضاء حق، ورام زيادة التنبيه على ذلك بذكر النشد؛ فإن صاحب الضالة معلق القلب بها وغيره مأمور بمعاونته فإذا منع فغيره من كل أمر دنيوي أولى للكلام فيمن بلغه النهي فخالف إذا أمكنه التعلم ففرط أما غيره فمعذور فلا يُدعى عليه بل يعلم، والحق جمع منهم الحافظ العراقي بإنشاد الضالة تعريفها، ولذلك قال الشافعية: يعرفها على باب المسجد قال النووي : وفيه كراهة نشد الضالة ورفع الصوت فيه.

قال القاضي: قال مالك وجمع من العلماء: يكره رفع الصوت فيه بالعلم والخصومة وغيرهما. اهـ .

(١١٢) كأن وقف حصة شائعة مسجدًا على الأوجه.

(١١٣) أي يكفي في كونه مسجدًا ظنه ولو بالاجتهاد، وليس من علاماته وجود المنبر والتزويق والمنارة والشراريف ونحوها.

(١١٤) لحديث البخاري في كتاب الجمعة باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى (١١٦٧) عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري قال: قال النبي ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين».

. . .[فإن لم تكن على طهارة أو لم ترد فعلها كَفَتْكَ الباقياتُ الصالحاتُ ثلاثًا وقيل: أربعًا، وقيل: ثلاثًا للمُحْدِث وواحدة للمتوضئ]؛ فإن لم تكن صليت في بيتك ركعتي الفجر فيجزئك أداؤهما عن التحية. . . .

أحدهما اندرج الآخر وإن لم تَنْوِهِ لأن تحية المسجد الحرام لا تفوت بالطواف كما نقله الونائي عن ابن قاسم، وتكره التحية إذا وجد المكتوبة تقام بالكلمات المعروفة، وتكره أيضًا إذا توهم فوتَ الصلاة فرضًا كانت أو نفلاً أما إذا تحقق فوتَها فإن كانت فرضًا حرمت التحية أو نفلاً كرهت، ويندب لمن لم يأت بالتحية لحدث أو غيره كأن لم يُرِدْها وإن كان متطهرًا أو اشتغل بشيء آخر أن يقول أربع مرات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها تعدل ركعتين في الفضل فتندفع الكراهة بذلك، وهذا حيث لم يتيسر له الوضوء في المسجد قبل طول الفصل وإلا فلا يكفي ذلك لتقصيره بترك الوضوء مع تيسره(١١٥).

(فإن لم تكن صليت في بيتك) أي مثلاً (ركعتي الفجر فيجزئك أداؤهما) أي ركعتي الفجر (عن التحية) لأنها تحصل بكل نفل وبمكتوبة، وإن لم تنو مع ذلك؛ لأن المقصود وجود صلاة قبل الجلوس وقد وجدت بذلك. قال البجيرمي: إذا نوى التحية مع فرض مثلاً حصل ثوابها اتفاقًا وإذا نفاها فلا يحصل اتفاقًا، وإن أطلق حصل الثواب على المعتمد.

---

(١١٥) يلاحظ أن الشارح -رحمه الله- تعرض لبيان ما بين المعقوفتين دون أن يضيفه إلى الشرح، وجاء في الأذكار للنووي (ص٣٢): قال بعض أصحابنا: من دخل المسجد فلم يتمكن من صلاة تحية المسجد إما لحدث أو لشغل أو نحوه يستحب أن يقول أربع مرات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ فقد قال به بعض السلف، وهذا لا بأس به. وجاء في مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (١/ ٢٢٤): زاد ابن الرفعة: ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنما استحب الإتيان بهذه الكلمات الأربع لأنها صلاة سائر الخليقة من غير الآدمي من الحيوانات والجمادات في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤] أي بهذه الأربع ، وهي الكلمات الطيبات والباقيات الصالحات، والقرض الحسن والذكر=

...فإذا فـرغـت مـن الركعتين فانْوِ الاعتكافَ وادْعُ بما دعـا به رسولُ الله ﷺ بعد ركعتي الفجر فقل: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بهـا شَمْلي وتَلُمُّ بها شَعَثِي

فضل الاعتكاف في المسجد

(فإذا فرغت من الركعتين) اللتين صليتهما لسنة الفجر أو للتحية (فانو الاعتكاف) وهو اللبث في المسجد بنية الاعتكاف لأنه سنة مؤكدة كل وقت؛ فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اعتكف فُواقَ ناقةٍ فكأنما أعتقَ نَسَمَةً»(١١٦) وفواق -بضم الفاء وآخره قاف- أي مقدار زمن حلب ناقة، والمراد بالنسمة هنا الرقيق.

دعاء الرسول بعد ركعتي الفجر

(وادع بما دعا به رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر) كما رواه ابن عباس لكن روى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دعا بهذا بعد فراغه من صلاته ليلة الجمعة(١١٧) (فقل: اللهم إني أسألك رحمة من عندك) أي من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندي، وفي رواية بسقوط لفظ «من عندك»، (تهدي بها قلبي) أي تدلُّه إليك وتقرِّبه لديك (وتجمع بها شملي) أي ما تشتت من أمري، وفي الشفاء والجامع الصغير بدل ذلك «أمري» أي حالي عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثي) بفتحتين أي تصلح بها ما تفرق من أموري، وفي شرح

=الكثير في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٥] وفي قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفَال: الآية ٤٥] اهـ.

(١١٦) قال في تلخيص الحبير (٢/ ٢١٧): أخرجه العقيلي في الضعفاء من حديث أنس بن عبدالحميد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ: «من رابط» بدل: «اعتكف»، وأنس هذا منكر الحديث، وفي الباب عن ابن عباس أخرجه الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن العباس الأخرم، ولم أر في إسناده ضعفًا إلا أن فيه وجادة، وفي المتن نكارة شديدة. اهـ.

(١١٧) أخرج هذا الدعاء مع اختلاف في بعض الألفاظ ومع تقديم وتأخير الإمام الترمذي في كتاب الدعوات باب: منه (٣٤١٩) والإمام الطبراني في معجمه=

وترد بها أُلْفَتِي وتُصْلِحُ بها ديني وتحفظُ بها غائبي وترفعُ بها شاهدي وتُزكِّي بها عملي وتُبيِّضُ بها وجهي وتُلْهِمُنِي بها رُشْدِي وتقضي لي بها حاجتي وتَعْصِمُنِي بها من كل سوء اللهم إني أسألك إيمانًا خالصًا دائمًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا حتى أعلمَ أنه لن يصيبَني إلا ما كتبْتَهُ علي ورضّني بما قسمْتَهُ لي، اللهم إني أسألك إيمانًا صادقًا ويقينًا ليس بعده كفرٌ، وأسألك رحمةً أنال بها شرفَ كرامتِكَ في الدنيا والآخرة، اللهم

الشفاء أي تجمع بها تفرق خاطري وتضم بها تشتت أمري (وترد) أي تجمع (بها ألفتي) بضم الهمزة وقد تكسر أي مألوفي أي ما كنت آلفه (وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي) أي باطني بكمال الإيمان والأخلاق الحسان (وترفع بها شاهدي) أي ظاهري بالأعمال الصالحة والهيئة السنية أو يراد بالغائب والشاهد الأتباع الغائبون والحاضرون.

(وتزكي بها عملي) أي تزيد ثوابه أو تطهره من الرياء والسمعة والعُجْب (وتبيض بها وجهي) أي يوم القيامة (وتلهمني بها رشدي) أي صلاح حالي في الحال والمآل (وتقضي لي بها حاجتي وتعصمني) أي تحفظني بها من كل سوء بضم السين وقد تفتح وهو الضرر الحسي والمعنوي بأن تصرفني عنه وتصرفه عني (اللهم إني أسألك إيمانًا دائمًا) وفي نسخة: خالصًا، وفي الإحياء عدم ذكر ذلك الوصف (يباشر قلبي) أي يخالطه (ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه) أي الشأن، وفي نسخة: أن (لن يصيبني إلا ما كتبته علي) أي قدرته علي في العلم الأزلي أو في اللوح المحفوظ (ورضني بما قسمته لي) أي وأسألك أن ترزقني رضًا بما قسمته لي من الرزق والمعيشة، وهذا الدعاء لم يذكر في الإحياء ولا في الشفاء ولا في الجامع في هذا الموضع بل ذكر في الإحياء أن هذا دعاء آدم والدعاء الذي قبل هذا وبعده ملتصقان في الإحياء وفي الجامع.

(اللهم إني أسألك) وفي الإحياء والجامع: اللهم أعطني (إيمانًا صادقًا ويقينًا) أي في الله تعالى (ليس بعده كفر، وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا

=الأوسط (٤/ ٩٥) (٣٦٩٦) ولم يرد عندهما تحديد ليلة الجمعة.

إني أسألك الفوزَ عند اللقاءِ والصبرَ عند القضاءِ ومنازلَ الشهداءِ وعيشَ السعداءِ والنصرَ على الأعداءِ ومُرافقةَ الأنبياءِ، اللهم إني أُنْزِلُ بك حاجتي وإن ضَعُفَ رأيي وقَصَّرَ عملي وافتقرتُ إلى رحمتِكَ فأسألك يا قاضيَ الأمورِ ويا شافيَ الصدورِ كما تجيرُ بين البحورِ أن تجيرَني من عذابِ السعيرِ ومن دعوةِ الثُّبُورِ ومن فتنةِ القبورِ، اللهم ما قَصُر عنه رأيي وضَعُفَ عنه عملي..........................

والآخرة) وفي الجامع: شرف الدنيا والآخرة أي علو القدر فيهما (اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء) أي لقاء الله بالموت ثم البعث أو عند لقاء الكفار (والصبر عند القضاء) أي حين حلول ضيق القضاء، وفي الشفاء والجامع بدل الكلمتين: أسألك الفوز في القضاء أي النجاة فيما قضيته أي قدّرته علي من البلاء أو الفوز باللطف في القضاء، وفي الإحياء بدلهما: أسألك الفوز عند القضاء أي حين حلول القضاء بتوفيق الرضا (ومنازل الشهداء) وفي الشفاء والجامع «ونُزُل الشهداء» بضم النون والزاي وقد تسكن الزاي أي منزلتهم في الجنة أو درجتهم في القرب منك (وعيش السعداء) أي الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير تعب، كذا في شرح الشفاء. وقال العزيزي: أي الذين قدرت لهم السعادة الأخروية (والنصر على الأعداء) أي من النفس والشياطين وسائر الكافرين (ومرافقة الأنبياء) وفي الجامع والشفاء عدم هذه الكلمة، وفي نسخة تقديمها على ما قبلها (اللهم إني أُنزل) بضم الهمزة (بك حاجتي) أي أسألك قضاء ما أحتاجه من أمر الدارين (وإن ضعف رأيي) أي عجز عن إدراك ما هو أنجح وأصلح (وقصر) بالتشديد (عملي) أي عبادتي فلا تبلغ مراتب الكمال، وفي الجامع: وإن قصر رأيي وضعف عملي (وافتقرت) في بلوغ ذلك (إلى رحمتك) وفي الجامع إسقاط الواو (فأسألك يا قاضي الأمور) أي يا مقدرها أو يا مبلغها (ويا شافي الصدور) أي القلوب من أمراضها كالحقد والحسد والكبر.

(كما تجير بين البحور) أي تمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر مع الاتصال (أن تجيرني) أي تنقذني مفعول ثانٍ لـ«أسألك» (من عذاب السعير) أي النار (ومن دعوة الثبور) أي من النداء بالهلاك والخسران في المحشر (ومن فتنة القبور) أي عند سؤال الملكين منكر ونكير (اللهم ما قصر عنه رأيي) أي عجز عنه عقلي (وضعف عنه عملي) أي كسبي

. . .ولم تبلغه نيتي وأمنيَّتي من خيرٍ وَعَدْتَهُ أحدًا من عبادِكَ أو خيرٍ أنت مُعطيهِ أحدًا من خلقِكَ؛ فإني أرغبُ إليك فيه وأسألُكَ إياه يا رب العالمين، اللهم اجعلنا هادِين مهتدين غير ضالين ولا مُضلين حربًا لأعدائِكَ سِلْمًا لأوليائك نُحبُّ بحبِّك الناسَ ونُعادي بعداوتِكَ من خالَفَكَ من خَلْقِكَ، اللهم هذا الدعاءُ وعليك الإجابةُ وهذا الجُهْدُ وعليك التُّكلانُ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، اللهم ذا الحَبْلِ الشديدِ والأمرِ الرشيدِ أسألُكَ الأمنَ. . .

(ولم تبلغه) أي تصله (نيتي وأمنيتي) وفي الجامع بدل هذا الأخير «ولم تبلغه مسألتي» (من خير وعدته أحدًا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدًا من خلقك فإني أرغب إليك) أي أتوجه إليك وأطلب منك (فيه) أي في حصوله منك لي (وأسألك إياه) أي زيادة على ذلك؛ فإن رحمتك لا نهاية لسعتها كما أفاده العزيزي (يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين) أي دالِّين الخلق على ما يوصلهم إلى الحق (مهتدين) أي إلى إصابة الصواب قولًا وعملًا (غير ضالين) أي عن الحق (ولا مضلين) أحدًا من الخلق (حربًا) أي مقاتلة (لأعدائك سلمًا) بكسر فسكون أي صلحًا (لأوليائك) وفي الجامع تقديم هذا على ما قبله (نحب بحبك) أي بسبب حبنا لك (الناس) وفي الإحياء بدل هذه الكلمة «من أطاعك من خلقك» وفي الجامع بدلها أيضًا «من أحبك».

(ونعادي بعداوتك) أي بسببها (من خالفك) تنازعه «نعادي» و«عداوتك» (من خلقك) وهذه الكلمة لم تذكر في الجامع (اللهم هذا الدعاء) أي ما أمكننا منه قد أتينا به (وعليك الإجابة) أي فضلًا منك؛ إذ لا يجب على الله تعالى شيء (وهذا الجهد) بضم الجيم أي الطاقة (وعليك التكلان) بضم التاء أي الاعتماد (وإنا لله وإنا إليه راجعون) أي بالموت ثم البعث (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم ذا الحبل الشديد) الحبل بموحدة المراد به هنا القرآن أو الدين ثم الشدة في الدين هي الثبات والاستقامة، وروي الحيل بمثناة تحتية بمعنى القوة كما أفاده العزيزي (والأمر الرشيد) أي الموافق لغاية الصواب (أسألك الأمن) أي من الفزع

. . . يوم الوعيدِ والجنةَ يومَ الخلودِ مع المقرَّبين الشهود الرُّكَّعِ السجودِ المُوفينَ لك بالعهودِ إنك رحيمٌ ودودٌ إنك تفعل ما تُريدُ، سبحان من تعطَّف بالعزِّ وقال به، سبحان من لَبِسَ المجدَ وتكرَّم به، سبحان من لا ينبغي التسبيحُ إلا له، سبحان ذي الفضلِ والنِّعَمِ، سبحان ذي الجُوْدِ والكرمِ، سبحان الذي أحصى كلَّ شيءٍ بعلمه، اللهم اجعل لي نورًا في قلبي ونورًا في قبري ونورًا في سمعي ونورًا في بصري ونورًا في شَعْري ونورًا في بَشَرِي ونورًا في لحمي ونورًا في دمي ونورًا في عظامي ونورًا من بين يَدَيَّ ونورًا من خَلْفي. . . . .

الأكبر والأهوال (يوم الوعيد) أي يوم التهديد وهو يوم القيامة (والجنة يوم الخلود) أي خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار(مع المقربين الشهود) أي الناظرين لربهم (الركع السجود) أي المكثرين للصلاة ذات الركوع والسجود في الدنيا (الموفين لك بالعهود) أي بما عاهدوا الله عليه (إنك رحيم) أي موصوف بكمال الإحسان بدقائق النعم(١١٨) (ودود) أي شديد الحب لمن والاك (وإنك تفعل ما تريد، سبحان من تعطف) أي اتصف (بالعز) بأن يغلب كل شيء ولا يغالبه شيء (وقال) أي غلب (به) كل عزيز (سبحان من لبس المجد) أي الذي اتصف بالعظمة والكبرياء (وتكرم به) أي تفضل وأنعم به على عباده (سبحان من لا ينبغي التسبيح) أي التنزيه المطلق (إلا له) أي لجلاله المقدس (سبحان ذي الفضل) أي الزيادة في العطاء (والنعم) جمع نعمة بمعنى الإنعام (سبحان ذي الجود) أي العطاء، وفي الإحياء «ذي العزة» وفي الجامع «ذي المجد» أي الشرف (والكرم) أي التفضل بالعطاء من غير سؤال (سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه، اللهم اجعل لي نورًا في قلبي ونورًا في قبري ونورًا في سمعي ونورًا في بصري ونورًا في شعري ونورًا في بشري ونورًا في لحمي ونورًا في دمي ونورًا في عظامي ونورًا من بين يدي) أي يسعى أمامي (ونورًا من خلفي)

---

(١١٨) نعم الله على قسمين: جلائل النعم ، ودقائق النعم؛ فجلائل النعم أصولها=

. . . ونورًا عن يميني ونورًا عن شِمَالي ونورًا من فوقي ونورًا من تحتي، اللهم زدني نورًا وأَعْطِني نورًا أَعْظَمَ نورٍ واجعل لي نورًا برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ».

فإذا فرغتَ من الدعاءِ فلا تشتغلْ إلى وقت الفرض إلا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن. . . . .

أي ورائي (ونورًا عن يميني ونورًا عن شمالي ونورًا من فوقي ونورًا من تحتي، اللهم زدني نورًا وأعطني نورًا أعظم نور واجعل لي) بجر ياء المتكلم (نورًا برحمتك يا أرحم الراحمين) هذا من عطف العام على الخاص أي اجعل لي نورًا شاملاً للأنوار السابقة ولغيرها. قال القرطبي: والتحقيق في معنى النور أنه مظهر لما ينسب إليه وهو يختلف بحسبه فنور السمع مظهر للمسموعات ونور البصر كاشف للمبصرات ونور القلب كاشف عن المعلومات ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات. وقال النووي نقلاً عن العلماء: طلب النور في أعضائه وجسمه وتصرفاته وتقلباته وحالاته وجملته في جهاته الست حتى لا يزيغ شيء منها عنه انتهى. وهذا الدعاء موافق لما في الإحياء من غير زيادة ولا نقص. ومخالف لما في الجامع (فإذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل إلى وقت الفرض إلا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن) أو غير ذلك كتحميد واستغفار كما روي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «من قال صبيحةَ يوم الجُمُعَةِ قبلَ صلاةِ الغَدَاةِ: أستغفرُ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه ثلاثَ مراتٍ غَفَرَ اللهُ تعالى ذُنُوبَهُ ولو كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البحرِ»[(١١٩)] وروي عن أم رافع رضي الله تعالى عنها أن رسول

=كالوجود والإيمان والعافية والرزق والعقل والسمع والبصر وغير ذلك، ودقائقها فروعها كالجمال وزيادة الإيمان ووفور العافية وسعة الرزق ودقة العقل وحدة السمع والبصر وغير ذلك؛ فالله تعالى من حيث إنه منعم بجلائل النعم يسمى الرحمن، ومن حيث إنه منعم بدقائقها يسمى الرحيم (اهـ شرح الدردير على الخريدة، ص٥، ٦).

(١١٩) أخرجه بلفظه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٣) وأخرجه الإمام الطبراني بنحوه في المعجم الأوسط (٧/ ٣٥٦) (٧٧١٧). والزَّبَد: ما يعلو الماء وغيره من=

. . .فإذا سمعتَ الأذانَ في أثناء ذلك فاقطعْ ما أنت فيه واشتغل بجواب المؤذن، . . . .

الله ﷺ قال لها: «يا أُمّ رافع إذا قُمْتِ إلى الصلاةِ فسبِّحي اللهَ عشرًا وهَلِّليهِ عشرًا واحْمَدِيهِ عشرًا وكبِّريهِ عشرًا واستغفِريهِ عشرًا فإنكِ إذا سبَّحْتِ قال: هذا لي، وإذا هَلَّلْتِ قال: هذا لي، وإذا حَمِدْتِ قال: هذا لي، وإذا كبَّرتِ قال: هذا لي، وإذا استغْفَرْتِ قال: قد فعلت»(١٢٠) كذا في «الأذكار» للنووي، وفي الحديث: «من قال بين طلوع الفجر وصلاة الصبح سبحان الله العظيم وبحمده سبحان من يَمُنُّ ولا يُمَنُّ عليه، سبحان من يُجير ولا يُجار عليه، سبحان من لا يُبْرأ من الحول والقوة إلا إليه، سبحان مَنِ التسبيحُ مِنَّةٌ منه على مَنِ اعتمد عليه، سبحان مَنْ يسبِّح كُلُّ شيءٍ بحمده، سبحانك لا إله إلا أنت يا من يسبح له الجميعُ تَدارَكْني بعفوك فإني جزوع ثم يستغفر الله مائة مرةٍ فإنه لا يأتي عليه أربعون يومًا إلا وقد أتته الدنيا بحذافيرها»(١٢١) أي بأسرها، وذلك بشرط التقوى كذا نقله البيجرمي عن سيدي أحمد زَرُّوق.

جواب المؤذن

(فإذا سمعت الأذان في أثناء ذلك) أي المذكور من الأوراد (فاقطع ما أنت فيه) واستمع الأذان لأن استماعه في وقته أفضل من استماع القرآن وإن كان القرآن أفضل منه كذا أفاده الونائي نقلاً عن الزيادي.

(واشتغل بجواب المؤذن) ولو كنت طائفًا أو مدرسًا أو جنبًا أو نحو ذلك لا إن كنت مصليًا ولو نفلاً ولا إن كنت قاضي الحاجة أو مجامعًا أو مستمع الخطيب بل إذا سلمت من الصلاة أجبته كما يجيبه من لا يصلي؛ فلو أجبته في الصلاة كره ذلك الجواب ولم تبطل صلاتك إلا إذا قلت: صدقت وبررت فتبطل وكذا إذا خرجت من الخلاء فأجبه.

=الرغوة، والمراد به الكناية عن المبالغة في الكثرة.

(١٢٠) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٠٧) ومعنى هلَّل: رفع صوته بلا إله إلا الله، والتهليل: قول لا إله إلا الله.

(١٢١) لم أعثر عليه.

. . .فإذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر فقل مثل ذلك وكذلك في كل كلمة إلا في الحَيْعَلَتَيْنِ فقل فيهما: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإذا قال: «الصلاةُ خيرٌ من النومِ» فقل: صدقْتَ وبررْتَ وأنا على ذلك من الشاهدين، فإذا سمعت الإقامةَ فقل مثل ما يقول إلا في قوله: «قد قامت الصلاة» فقل: «أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض»، فإذا فرغت من جواب الـمـؤذن. . . . .

(فإذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقل) عقب كل كلمة (مثل ذلك) ولك المقارنة على خلاف فيها (وكذلك) أي أن تقول مثل قول المؤذن (في كل كلمة إلا في الحيعلتين[١٢٢] فقل فيهما) أي دبر كل لفظة منهما (لا حول) أي لا تحول عن المعصية (ولا قوة) أي على الطاعة (إلا بالله العلي العظيم)ويسن أن تقول بعد قولك: وأشهد أن محمدًا رسول الله في الجواب: وأنا أشهد أن محمدًا رسول الله ثم تقول: رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا، ويسن أيضًا إذا سمعت المؤذن يقول: حي على الفلاح أن تقول: اللهم اجعلنا مفلحين (فإذا قال) أي المؤذن (الصلاة خير من النوم) أي اليقظة إلى الصلاة خير من راحة النوم (فقل) في الجواب (صدقت وبررت) وزاد في الإحياء بعد ذلك «نصحت»، وزاد بعضهم: «وبالحق نطقت» (وأنا على ذلك من الشاهدين) مرتين وبررت بكسر الراء وفتحها أي صرت ذا بر أي خير كثير، وقيل: يقول المجيب في ذلك: صدق رسول الله ﷺ.

(فإذا سمعت الإقامة فقل) في الجواب (مثل ما يقول) أي المقيم (إلا في قوله: قد قامت الصلاة فقل) في جواب كل من المرتين (أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض) ويسن أن يزيد بعد ذلك: وجعلني من صالحي أهلها (فإذا فرغت من جواب المؤذن) في الأذان أي ومن جواب المقيم في الإقامة أو

---

(١٢٢) الحيعلتان: قول: «حي على الصلاة، حي على الفلاح» في الأذان.

. . .فقل: «اللهم إني أسألك عند حضور صَلَاتِكَ وأصواتِ دُعَاتِكَ وإدبارِ ليلِكَ وإقبالِ نهارِكَ أن تُؤْتيَ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ والدرجةَ الرفيعةَ وابعثْهُ المقامَ المحمودَ الذي وعدْتَهُ إنك لا تخلفُ الميعادَ يا أرحمَ الراحمينَ، . . . .

فرغت من الأذان والإقامة إن كنت مؤذنًا مقيمًا فصلِّ وسلِّم على النبي ﷺ (فقل: اللهم إني أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعاتك) بضم الدال وبالتاء في آخره جمع داع (وإدبار ليلك وإقبال نهارك أن تؤتي محمدًا الوسيلة) أي المنزلة الطيبة في الجنة التي لا تنبغي إلا له ﷺ (والفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر المخلوقين كما أفاده القَسْطَلَّاني (والدرجة الرفيعة وابعثه المقام) أي أعطه المقام مفعول به لـ «ابعثه» لتضمنه معنى أعطه أو مفعول فيه أي أقمه في المقام كما أفاده البيجرمي (المحمود الذي وعدته) بقولك: تباركت وتعاليت عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا (إنك لا تخلف الميعاد يا أرحم الراحمين) وهذا الدعاء مخصوص في وقت الصبح أما الدعاء الذي يسن للمؤذن والمقيم وسامعهما في كل وقت فهو الدعاء المشهور، وهو: «اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلَةَ وابْعَثْهُ مقامًا محمودًا الذي وَعَدْتَهُ»(١٢٣) أي يسن بعد فراغ الأذان والإقامة لكل من المؤذن والسامع والمستمع غير إمام الجمعة في الإقامة أن يدعو بهذا الدعاء بعد الصلاة والسلام على النبي ﷺ كما أفاده الونائي؛ فمعنى «هذه الدعوة التامة» هي الأذان سمي بذلك لجمعه العقائد بتمامها، ومعنى «القائمة» أي الدائمة التي لا تغيرها ملة ولا تنسخها شريعة، ومعنى «وابعثه مقامًا» أي أعطه مقامًا أو أقمه في مقام أو ابعثه ذا مقام محمود، وهو هنا اتفاقًا مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء يحمده فيه الأولون والآخرون لأنه المتصدي له بسجوده له أربع سجدات تحت العرش حتى أجيب لما فزعوا إليه بعد فزعهم لآدم ثم لأولي العزم نوح فإبراهيم فموسى فعيسى واعتذار كل منهم. والموصول مع

(١٢٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب: الدعاء عند النداء (٦١٤) وكتاب تفسير القرآن باب: قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩] (٤٧١٩).

. . .فإذا سمعت الأذانَ وأنت في الصلاة فتمِّم الصلاةَ ثم تدارك الجوابَ بعد السلام على وجهه، فإذا أحْرَمَ الإمامُ بالفرضِ فلا تشتغل إلا بالاقتداء به وَصلِّ الفرضَ كما سَيُتْلَى عليك في كيفيةِ الصلاةِ وآدابِها، . . . .

الصلة إما بدل من النكرة أو صفة لها على رأي الأخفش لأنها وصفت أو عطف بيان، ويجوز القطع للرفع أو النصب، وإنما نكر مقامًا محمودًا لأنه أفخم وأجزل كأنه قيل: مقام وأي مقام يغبطه فيه الأولون والآخرون محمودًا تكلُّ عن أوصافه ألسنة الحامدين ويشرف به على جميع العالمين يسأل فَيُعطى ويشفع فَيُشفَّع وليس أحد إلا تحت لوائه كما أفاده القسطلاني وابن حجر، وأما لفظ «والدرجة الرفيعة» ولفظ «يا أرحم الراحمين» فكلاهما لا أصل لهما من الحديث على ما قاله ابن حجر (فإذا سمعت الأذان) أي أو الإقامة.

(وأنت في الصلاة فتمم الصلاة) ولا تجبه فإن الجواب حينئذ مكروه (ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه) أي طريقه وترتيبه، وكذا إن كنت خارج الصلاة ولم تتابع الجواب حتى فرغ المؤذن من الأذان أو الإقامة فيستحب أن تتدارك متابعة الجواب ولو لغير عذر إن لم يطل الفصل عرفًا، وضبطه بعضهم بركعتين بأقل ممكن ولو لم تسمع إلا آخر الأذان أو الإقامة أجبت من الأول فتجيب في الجميع، وتجيب أيضًا في الترجيع وإن لم تسمعه على ما قاله الونائي.

(فإذا أحرم الإمام بالفرض فلا تشتغل إلا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك) الكاف بمعنى على أي على الوجه الذي سيذكر ويبين لك (في) فصل (كيفية الصلاة وآدابها) بعد الفصل الذي ذكر كيفية النوم فالكيفية هي العلة الصورية؛ فالإضافة من إضافة العلة الصورية لمعلولها، والعلة الصورية جزء من الصلاة فإن كل شيء له علل أربع: علة صورية وعلة مادية وعلة فاعلية وعلة غائية؛ فالعلة المادية سبب في العلة الصورية فالعلة الفاعلية في الصلاة المصلي والمادية الأركان والغائية كحصول الثواب فقد وجدت العلل الأربع في الصلاة، والعلة الصورية هي القائمة من هذا المركب كذا أفاده الشيخ عطية الأجهوري.

. . .فإذا فرغت فقل: «اللهم صَلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ وسلِّم، اللهم أنت السلامُ ومنك السلامُ وإليك يعود السلامُ فَحَيِّنا ربنا بالسلامِ وأدخلنا الجنةَ دارَ السلامِ تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ، سبحان ربي العليِّ الأعلى الوهابِ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، له المُلْكُ وله الحمدُ. . . . .

الدعاء بعد الفراغ من صلاة الصبح

(فإذا فرغت) أي من ركعتي الفرض (فقل) بعد الاستغفار ثلاثًا كما رواه مسلم[١٢٤] عن ثوبان عتيق رسول الله ﷺ: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم، اللهم أنت السلام) أي السالم من كل ما لا يليق بجلال الربوبية وكمال الألوهية (ومنك السلام) أي السلامة من كل مكروه (وإليك يعود السلام) أي السلام منا في آخر الصلاة (فحينا) أي أكرمنا (ربنا بالسلام) أي بالأمن مما جنيناه وبالعفو عما اقترفناه (وأدخلنا الجنة) وفي نسخة بدل الجنة «دارك» وفي الإحياء سقوطهما (دار السلام) أي السلامة من التباغض والآفات أو لأن الملائكة يقولون لأهلها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: الآية ٢٤] (تباركت) أي تقدست كما قاله العزيزي، وفي نسخة بعد ذلك «وتعاليت» أي تنزهت، وفي الإحياء سقوطه (يا ذا الجلال) أي الشرف والكمال فلا شرف ولا كمال إلا له (والإكرام) فلا مكرمة إلا وهي منه تعالى ثم يفتتح الدعاء عقب الصلاة بقوله: (سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب) أي كثير النعم دائم العطاء، روى سَلَمَةُ بن الأَكْوَعِ أن النبي ﷺ كان يستفتح دعاءه بقوله: **«سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب»** ثلاثًا[١٢٥] (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد

---

(١٢٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٥٩١) بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: **«اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»**.

(١٢٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٦) (١٨٣٥) دون قوله : ثلاثًا، وقال:=

. . .يُحيي ويُميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ، بيده الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ لا إلهَ إلا اللهُ أهلُ النِّعمةِ والفضلِ والثناءِ الحسنِ، لا إلهَ إلا اللهُ ولا نعبدُ إلا إياه مخلصين له الدينَ ولو كَرِهَ الكافرونَ»، ثم ادْعُ بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ما علَّمه رسولُ الله ﷺ عائشةَ رضي الله عنها فقل: «اللهم إني أسألُكَ من الخيرِ كلهِ عاجلِهِ وآجلِهِ ما علمتُ منه وما لم أعلمْ وأعوذ بك من الشرِّ كُلِّه عاجلِهِ وآجلِهِ ما علمتُ منه وما لم أعلمْ، وأسألُكَ الجنةَ وما يُقرِّب إليها من قولٍ وعملٍ ونيةٍ واعتقادٍ، وأعوذ بك من النارِ وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد،

يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده) أي بقدرته وتدبيره (الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) هذا كما في الإحياء، وقال النووي في «الأذكار»: روينا في صحيح مسلم[١٢٦] عن عبدالله بن الزبير أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» (ثم ادع بعد ذلك بالجوامع) أي بجوامع الكلم كما قاله المناوي (الكوامل) أي كوامل الأدعية (وهو ما علمه رسول الله ﷺ عائشة) الصديقة (رضي الله عنها فقل: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد).

=هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١٢٦) أخرجه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٥٩٤).

وأسألك من خيرِ ما سألك منه عبدُكَ ونبيُّكَ محمدٌ ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذَكَ منه عبدُكَ ونبيُّك محمدٌ ﷺ، اللهم وما قضيْتَ عليَّ من أمرٍ فاجعل عاقبتَهُ رُشْدًا».

ثم ادْعُ بما أوصى به رسولُ الله ﷺ فاطمةَ رضي الله عنها فقل: «يا حيُّ يا قيومُ يا ذا الجلالِ والإكرامِ لا إلهَ إلا أنتَ برحمتِكَ أستغيثُ

وقوله: «ونية واعتقاد» في الموضعين لم يذكر في «الإحياء» ولا في «الجامع»، وقوله: «وعمل» بالواو في الموضعين كما في الإحياء وبأو كما في «الجامع» (وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ) قوله: «من خير» بالتنكير موافق للجامع، وأما الذي في الإحياء فبالتعريف فما مفعول ثان ومن خير بيان إن قرئ بالتنكير أو التعريف، وأما إن قرئ بإضافة خير إلى ما فهو مفعول ثان، ومن إما زائدة أو تبعيضية وقوله: «ونبيك» موافق للجامع، وفي الإحياء: «ورسولك» بدله كما في بعض النسخ لهذا الكتاب، وعبارة الجامع: وأعوذ بك من شر ما عاذ به، وعبارة الإحياء: وأستعيذك بما استعاذك منه كما في بعض نسخ هذا الكتاب، وأما كلمة «منه» في الموضع الأول فساقطة في الإحياء والجامع.

(اللهم وما قضيت علي من أمر فاجعل عاقبته رشدًا)[١٢٧] أي إصابة للخير كما قاله الرملي، وفي الجامع -وهو رواية عن ابن ماجه عن عائشة بدل ذلك: «وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا» (ثم ادع بما أوصى به رسول الله ﷺ) سيدتنا (فاطمة رضي الله عنها فقل: يا حي يا قيوم) أي قائم بنفسه ومقيم لغيره (يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث) والمعنى اكشف شدتي

---

(١٢٧) هذا الدعاء أخرجه غير واحد بألفاظ مختلفة مع تقديم وتأخير في العبارات منهم الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٢) (١٩١٤) وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب: الجوامع من الدعاء (٣٨٤٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٣) (٢٥٠٦٣)، (٦/ ١٤٦)=

ومن عذابِكَ أستجيرُ لا تكِلْني إلى نفسي ولا إلى أحدٍ من خلقِكَ طرفةَ عينٍ، وأصلِحْ لي شأني كُلَّهُ بما أصلحْتَ به الصالحينَ».

ثم قل ما قاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أصبحتُ لا أستطيعُ دفعَ ما أكرهُ ولا أَمْلِكُ نفعَ ما أرجو، وأصبح الأمرُ بيدِكَ لا بيدِ غيرِك، وأصبحتُ مُرْتَهَنًا بعملي فلا فقيرَ أفقرُ مني إليك ولا غَنِيٌّ أغنى منك عني، اللهم لا تُشْمِتْ بي عَدُوِّي ولا تَسُؤْ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في

(ومن عذابك أستجير، لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين) والمعنى: قم بأمري ولا تترك إعانتي ولو قدر تحرك العين (وأصلح لي شأني كله)[١٢٨] أي اجعل أمري كله صوابًا وخيرًا، وهذا مثل ما في الإحياء إلا قوله: «ولا إلى أحد من خلقك» فهو ساقط فيه، وقد يوجد في بعض النسخ زيادة على ذلك فلعله من النساخ (ثم قل ما قاله) سيدنا (عيسى على نبينا وعليه السلام[١٢٩]: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنًا بعملي فلا فقير أفقر مني إليك ولا غني أغنى منك عني) وهذه الجملة الأخيرة مع قوله: «إليك» ساقطة في الإحياء كما في نسخة (اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي) بفتح الصاد، ومعنى الجملتين يا الله لا تُنزل بي بليةً تفرح عدوي ولا مصيبة تحزن الصادق في ودي وتشمت بضم التاء وسكون الشين وكسر الميم بمعنى تفرح، وتسؤ بفتح التاء وضم السين بمعنى تحزن فهو متعد بنفسه كما في الصحاح (ولا تجعل مصيبتي في

=(٢٥١٨٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٤٤) (٢٩٣٤٥).

(١٢٨) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٠) (٢٠٠٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٤٧) (١٠٤٠٥) كلاهما عن أنس بن مالك بلفظ: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين».

(١٢٩) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٩٨٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان(١/ ٢٣٠)(٢٤٠).

ديني ولا تجعل الدنيا أكبرَ همي ولا مَبْلَغَ علمي ولا تسلِّطْ علي بذنبي من لا يرحَمُني».

ثم ادْعُ بما بدا لك من الدعوات المشهورات..........

ديني) فإن مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا (ولا تجعل الدنيا أكبر همي) بفتح الهاء أي مرادي.

(ولا مبلغ علمي) أي ولا تجعل الدنيا محل وصول علمي بل اجعل علمي واصلاً إليك، وهذه الكلمة ساقطة في الإحياء (ولا تسلط علي بذنبي من لا يرحمني) أي لا تجعل من لا يعطف علي قاهرًا علي بسبب ذنبي عندك، وفي بعض النسخ «بذنوبي» بالجمع، وفي الإحياء سقوطه كما في نسخة (ثم ادع بما بدا) أي ظهر (لك من الدعوات المشهورات) والأولى أن تأتي بسيد الاستغفار، وهو: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خَلَقْتَنِي وأنا عبدُك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ أبوءُ لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت، أعوذ بك من شَرِّ ما صنعتُ[١٣٠].

وروي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يُصبح أو يُمسي اللهم إني أصبحتُ أُشهِدُكَ وأُشهِدُ حَمَلَةَ عرشِكَ وملائكتَكَ وجميعَ خلقِكَ أنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدُك ورسولُك أعتق اللهُ رُبُعَهُ من النارِ فمن قالها مرتين أعتق اللهُ نِصْفَهُ من النارِ ومن قالها ثلاثًا أعتق اللهُ ثلاثةَ أرباعِهِ فإن كان قالها أربعًا أعتقه اللهُ تعالى من النارِ**»[١٣١].

وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح قال: «**اللهم إني أسالك علمًا نافعًا وعملاً متقبلاً ورزقًا طيبًا**»[١٣٢] هكذا في «الأذكار» للنووي

---

(١٣٠) أخرجه بلفظه البخاري في كتاب الدعوات باب: ما يقول إذا أصبح (٦٣٢٣) عن شداد بن أوس.

(١٣١) أخرجه بلفظه أبو داود في كتاب الأدب باب: ما يقول إذا أصبح (٥٠٦٩).

(١٣٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: ما يقال بعد التسليم (٩٢٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٢٢) (٢٦٧٧٤).

. . .واحْفَظْهَا مما أوردناه في كتاب «الدعوات» من كتاب «إحياء علوم الدين»، . . . .

رحمه الله تعالى، وقال الغزالي لبعض تلامذته: واقرأ هذا الدعاء في أوقاتك خصوصًا أعقاب صلواتك: اللهم إني أسألك من النعمة تمامها ومن العصمة دوامها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها ومن العيش أرغده ومن العمر أسعده ومن الوقت أطيبه ومن الإحسان أتمه ومن الإنعام أعمه ومن الفضل أعذبه ومن اللطف أنفعه ومن الرزق أوسعه، اللهم كُنْ لنا يا جبارُ ولا تكن علينا، اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق بالزيادة أعمالنا وأَقْرِنْ بالعافية غدونا وآصالنا، واجعل إلى مغفرتك ورحمتك مصيرنا ومآلنا، واصبُبْ سِجالَ عفوك على ذنوبنا ومُنَّ علينا بإصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا، وثبتنا على نهج الاستقامة وأعذنا في الدنيا والآخرة من موجبات الندامة يوم القيامة، اللهم خفف عنا ثقل الأوزار وارزقنا معيشة الأبرار واكفنا واصرف عنا شر الأشرار، وأعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا من النار برحمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار يا حليم يا جبار يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين».

(واحفظها) أي الدعوات (مما أوردناه) أي أحضرناه وذكرناه (في كتاب الدعوات من كتاب «إحياء علوم الدين») فادع بجميعها إن قدرت عليه أو احفظ منها ما تراه أوفق بحالك وأرق لقلبك وأخف على لسانك كما قاله الشيخ الغزالي * ومن الدعوات المذكورة في «الإحياء» دعاء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ومن دعا بذلك إذا أصبح فقد أدى شكر يومه، وهو «اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم» * ومنها دعاء عُتْبة الغلام وقد رؤي في المنام فقال: «دخلت الجنة بهذه الكلمات» اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومُقيل عَثَراتِ العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا من الأخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين».

. . .ولتكن أوقاتُكَ بعد الصلاةِ إلى طلوعِ الشمسِ موزعةً على أربعِ وظائفَ: وظيفةٍ في الدعوات، ووظيفةٍ في الأذكار والتسبيحاتِ وتكررها في سُبْحَةٍ، ووظيفةٍ في قراءةِ القرآنِ، ووظيفةٍ في التفكر؛ . . . .

تقسيم الأوقات بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس

(ولتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزعة) أي مقسومة (على أربع وظائف) أي أوراد (وظيفة في الدعوات) فليبدأها بذكر الله كما مر ذكره ولا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقوله: «**سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب**»(١٣٣) وليبدأها بالصلاة على النبي ﷺ ثم اسأل حاجتك ثم اختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما كذا في «الإحياء» (ووظيفة في الأذكار والتسبيحات) وهي كلمات ورد في تكرارها فضائل وستأتي في كلامه (وتكررها في سبحة) بضم السين وهي خرزات منظومة وتسمى أيضًا مُذَكِّرة أو في يدك (ووظيفة في قراءة القرآن) فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء إذا كان بتدبير فيستحب لك قراءة جملة من الآيات التي وردت الأخبار بفضلها وهو أن تقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٥] و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨] و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢٦] الآيتين، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨] إلى آخرها، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[الفَتْح: الآية ٢٧] إلى آخرها، وقوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسرَاء: الآية ١١١] الآية، وخمس آيات من أول الحديد وثلاثًا من آخر سورة الحشر هكذا في «الإحياء» (ووظيفة في التفكر) فمهما تيسر لك الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى، وزيادة أمرين أحدهما: زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف، والثاني: زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه

---

(١٣٣) سبق تخريجه.

...فتفكر في ذنوبك وخطاياك وتقصيرك في عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الأليم وسخطه العظيم، وتُرتِّبُ بتدبيرك أورادَكَ في جميع يومك لتتداركَ به ما فَرَطَ من تقصيرك، وتحترزَ من التعرض لِسَخَطِ الله تعالى الأليمِ في يومك، وتنوي الخيرَ لجميع المسلمين،

ولا تنكشف عظمة الله تعالى إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله؛ فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة (فتفكر) بضم التاء وفتحها وسكون الفاء وكسر الكاف مضارع أفكر بالهمزة، وفكر من باب ضرب كما في «الصحاح» و«المصباح»[١٣٤] (في) ما ينفعك في المعاملة مع الله بأن تحاسب نفسك فيما سبق من (ذنوبك وخطاياك وتقصيرك) أي توانيك (في عبادة مولاك) وتفكر فيما ينفعك في علم المكاشفة (و) ذلك بأن تفكر مرة في (تعرضك) أي إقبالك (لعقابه الأليم وسخطه العظيم) أو في نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة (وترتب) بصيغة المضارع المفيد للخطاب معطوف على «تفكر» (بتدبيرك) أي فكرك (أورادك في جميع يومك لتتدارك به ما فرط) أي سبق (من تقصيرك) ولتصلحه (وتحترز من التعرض لسخط الله الأليم في يومك) وتزيد معرفتك بقدرة الإله ويزيد خوفك منه ولتزيد معرفتك بالآلاء ويكثر شكرك عليها؛ فقوله: «لتتدارك» علة لقوله: «تفكر في ذنوبك»، وقوله: «وتحترز» علة لقوله: «تعرضك» (وتنوي الخير) معطوف أيضًا على «تفكر» أي تحضر في قلبك نية أداء الخير في أعمالك لنفسك وفي معاملتك (لجميع المسلمين) فنية المرء

---

(١٣٤) جاء في المصباح المنير في مادة (ف ك ر).

الفكر- بالكسر- تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فِكْرٌ أي نظر وروية، والفكر- بالفتح- مصدر فَكَرْتُ في الأمر من باب ضَرَبَ، وتفكَّرتُ فيه وأفْكَرتُ بالألف، وفي الصحاح: التفكر: التأمل، والاسم الفِكْرُ والفِكْرةُ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح.

قال يعقوب: والفتح فيه أفصح من الكسر، وأَفْكَرَ في الشيء وفكَّر فيه وتَفَكَّر بمعنى.

وفي نسخة محققة من هذا الكتاب قال أحد المحققين تعليقًا على هذا الموضع: لا وجه=

وتَعْزِمُ أن لا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى، وتَقْصِدُ في قلبك الطاعاتِ التي تَقْدِرُ عليها وتختار أفضلَها وتتأمل تهيئةَ أسبابِها لتشتغلَ بها، ولا تَدَعْ عنك التفكرَ في قُرْبِ الأجل وحلولِ الموتِ القاطعِ للأملِ وخروجِ الأمرِ عن الاختيارِ وحصولِ الحسرةِ والندامةِ بطولِ الاغترارِ، وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشرُ كلماتٍ إحداهن: لا إلهَ إلا . . . . .

خير من عمله (وتعزم على أن لا تشتغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى وتقصد) وفي بعض النسخ: وتفصل (في قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتختار) أي بخلدك (أفضلها) أي الطاعات (وتتأمل) أي تترقب (تهيئة أسبابها لتشتغل بها ولا تدع عنك التفكر في قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل) قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من ذِكْرِ هاذِمِ اللَّذَّاتِ**»[١٣٥] معناه نَغِّصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى، وقالت عائشة: يا رسول الله هل يُحشر مع الشهداء أحدٌ؟ قال: «**نعم من يذكرُ الموتَ في اليومِ والليلةِ عشرين مرة**»[١٣٦].

(وخروج الأمر عن الاختيار) وهو خلاف الاضطرار، وهذا معطوف على «قرب الأجل» (وحصول الحسرة) بالحاء المهملة أي الحزن (والندامة) في الآخرة (بطول الاغترار) أي الغفلة عن الموت في الدنيا فإنها تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا (وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات إحداهن: لا إله

=-والله أعلم - لإسكان الفاء وتكسر الفاء إذا ضمت التاء وتفتح الكاف إذا فتحت التاء (فتأمل).

(١٣٥) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب: ما جاء في ذكر الموت (٢٣٠٧) والنسائي في كتاب الجنائز باب: كثرة ذكر الموت (١٨٢٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب: ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٥٨) وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٢) (٧٩١٢) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٣٦) لم أعثر عليه.

. . . اللهُ وحده لا شريكَ له له الملكُ وله الحمدُ يحيي ويُميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ بيده الخيرُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ.

الثانية: لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبينُ.

الثالثة: لا إلهَ إلا اللهُ الواحدُ القهارُ ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغفارُ.

إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير[١٣٧].

الثانية: لا إله إلا الله الملك الحق المبين)[١٣٨] فمعنى الملك ذو الملك، والمراد به القدرة على الإيجاد، ومعنى المبين المُظْهِر للصراط المستقيم لمن شاء هدايته كما قاله العزيزي.

(الثالثة: لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار)[١٣٩] فمعنى الواحد الذي لا ينقسم ولا مشابهة بينه وبين غيره، ومعنى القهار هو الذي لا موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته، ومعنى العزيز الغالب،

---

(١٣٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١١٣): عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في يوم إذا أصبح وإذا أمسى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر» رواه البزار، وفيه أبو بكر بن عبدالله بن أبي سبرة، وهو متروك.

(١٣٨) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٨٠) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أنيسًا في وحشة القبر واستجلب الغنى واستقرع باب الجنة» قال: غريب من حديث سالم عن مالك رضي الله عنه.

(١٣٩) الحاكم في المستدرك (١/ ٧٢٤) (١٩٨٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٣٤٠) (٥٥٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١٦) (١٠٧٠٠) كلهم عن عائشة رضي الله عنها.

الرابعة: سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ.

الخامسة: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ....................

ومعنى الغفار هو الذي يستر القبائح والذنوب بإسبال الستر عليها في الدنيا وترك المؤاخذة بالعفو عنها في العقبى ويصون العبد من أوزارها كذا في شرح الجامع.

(الرابعة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)(١٤٠) وهذه الكلمة إلى قوله: «والله أكبر» تسمى الباقيات الصالحات(١٤١) وقيل: هي إلى قوله: «إلا بالله» قال رسول الله ﷺ: **«لأن أقولَ سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ أحبُّ إلي مما طلعتْ عليه الشمسُ»**(١٤٢).

(الخامسة: سبوح قدوس) وهما اسمان من أسماء الله تعالى. قال ثعلب(١٤٣): كل اسم جاء على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر

---

(١٤٠) أخرج أبو داود في كتاب الأدب باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل (٥٠٦٠) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعار من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم دعا: رب اغفر لي- قال الوليد: أو قال: دعا- استجيب له فإن قام فتوضأ ثم صلى قُبلت صلاته»**.

(١٤١) قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٠): عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها وهن من كنوز الجنة»**، وفي رواية: **«خذهن قبل أن يحال بينك وبينهن الباقيات»** قلت: رواه ابن ماجه باختصار، ورواه الطبراني بإسنادين في أحدهما عمر بن راشد اليمامي، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١٤٢) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٥) عن أبي هريرة.

(١٤٣) ثعلب (٢٠٠- ٢٩١هـ) أحمد بن يحيى الشيباني الكوفي ، أبو العباس. نحوي=

. . .ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ.

السادسة: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ سبحانَ اللهِ العظيمِ.

وقد يفتحان، وقرأهما سيبويه بالفتح، والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح يكون بالطاعات والعبادات، والتقديس يكون بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي فيكون التقديس التفكر في ذلك (رب الملائكة والروح) وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن السني عن الزبير: «**ما من صباح يُصبحُ العبادُ فيه إلا وصارخٌ يصرخُ أيها الخلائقُ سبِّحوا الملكَ القدوسَ ربَّ الملائكةِ والروح**»(١٤٤) قال الشربيني: الروح هو جبريل عليه السلام، وقال: الروح ملك رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا، وفي كل رأس ألف وجه، وفي كل وجه ألف فم، وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد، ولكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سُجَّدًا مخافة أن تحرقهم أنوار أفواهه اهـ.

(السادسة: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ومعنى العظيم البالغ في أقصى مراتب العظمة، وهو الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة، وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: «**من قالَ سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ غُرِسَتْ له نَخْلَةٌ في الجنةِ**»(١٤٥).

=لغوي توفي ببغداد، له من الكتب: المصون في النحو، اختلاف النحويين، معاني القرآن وغيرها. (اهـ معجم المؤلفين ٢/ ٢٠٣).

(١٤٤) هذا الحديث أخرجه بلفظه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٥) (٦٨٥) وقال في مجمع الزوائد: وفيه يوسف بن عبيدة وهو ضعيف جدًا، وأخرجه بنحوه الترمذي في كتاب الدعوات باب: في دعاء النبي ﷺ وتعوذه دبر كل صلاة (٣٥٦٩) قال أبو عيسى: وهذا حديث غريب.

(١٤٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٠) (٨٢٦)، وأخرج نحوه الترمذي في كتاب الدعوات باب: ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (٣٤٦٤)=

السابعة: أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيومُ وأسألُهُ التوبةَ والمغفرةَ.

الثامنة: اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ ولا مُعطيَ لما منعتَ ولا رادَّ لما قضيتَ ولا ينفعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ.

(السابعة: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة)[١٤٦] أي المغفرة والإنقاذ من المعاصي، وفي بعض النسخ بعد ذلك زيادة «والمغفرة»، وفي «الإحياء» عدمها.

(الثامنة: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت) هذه الأخيرة ساقطة في «الإحياء» (ولا ينفع ذا الجد منك الجد)[١٤٧] أي لا ينفع ذا الغنى عندك غناه وإنما ينفعه العمل بطاعتك ومعنى منك عندك.

=وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(١٤٦) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الدعوات باب: في دعاء الضيف (٣٥٧٧)من حديث بلال بن يسار بن زيد مولى النبي ﷺ عن أبيه عن جده بلفظ: «**من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرَّ من الزحف**»، قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٢) (١٨٨٤) من رواية ابن مسعود بلفظ: «**من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثًا غفرت له ذنوبه وإن كان فارًا من الزحف**»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١٤٧) هذه الصيغة وردت عقب صلاة النبي، وفي رفعه من الركوع كما في البخاري (انظر كتاب الأذان باب: الذكر بعد الصلاة (٨٤٤)، ومسلم (انظر كتاب الصلاة باب: اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام (٤٧١) دون قوله: «**ولا رادَّ لما قضيت**» ولذلك قال العراقي: لم أجد تكرارها في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع.

التاسعة: اللهم صَلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ وصحبِهِ وسلِّمْ.

العاشرة: بسمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مع اسْمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليمُ.

(التاسعة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم.

العاشرة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)(١٤٨) وهذه الكلمات مخالفة لما في «الإحياء» من الترتيب وبعض الكلمات، وفيه: وهذه الكلمات عشرة:

الأولى: قوله لا إله إلا الله إلى آخرها بلا مخالفة.

الثانية: قوله سبحان الله والحمد لله إلى آخرها لكن بإسقاط العلي العظيم.

الثالثة: قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح بلا مخالفة.

الرابعة: قوله سبحان الله العظيم وبحمده.

الخامسة: قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة.

السادسة: قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

السابعة: قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

الثامنة: قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

التاسعة: قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٤٨) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب: ما يقول إذا أصبح (٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (٣٣٨٨)، وابن ماجه في كتاب الدعاء باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (٣٨٦٩) وأحمد في مسنده (١/ ٦٦) (٤٧٤)، (١/ ٧٢) (٥٢٨) كلهم عن عثمان بن عفان.

تُكَرِّرُ كُلٌّ واحدةٍ من هذه الكلمات إما مائة مرة أو سبعين مرةً أو عَشْرَ مراتٍ وهو أقله ليكون المجموعُ مائةً، ولازِمْ هذه الأورادَ، ولا تتكلمْ قبلَ طُلُوعِ الشمسِ، ففي الخبر أن ذلك أفضلُ

العاشرة: قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون.

ثم قال المصنف: وإن قرأت المسبعات العشرة التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي فقد استكمل لك الفضل وجمع لك ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة وهي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات، وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعًا وتصلي على النبي ﷺ سبعًا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعًا، وتقول: اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات ولا تدع ذلك غدوة وعشية (تكرر) بصيغة المضارع الذي للخطاب (كل واحدة من هذه الكلمات إما مائة مرة أو سبعين مرة أو عشر مرات وهو) أي العشرة (أقله) أي التكرير (ليكون المجموع مائة) مرة فهو أفضل من أن تكرر واحدة مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلاً بانفراده، وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ، وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة استراحة وأمن من الملل كذا قال المصنف في «الإحياء».

(ولازم هذه الأوراد) وفي بعض النسخ: هذه الأذكار، وقال في «الإحياء»: وأقل ما ينبغي أن تكرر كل واحدة من هذه الكلمات ثلاثًا أو سبعًا، وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر، وفضل الأكثر أكثر، والأوسط أن تكررها عشر مرات فهو أجدر بأن تداوم عليه، وخير الأمور أدومها وإن قل، وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرًا في القلب من كثيرها مع الفترة (ولا تتكلم قبل طلوع الشمس ففي الخبر أن ذلك) أي عدم الكلام قبل

من إعتاقِ ثمانِ رقابٍ منِ ولدِ إسماعيلَ على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ أعني الاشتغال بالذكرِ إلى طلوعِ الشمس من غيرِ أن يتخلله كلامٌ.

طلوع الشمس (أفضل من إعتاق ثمان رقاب) ثمان بحذف الياء (من ولد إسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام) أي لو فرض أن ولد إسماعيل عبد وهو لم يكن كذلك بل هو من أفضل الناس، وإنما دل هذا الحديث على زيادة فضيلة صاحب هذا العمل (أعني) باسم الإشارة (الاشتغال بالذكر) أي بأي ذكر كان لا بخصوص هذه الكلمات (إلى طلوع الشمس من غير أن يتخلله) أي الذكر (كلام) فقد قال ﷺ: **«لأن أقعدَ في مجلسي أذكرُ اللهَ تعالى فيه من صلاةِ الغداةِ إلى طلوعِ الشمسِ أحبُ إلي من أن أعتقَ أربعَ رقابٍ»**[١٤٩] وروي أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله تعالى قال يا ابنَ آدمَ اذكرني بعد صلاةِ الفجرِ ساعةً وبعدَ صلاةِ العصرِ ساعةً أَكْفِكَ ما بينهما»**[١٥٠] كذا في «الإحياء»، وروي عن أنس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلَّى الفجرَ في جماعةٍ ثم قعد يذكرُ اللهَ تعالى حتى تَطْلُعَ الشمسُ ثم صلى ركعتين كانت كأجرِ حجَّةٍ وعمرةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ»**[١٥١] كذا في «الأذكار».

---

(١٤٩) أخرج نحوه أبو داود في سننه في كتاب العلم باب: في القصص (٣٦٦٧) وأحمد في مسنده (٥/ ٢٥٥) (٢٢٢٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٠٩) (٥٦١).

(١٥٠) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢١٣) ، وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص ٣٧).

(١٥١) أخرجه الترمذي في كتاب الجمعة باب: ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس (٥٨٦) عن أنس بن مالك وقال: هذا حديث حسن غريب.

(آداب ما بين طلوع الشمس إلى الزوال)

فإذا طلعت الشمسُ وارتفعت قَدْرَ رمح فَصَلِّ ركعتين، وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة فإنها مكروهة من بعد فريضة الصبح إلى ارتفاع الشمس، فإذا أضحى النهارُ ومضى منه قريبٌ من رُبُعه فصلِّ صلاةَ الضحى أربعًا أو ستًا أو ثمانيًا مَثْنَى مَثْنَى، فقد نُقِلَتْ هذه الأعدادُ كُلُّها عن رسول الله ﷺ..........

(آداب ما بين طلوع الشمس إلى الزوال)

(فإذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح) أو قدر نصفه كما في «الإحياء» (فصل ركعتين) إما بنية صلاة الإشراق بناء على القول بأنها غير صلاة الضحى أو بنية الضحى بناء على أنها هي وهو المعتمد؛ فقد روى علي رضي الله عنه أنه ﷺ كان يصلي الضحى ست ركعات في وقتين: إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام صلى ركعتين، وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعة[١٥٢] (وذلك) أي فعل ركعتين (عند زوال وقت الكراهة) أي كراهة التحريم (للصلاة فإنها) أي الصلاة (مكروهة) مع صحتها (من بعد فريضة الصبح إلى ارتفاع الشمس) وهو ظهور تمام نورها (فإذا أضحى) أي علا (النهار ومضى منه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى أربعًا أو ستًا أو ثمانيًا) وهي أفضلها وأكثرها على المعتمد (مثنى مثنى) أي سَلِّمْ من كل ركعتين وهو أفضل، وذكر السيوطي أن الأفضل أن يقرأ الإنسان في الركعة الأولى منها بعد الفاتحة سورة «والشمس» بتمامها وفي الثانية الفاتحة وسورة «والضحى» وتبعه على ذلك ابن حجر لكن الرملي اعتمد أنه يقرأ في الركعة الأولى الكافرون وفي الثانية الإخلاص ويفعل ذلك في كل ركعتين منها (فقد نقلت هذه الأعداد كلها عن رسول الله ﷺ) كما قالت أم هانئ: «صلى النبي ﷺ سُبْحَةَ الضحى ثمانيَ ركعات يُسَلِّمُ من كل

---

(١٥٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الجمعة باب: كيف كان تطوع النبي ﷺ بالنهار (٥٩٨).

. . .والصلاة خيرٌ كلها فمن شاء فليستكثرْ ومن شاء فليستقللْ فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبةٌ من الصلاة إلا هذه، فما فضل عنها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات: الحالة الأولى: وهي الأفضلِ أن تصرفه في طلب العلم النافع في الدين. . . . .

ركعتين» رواه أبو داود[١٥٣] (والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل) كما في الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة: «**الصلاة خيرُ موضوعٍ فمن استطاع أن يستكثرَ فليستكثرْ**»[١٥٤] أي الصلاة أفضل ما وضعه الله أي ما شرعه لعباده من العبادة فمن استطاع أن يكثر فعلها فليكثره فإنها أفضل العبادات البدنية بعد الإيمان (فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة إلا هذه) أي صلاة الضحى، وفي بعض النسخ: فليس بين الطلوع والزوال راتبة إلا هذه الصلوات.

(فما فضل عنها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات)

الاشتغال بطلب العلم النافع

(الحالة الأولى وهي الأفضل أن تصرفه) أي فاضل الأوقات في نفع الناس بعلمك في فتوى وتدريس أو تصنيف أو مطالعة للكتب فإن أمكنك استغراق الأوقات في ذلك وهو أفضل ما تشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها لأن في ذلك منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة، ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعًا هذا إن كنت عالمًا، وأما إن كنت متعلمًا فالأفضل أن تصرف أوقاتك (في طلب العلم النافع في الدين) حيث يشتغل العالم بالإفادة، وفي نسخ: حيث يشتغل العالم بالتصنيف، وكذا لو لم تكن متعلمًا بأن تتعلم بأن تحصِّل لتصير عالمًا بل لو كنت من العوام فحضورك مجالس الوعظ والعلم أفضل من اشتغالك بالأوراد والنوافل كما في حديث أبي

---

(١٥٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: صلاة الضحى (١٢٩٠).

(١٥٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٨٤) (٢٤٣)، وأخرج نحوه أحمد في مسنده (٥/ ١٧٨) (٢١٥٨٦) عن أبي ذر.

. . . دون الفضول الذي أكبَّ الناسُ عليه وسموه علمًا، والعِلْمُ النافعُ: هو ما يَزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا ويزيد في رغبتك في الآخرة، وَيَفْتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترزَ منها، ويُطْلعك على مكايد الشيطان وغروره وكيفية تلبيسه على علماء السوء، حتى عرَّضهم لمقت الله تعالى وسخطه حيث أكلوا الدنيا بالدين واتخذوا العلمَ. . . . .

ذر ﷺ «إن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض»[١٥٥] (دون الفضول) أي الذي لا ينفع (الذي أكب) أي لازم (الناس عليه وسموه علمًا) وذلك كعلم السحر والنجوم.

معنى العلم النافع وأقسامه

(والعلم النافع) المقدم على العبادة (هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى ويزيد في بصيرتك) أي علمك (بعيوب نفسك ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك في الدنيا ويزيد في رغبتك في الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها) ويعينك على سلوك طريق الآخرة إذا تعلمت ذلك العلم على قصد الاستعانة به على السلوك (ويطلعك) أي يعلمك (على مكايد الشيطان) أي مَكْره (وغروره) أي خديعته (وكيفية تلبيسه) أي تدليسه وخيانته (على علماء السوء) وهم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه (حتى عرضهم) أي وجههم (لمقت الله تعالى) أي بغضه (وسخطه) أي غضبه (حيث أكلوا) أي أخذوا (الدنيا بالدين) فقوله: «حيث أكلوا» إلى آخره تعليل لتسميتهم علماء السوء أي وإنما سموا علماء السوء لأنهم أكلوا (واتخذوا) أي جعلوا (العلم

---

(١٥٥) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/١٦): ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر، والرواية التي عثرت عليها فيها قوله: «مجلس عالم» بدل «مجلس ذكر».

. . .ذريعةً ووسيلةً إلى أخذ أموال السلاطين وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين وصرف همتهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق، واضطرهم ذلك إلى المراءاة والمماراة والمناقشة في الكلام والمباهاة، وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب «إحياء علوم الدين». . . . .

ذريعة ووسيلة إلى أخذ أموال السلاطين وأكل أموال الأوقاف) أي التي وقفت على العلماء (واليتامى والمساكين وصَرَفَ) أي أمال الشيطان -بالإفراد معطوف على عرّضهم- وفي بعض النسخ: «وصرفوا» بالجمع عطفًا على أكلوا (همتهم) بكسر الهاء أي عزمهم القوي (طول نهارهم إلى طلب الجاه) أي الرتبة فهو مطلوب من الوجه (والمنزلة) أي العظم والارتفاع (في قلوب الخلق واضطرهم) أي ألجأهم وأكرههم (ذلك) أي صرف الهمة إلى ما ذكر، والمناسب أن يقول: «فاضطرهم» بالفاء ليكون تفريعًا على قوله: «وصرف همتهم» (إلى المراءاة) أي إظهار العبادة بقصد رؤية الناس لها ليحمدوهم (والمماراة) أي المجادلة (والمناقشة) بالقاف والشين المعجمة أي الاستقصاء (في الكلام) وفي بعض النسخ: «والمنافسة» بالفاء والسين المهملة مع إسقاط قوله: «في الكلام» فمعناها الرغبة في العلم والعمل على وجه المماراة أي المعارضة (والمباهاة) أي التعاظم والتكبر (وهذا الفن) أي النوع الذي هو (من العلم النافع قد جمعناه في كتاب «إحياء علوم الدين») وأذكر تلخيص ما فيه وهو أن العلم النافع قسمان: قسم محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل، وقسم يُحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه فالأول هو العلم بالله تعالى بصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، والثاني ينقسم إلى أربعة أقسام: أصول وفروع ومقدمات ومتممات؛ فالأصول هي أربعة: كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع الأمة وآثار الصحابة فهذان أصلان من حيث إنهما يدلان على السنة.

والفروع على قسمين: أحدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه، وثانيهما: ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة

. . . فإن كنت من أهله فحصِّله واعملْ به ثم عَلِّمْهُ وادعُ إليه فمن علم ذلك وعمل به ثم علمه ودعا إليه فذلك يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام .

والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه.

والمقدمات هي التي تجري مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشريفة في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذا جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة، ومن الآلات علم كتاب الخط.

والمتممات هي في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ثلاثة أنواع: قسم يتعلق باللفظ كتعلم القرآن ومخارج الحروف، وقسم يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به، وقسم يتعلق بأحكام القرآن كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض هو العلم الذي يسمى أصول الفقه، وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند فهذه هي العلوم الشرعية، وكلها من فروض الكفايات (فإن كنت من أهله) أي العلم النافع المذكور كله (فحصله) أي اطلبه بتعلمه من أهله (واعمل به) أي بذلك العلم (ثم علمه) للناس (وادع إليه) أي العلم المذكور (فمن علم ذلك) أي العلم النافع (وعمل به ثم علمه ودعا إليه فذلك) أي الشخص المتصف بذلك المذكور (يدعى) أي يسمى (عظيمًا في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام) أي لأن سيدنا عيسى قال: «من علم وعمل وعلَّم فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات»[١٥٦] وقال النبي ﷺ : **«من تعلم بابًا من العلمِ ليعلِّمَ الناسَ أُعطي ثوابَ سبعين صِديقًا»**[١٥٧].

---

(١٥٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٩٣) عن ثور بن يزيد.

(١٥٧) قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٤): رواه أبو منصور الديلمي=

فإذا فرغت من ذلك كله وفرغت من إصلاح نفسك ظاهرًا وباطنًا وفضل شيءٌ من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروعَ النادرةَ في العبادات وطريقَ التوسط بين الخلق في الخصومات عند انكبابهم على الشهوات فذلك أيضًا بعد الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات؛ فإن دعتك نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثقالًا لذلك.

(فإذا فرغت من ذلك) أي العلم النافع (كله وفرغت من إصلاح نفسك ظاهرًا وباطنًا وفضل شيء من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروع النادرة) أي الخارجة عن فرض العين (في العبادات وطريق التوسط) أي العدل (بين الخلق في الخصومات عند انكبابهم) أي إقبالهم (على الشهوات) أي جميع اشتياق النفس (فذلك) أي الاشتغال بعلم المذهب (أيضًا بعد الفراغ من هذه المهمات) أي الأمور اللازمة (من جملة فروض الكفايات) ومن فروض الكفايات تعلم الطب، وقال الزيادي: وطلب العلم الشرعي على ثلاثة أقسام: فرض عين وهو تعلم ما لابد منه، وفرض كفاية وهو تعلم ما يصل به إلى درجة الإفتاء، وسنة وهو ما زاد على ذلك اهـ.

وقال الغزالي: فكن أحد رجلين إما مشغولًا بنفسك وإما متفرغًا لغيرك بعد الفراغ من نفسك، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل صلاح نفسك فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم، وإنما الأهم علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها (فإن دعتك نفسك) أي الأمارة اللوامة (إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثقالًا لذلك) أي معتقدًا ثقل ذلك المذكور.

=في مسند الفردوس، وفيه نكارة.

فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس في قلبك الداءَ الدفينَ وهو حب المال والجاه؛ فإياك أن تغتر به فتكون ضُحَكَةً له فيُهْلِكَكَ ويسخرَ منك؛ فإن جربت نفسك مدة في الأوراد والعبادات فكانت لا تستثقلها كسلاً عنها لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية، ولكن الشأن في صحة النية فإن لم تصح فهو مَعْدِنُ غرور الجهال ومزِلَّةُ أقدام الرجال.

(فاعلم أن الشيطان اللعين) أي البعيد عن الخير (قد دس) أي أخفى (في قلبك الداء الدفين وهو حب المال والجاه) أي القدر (فإياك) أي احذر تلافيك (أن تغتر به) أي تظن الأمن من الشيطان فلا تتحفظ منه (فتكون ضحكة) بضم الضاد وفتح الحاء أي كثير الضحك (له) أي الشيطان (فيهلكك ويسخر) أي يهزأ (منك) وفي بعض النسخ: «بك» فإن السخر يتعدى بمن والباء (فإن جربت نفسك مدة) أي زمانًا طويلاً (في الأوراد والعبادات) أي النافلة (فكانت لا تستثقلها كسلاً) بفتح السين أي تثاقلاً فهو مفعول مطلق (عنها لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك) أي تحصيل العلم (أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية) بأن لا تقصد في تعلم العلم إلا القيام بإحياء الشريعة ونشرها فهذا العمل مع هذه النية أفضل من صيام النهار وقيام الليل ومن الخلوة والرياضة ومن كل شيء غيره، ولو اقتصر صاحبه على الفرائض مع هذه النية الصالحة كان أفضل من غيره بأضعاف مضاعفة لأن النفع المتعدي أعظم من النفع القاصر (ولكن الشأن) أي الأمر المعتد به (في صحة النية فإن لم تصح) أي النية (فهو) أي تحصيل العلم (معدن) أي موضع (غرور الجهال) والغرور بفتح الغين معناه الدنيا أو الشيطان وبضمها معناه الأباطيل كما في القاموس (ومزلة أقدام الرجال) أي العلماء.

الحالة الثانية: أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة فذلك من درجاتِ العابدين وسِيَرِ الصالحين وتكون أيضًا بذلك من الفائزين.

الاشتغال بوظائف العبادات

(الحالة الثانية: أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين) في التدريس للطلبة والاستفادة من العالم (ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة فذلك) أي الاشتغال بالعبادات (من درجات العابدين) المتجردين للعبادة (وسير الصالحين) أي طريقتهم؛ فالسير -بكسر السين وفتح الياء- جمع سيرة -بسكون الياء- بمعنى الطريقة والحالة والهيئة.

(وتكون أيضًا بذلك) أي الاشتغال (من الفائزين) فقد كان في الصحابة مَنْ وِرْدُهُ في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفًا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة، وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختمه الواحد منهم في اليوم مرة، وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها، وكان كُرْز بن وَبْرَة[١٥٨] مقيمًا بمكة يطوف في كل يوم سبعين أسبوعًا[١٥٩] وفي كل ليلة سبعين أسبوعًا، وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين.

واعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائمًا مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص، ومقصود الأوراد تطهير القلب بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرًا

---

(١٥٨) كُرز بن وبرة الحارثي، تابعي من أهل الكوفة، وأحد الأولياء، يضرب به المثل في التعبد، وكان لا ينزل منزلاً إلا ابتنى فيه مسجدًا وقام يصلي فيه، دخل جرجان غازيًا مع يزيد بن المهلب سنة ٩٨هـ ثم سكنها وتوفي بها نحو ١١٠ هـ (اهـ الوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٥٣، الأعلام ٥/ ٢٢١).

(١٥٩) الأسبوع من الطواف: سبع مرات والجمع أسابيع (المعجم الوسيط مادة سبع).

الحالة الثالثة: أن تشتغل بما يصل منه خيرٌ إلى المسلمين ويَدْخُل به سرورٌ على قلوب المؤمنين أو يتيسر به الأعمالُ الصالحةُ للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد في أشغالهم والسعي في إطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلاً على المرضى بالعيادة وعلى الجنائز بالتشييع؛ فكل ذلك أفضل من النوافل فإن هذه عبادات وفيها رفق للمسلمين.

فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره لأن الملال هو الغالب على الطبع هكذا في «الإحياء».

الاشتغال بما يصل منه خير إلى المسلمين

(الحالة الثالثة: أن تشتغل بما يصل منه خير إلى المسلمين ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين) من قضاء حاجة لهم ومعاونة معهم على بر وتقوى، وقد ورد في الخبر أن أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين[١٦٠] (أو) تشتغل بما (يتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد في أشغالهم) جمع شغل بضم الشين والغين وبإسكان الغين وبه مع فتح الشين وبفتحتين ففيه أربع لغات (والسعي) أي التصرف (في إطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلاً على المرضى) جمع مريض (بالعيادة) أي الزيارة (وعلى الجنائز بالتشييع) أي الاتباع إلى المقابر (فكل ذلك أفضل من النوافل فإن هذه عبادات) الفاء للتعليل كما في نسخة (وفيها رفق) أي نفع (للمسلمين) كما قال الجيلاني[١٦١]: ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولكن وصلت

---

(١٦٠) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٢٣) (٧٦٧٩) بلفظ: «من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن يقضي عنه دينًا يقضي له حاجة ينفس عنه كربة»، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٤٥) (٧٩١١) بلفظ: «إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم» قال في مجمع الزوائد: وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وثقه ابن حبان وضعفه غيره.

(١٦١) عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو=

الحالة الرابعة: أن لا تقوى على ذلك فاشتغل بحاجاتك اكتسابًا على نفسك أو على عيالك وقد سَلِمَ المسلمون منك وأَمِنُوا من لسانك ويدك وسَلِمَ لك دِينُك إذا لم ترتكب معصية؛ فتنال بذلك درجةَ أصحاب اليمين إن لم تكن من أهل الترقي إلى مقامات السابقين؛ فهذا أقل الدرجات في مقامات الدين........

إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر.

الاشتغال بالحاجات اكتسابًا

(الحالة الرابعة: أن لا تقوى) أي لا تقدر (على ذلك) أي على الحالة الثالثة أو على المذكور من الحالات الثلاث المتقدمة (فاشتغل بحاجاتك اكتسابًا على نفسك أو عيالك) أي أهل بيتك ومن تمونه لأنه ليس لك أن تضيع العيال وتستغرق الأوقات في العبادات وكان وردك حضور السوق والاشتغال بالكسب (وقد سلم المسلمون منك) الواو للحال (وأمنوا من لسانك ويدك) وهذا عطف تفسير على ما قبله (وسلم لك دينك إذا لم ترتكب) أي لم تأت (معصية) في حال اكتسابك وفي غيره (فتنال بذلك) أي الاكتساب (درجة أصحاب اليمين) وهم المقتصدون في العبادات (إن لم تكن من أهل الترقي إلى مقامات السابقين) وهم المسارعون في العبادات مع ضم التعليم والتعلم (فهذا) أي الكسب بتلك الصفة (أقل الدرجات في مقامات الدين) أما إذا داومت على الكسب ولم تنس ذكر الله تعالى في صناعتك بأن تواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن وتتصدق بما فضل عن حاجتك فذلك أفضل من سائر الأذكار التي ذكرت هنا لأن العبادة المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة، والكسب على هذه النية عبادة لك في نفسك

=الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان وراء طبرستان، وانتقل إلى بغداد شابًا فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، برع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر، وتوفي ببغداد سنة (٥٦١هـ) من كتبه: الفتح الرباني وفتوح الغيب. (اهـ الأعلام ٤/٤٧).

...وما بعد هذا فهو من مراتع الشياطين، وذلك بأن تشتغل - والعياذ بالله- بما يهدم دينك أو تؤذي عبدًا من عباد الله تعالى فهذه رتبة الهالكين؛ فإياك أن تكون في هذه الطبقة.

واعلم أن العبد في حق دينه على ثلاث درجات: إما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي، أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل، أو خاسر وهو المقصر عن اللوازم؛

تقربك إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة الغير وينجذب إليك بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر (وما بعد هذا) أي المذكور من الحالة الرابعة (فهو من مراتع الشياطين) أي من محال تنعمهم واتساعهم (وذلك) أي ما بعد المرتبة الرابعة (بأن تشتغل -والعياذ بالله- بما يهدم دينك) أي من إتيان الذنوب في حق الله تعالى (أو تؤذي عبدًا من عباد الله تعالى) بقول أو فعل (فهذه مرتبة الهالكين فإياك) أي احذر (أن تكون في هذه الطبقة) أي الحالة والمرتبة، وقد قيل: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

درجات العبد في حق دينه

(واعلم أن العبد في حق دينه على ثلاث درجات) أي طبقات من المراتب (إما سالم) من الإثم (وهو المقتصر على أداء الفرائض) أي المكتفي به (وترك المعاصي أو رابح) للآخرة (وهو المتطوع) أي المتبرع (بالقربات) وهي اسم لما يتقرب بها إلى الله تعالى (والنوافل أو خاسر) أي هالك آثم (وهو المقصر) أي المتواني (عن اللوازم) أي في الواجبات فعن بمعنى في؛ قال الله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي في التقصير بالعمل ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ أي يعمل في أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فَاطِر: الآية ٣٢] وهو من يضم إلى العمل التعليمَ والإرشادَ إلى العمل، وقال أبو بكر الوراق: أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فإذا عصى دخل في حياز الظالمين فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين فإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في أعداد السابقين

فإن لم تقدر أن تكون رابحًا فاجتهد أن تكون سالمًا وإياك. . . .
. . .ثم إياك أن تكون خاسرًا.

والعبد في حق سائر العباد له ثلاث درجات:

الأولى: أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة وهو أن يسعى في أغراضهم رفقًا بهم وإدخالًا للسرور على قلوبهم.

(فإن لم تقدر أن تكون رابحًا) أي بالنوافل (فاجتهد أن تكون سالمًا) بأدائك الواجبات واجتنابك للمخالفات (وإياك) أي احذر (ثم إياك) توكيد للأول (أن تكون خاسرًا) بعدم الاعتناء في الفرائض وإن كان العبد يدخل الجنة بفضل الله ولكن بعد أن يستعد بطاعته لأن رحمة الله قريب من المحسنين كما حكي أن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأرسل الله إليه ملكًا يخبره بأنه مع تلك العبادة لا يليق به الجنة فلما بلغه قال العابد: نحن خُلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبده فلما رجع الملك قال: إلهي أنت تعلم بما قال فقال الله تعالى: إذ هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له.

درجات العبد في حق سائر العباد

(والعبد في حق سائر العباد له) أي العبد. (ثلاث درجات) أي مراتب (الأولى: أن ينزل) أي العبد أي يقام (في حقهم) أي سائر العباد (منزلة) أي موضع (الكرام) أي على الله تعالى (البررة) أي الصادقين المطيعين وهو جمع بار (من الملائكة وهو) أي العبد المنزل منزلة الملائكة (أن يسعى) أي يعمل (في أغراضهم) أي مقاصدهم (رفقًا) أي نفعًا وإعانة (بهم وإدخالاً للسرور على قلوبهم) كما روي في الحديث: «ما عبد الله بشيء أفضل من جبر الخاطر»(١٦٢).

---

(١٦٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن قال السخاوي في المقاصد الحسنة حديث رقم (٩٦٥): حديث: «ما عبد الله بشيء أفضل من جبر القلوب»: لا أعرفه في المرفوع، وفي كتاب الجد الحثيث للعامري أنه ليس بحديث. قال في كشف الخفاء (٢/ ٢٤٧): والمشهور على الألسنة: «ما عبد الله بشيء أفضل من جبر الخواطر» بدل «القلوب».

الثانية: أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره ولكن يكف عنهم شره.

الثالثة: أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يُرْجَى خيرُهُ ويُتَّقَى شَرُّهُ فإن لم تقدر على أن تلتحق بأفق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب والحيات والسباع الضاريات؛ فإن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين فلا تَرْضَ لها بالهُوِيِّ إلى أسفل سافلين فلعلك تنجو كَفافًا لا لك ولا عليك؛ فعليك في بياض نهارك أن لا

(الثانية: أن ينزل) أي العبد (في حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره) أي العبد؛ فخير فاعل، وفي نسخة: «فلا ينيلهم»، وعلى هذه النسخة فخيره مفعول ثان (ولكن يكف) أي العبد (عنهم شره) أي لا يفعل ما يؤذيهم بقول وفعل (الثالثة: أن ينزل) أي العبد (في حقهم منزلة العقارب والحيات) أي الأفاعي (والسباع الضاريات) أي المجترئات، ويقع السبع على كل ما له ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر (لا يرجى خيره ويتقى شره فإن لم تقدر) بكسر الدال وضمها كما في «المصباح» وفتحها في لغة قليلة في «الصحاح» (على أن تلتحق) أي تتشبه (بأفق الملائكة) أي بكرامهم وفواضلهم (فاحذر أن تنزل) أي تحط (عن درجة) العبد المتوسط وهي مرتبة (البهائم والجمادات إلى مراتب) العباد السافلين وهي مراتب (العقارب والحيات والسباع الضاريات) أي العادِيَة (فإن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين) وهي درجة الملائكة إلى درجة المتوسطين (فلا ترض لها) أي لنفسك (بالهوى) بضم الهاء وفتحها مع كسر الواو وتشديد الياء أي السقوط (إلى أسفل سافلين) وهي درجة الحيوانات الفواسق (فلعلك تنجو كفافًا) بفتح الكاف أي مقدار حاجتك من غير نقص ولا زيادة كما بيَّن المصنف معنى الكفاف بقوله: (لا لك ولا عليك) أي لا ينفعك أحد كما لا تنفعه ولا يضرك أحد كما لا تضره (فعليك في بياض) أي أوقات (نهارك أن لا

تشتغلَ إلا بما ينفعك في معادك أو معاشك الذي لا تَسْتَغْني عن الاستعانة به على معادك؛ فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم فالعزلة أولى فعليك بها ففيها النجاةُ والسلامةُ فإن كانت الوساوسُ..................

تشتغل إلا بما ينفعك في معادك) أي مرجعك وهو الآخرة (أو معاشك) أي مكتسبك الذي تعيش بسببه (الذي لا تستغني عن الاستعانة به) أي المعاش (على معادك) فإن كنت تاجرًا فينبغي أن تتجر بصدق وأمانة وإن كنت صاحب صناعة فبنصح وشفقة، ولا تنس ذكر الله تعالى في جميع أشغالك واقتصر من الكسب على قدر حاجتك ليومك مهما قدرت على أن تكتسب في كل يوم لقوتك فإذا حصلت كفاية يومك فلترجع إلى بيت ربك ولتتزود لآخرتك فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل: لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابد منها[١٦٣].

(فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم) من المعاصي الأربعة التي يتعرض الإنسان لها غالبًا بالمخالطة وتسلم منها بالخلوة وهي الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا (فالعزلة أولى) أي أحق لك (فعليك) أي الزم (بها) أي العزلة (ففيها) أي لأن في العزلة (النجاة) أي الخلاص مما مر ومن الفتن والخصومات ومن شر الناس ومن مشاهدة الثقلاء (والسلامة) من طمع الناس فيك ومن طمعك في الناس فإن انقطاع طمع الناس عنك فيه فوائد؛ فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى وإن انقطاع طمعك عنهم فيه فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يَشْتَهِ ولم يطمع (فإن كانت الوساوس) أي أحاديث

---

(١٦٣) من كلام خليد بن عبد الله العصري كما في شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٤١٦).

. . .في العزلة تجاذبك إلى ما لا يرضي الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا، إذا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة في الهزيمة؛ فَأَخِسّ بحالِ مَنْ سلامةُ دينه في تعطيل حياته؛ إذ النوم أخو الموت وهو تعطيلُ الحياة والتحاقٌ بالجمادات.

النفس حال كونك (في العزلة تجاذبك) أي تنازعك (إلى ما لا يرضي الله تعالى ولم تقدر على قمعها) أي قهرها وإذلالها (بوظائف العبادات فعليك) أي الزم وتمسك (بالنوم فهو) أي النوم (أحسن أحوالك وأحوالنا إذا عجزنا عن الغنيمة) وهو ما نيل من أهل الشرك عَنْوَةً (رضينا بالسلامة) من الهلاك (في الهزيمة) أي الغلبة، والمعنى: إذا لم تقدر على إتيان الأعمال الصالحة فلا تأت الأعمال الفاسدة (فأخس) بكسر الخاء المعجمة وتشديد السين (بحال من سلامة دينه في تعطيل حياته) أي من العبادات، وقوله: «أخس» فعل تعجب ماض ومجيئه على صورة الأمر، وقوله: «بحال» فاعل والباء زائدة لتحسين اللفظ لأن مجيء المرفوع بعد صورة الأمر قبيح ويدل على ذلك ما في بعض النسخ: «فما أخس حال من سلامة دينه في تعطيل حياته» أي خسة حال من ذكر أمر يتعجب منه، وعلى هذه النسخة فقوله: «حال» مفعول وحمل شيخنا يوسف السنبلاويني على أن قوله في النسخة الأولى «فأخس» فعل أمر فكان قوله: «بحال» مفعول له فالباء للملابسة، والمعنى: ارض بالأمر الخسيس أي الحقير متلبسًا بحال من ذكر.

(إذ النوم أخو الموت وهو) أي النوم (تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات) وذكر أبو طالب المكي خلافًا في اليقظة المجردة عن سائر العبادات من الذكر وغيره والنوم الذي ليس للتقوي على طاعة الله تعالى وليس لأجل ترك معصية فقيل: اليقظة أفضل من ذلك النوم لأنه نقص، وقيل: النوم أولى لأنه قد يرى فيه الله تعالى أو النبي أو الصالحين، وأما النوم الذي على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل فهو قربة(١٦٤).

---

(١٦٤) كما قال معاذ بن جبل: إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي كما في صحيح=

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغي أن تستعدَّ لصلاة الظهر قبل الزوال فتقدِّمَ القَيْلُولَةَ إن كان لك قيامٌ في الليل أو سهرٌ في الخير فإن فيها معونةً على قيام الليل كما أن في السحور معونةً على صيام النهار، والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار؛ فإذا قِلْتَ فاجتهدْ أن تستيقظَ قبل الزوال وتتوضأَ وتحضرَ المسجدَ . . . .

(آداب الاستعداد)

أي التهيؤ (**لسائر الصلوات** ينبغي) أي يطلب (أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال فتقدم القيلولة) أي النوم في نصف النهار وهي سنة في غير يوم الجمعة (إن كان لك قيام في الليل) أي صلاة التهجد، وهي صلاة التطوع في الليل بعد النوم، ولا حد لعدد ركعاته لقوله ﷺ لأبي ذر: **«الصلاةُ خيرُ موضوعٍ استكْثِرْ أو أَقِلّ»** رواه ابن حبان والحاكم[١٦٥] أي الصلاة أفضل شيء موضوعٍ أي مشروع من المندوبات (أو سهر) بفتح الهاء أي أرق (في الخير) من الذكر ومطالعة الكتب بحيث لو لم تنم لم تشتغل بخير (فإن فيها) أي القيلولة (معونة على قيام الليل كما أن في السحور معونة على صيام النهار) كما قال رسول الله ﷺ: **«استعينوا بالقيلولةِ على قيام الليلِ وبالسُّحورِ على صيام النهارِ وبالتَّمْرِ والزَّبيبِ على بَرْدِ الشتاءِ»** رواه أبو داود[١٦٦] (والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور). وفي بعض النسخ: «كالتسحر» (من غير صيام بالنهار فإذا قِلت) بكسر القاف أي نمت في وقت الظهيرة (فاجتهد أن تستيقظ) أي تنتبه (قبل الزوال) بقدر الاستعداد للصلاة بما ذكره المصنف بقوله: (وتتوضأ وتحضر المسجد) أي قبل دخول وقت الصلاة

=ابن حبان (١٢/ ١٩٦) (٥٣٧٦).

(١٦٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) (٣٦١)، والحاكم في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين (٢/ ٦٥٢) (٤١٦٦) بنحوه ضمن حديث.

(١٦٦) لم أعثر عليه عند أبي داود، وأخرج نحوه ابن ماجه في سننه في كتاب الصيام=

. . . وتصلي تحيةَ المسجد وتنتظرَ المؤذنَ فتجيبَهُ ثم تقوم فتصليَ أربعَ ركعاتٍ عقبَ الزوالِ، كان رسول الله ﷺ يُطَوِّلُهُنَّ ويقول: «**هذا وقتٌ تُفْتَحُ فيه أبوابُ السماءِ فَأُحبُّ أن يُرْفَعَ لي فيه عَمَلٌ صالحٌ**» وهذه الأربع قبل الظهر سُنَّةٌ مؤكدةٌ ففي الخبر «أن من صلاهن فَأَحْسَنَ ركوعَهُنَّ وسجودَهُنَّ صلى معه سبعون ألف ملكٍ يستغفرون له إلى الليلِ» . . . .

فإن ذلك من فضائل الأعمال وإن لم تنم ولم تشتغل بالكسب واشتغلت بالصلاة والذكر فهو أفضل أوقات النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا كذا في «الإحياء» (وتصلي تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه) كما تقدم بيان ذلك كله (ثم تقوم) إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة (فتصلي أربع ركعات عقب الزوال) بتسليمة واحدة، ومذهب الشافعي أنها مثنى مثنى كسائر النوافل وهو الذي صح فيه الأخبار كذا في «الإحياء» (كان رسول الله ﷺ يطولهن) أي هذه الركعات (ويقول: «**هذا**) أي وقت الزوال (**وقت تفتح فيه أبواب السماء فأحب أن يرفع لي فيه**) أي في هذا الوقت (**عمل صالح**») كما رواه أبو أيوب الأنصاري[١٦٧].

(وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة) أي على قول، والراجح أن الركعتين قبل الظهر آكد من جملة الأربعة كما في «الإحياء» وهذا هو المعتمد (ففي الخبر) الوارد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (أن من صلاهن) أي أربع ركعات بعد زوال الشمس (فأحسن ركوعهن وسجودهن) أي وقراءتهن (صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى الليل)[١٦٨] وفي الحديث عند الخطيب البغدادي[١٦٩] عن أنس

=باب: ما جاء في السحور (١٦٩٣)، والحاكم في المستدرك (١/٥٨٨) (١٥٥) عن ابن عباس، دون قوله: «وبالتمر والزبيب على برد الشتاء».

(١٦٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/٤١٨) (٢٣٥٩٧)، والحاكم في المستدرك (٣/٥٢١) (٥٩٤٠).

(١٦٨) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/٣٤٩): ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغًا من حديث أبي مسعود، ولم أره من حديث أبي هريرة.

(١٦٩) الخطيب البغدادي (٣٩٢. ٤٦٣هـ) أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر،=

. . . ثم صلِّ الفرضَ مع الإمام ثم صلِّ بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة، ولا تشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم أو إعانة مسلم أو قراءة قرآن أو سعي في معاش لتستعينَ به على دينك . . . .

«من صلى قبل الظهر أربعًا غفر له ذنوب يومه ذلك»[١٧٠] وفيه عن الطبراني عن رجل أنصاري «من صلى قبل الظهر أربعًا كان كعدل رقبة من بني إسماعيل»[١٧١] أي كان ثواب ذلك مثل ثواب عتق نسمة من بني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام (ثم صل الفرض مع الإمام) بجماعة (ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب) المؤكدات (الثابتة) أي الواردة عن النبي ﷺ وزد بعدهما ركعتين غير مؤكدتين لحديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أم حبيبة **«مَنْ حَافَظَ على أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ وأربعٍ بعدها حرَّمهُ اللهُ على النارِ»**[١٧٢] أي منعه من دخولها.

وقال الغزالي: ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة (ولا تشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم) إما بالحضور عند المدرس أو بمطالعة كتب (أو إعانة مسلم) لقوله ﷺ: **«واللهُ في عَوْنِ العبدِ ما دام العبدُ في عونِ أخيه»**[١٧٣] والمعنى: والله معين للعبد إعانة كاملة ما دام العبد معينًا لأخيه (أو قراءة قرآن أو سعي في معاش لتستعين به) أي المعاش (على دينك) أو فنون الخير

=المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، نشأ في بغداد وتوفي فيها، من تصانيفه: تاريخ بغداد (اهـ الأعلام (١/ ١٧٢)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٣)).

(١٧٠) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨) (٥٣٦٧).

(١٧١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢٢/ ٣٨٧) (٩٦٥).

(١٧٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: الأربع قبل الظهر وبعدها (١٢٦٩)، والترمذي في كتاب الصلاة باب: منه آخر (٤٢٨)، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب: الاختلاف على إسماعيل بن أبي خالد (١٨١٦).
وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: ما جاء فيمن صلى قبل الظهر أربعًا وبعدها (١١٦٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٦) (١١٧٥).

(١٧٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار=

. . . ثم صَلِّ أربعَ ركعات قبل العصر فهي سنة مؤكدة؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ امرأً صلى أربعًا قبلَ العصرِ» فاجتهد أن ينالك دعاؤه ﷺ، ولا تشتغل بعد العصر إلا بمثل ما سبق قبله، ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة.

وكن في انتظار الصلاة معتكفًا؛ فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف (ثم صل أربع ركعات قبل العصر) وبعد جواب المؤذن (فهي) أي هذه الأربع (سنة مؤكدة) أي من حيث رجاء الدخول في دعوة رسول الله ﷺ الآتية فإن دعوته تستجاب لا محالة لا من حيث مواظبته ﷺ عليهن فإنه لم يواظب على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر كذا في «الإحياء» ولذلك كانت هذه الأربعة من الرواتب غير المؤكدة عند الشافعي كما أفاده العزيزي.

(فقد قال رسول الله ﷺ: «رحم اللهُ امرأً») وفي رواية «عبدًا» («صلى أربعًا قبل العصرِ») رواه الترمذي وابن حبان عن عمر(١٧٤) (فاجتهد أن ينالك دعاؤه ﷺ) بالرحمة بأدائك هذه النافلة (ولا تشتغل بعد العصر إلا بمثل ما سبق قبله) أي العصر (ولا ينبغي) أي لا يليق (أن تكون أوقاتك مهملة) أي متروكة بلا فائدة، وفي هذا الوقت يُكره النوم(١٧٥).

قال بعض العلماء: ثلاث يمقت الله عليها: الضحك بغير عجب والأكل من

=باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩).

(١٧٤) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: الصلاة قبل العصر (١٢٧١)، والترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في الأربع قبل العصر (٤٣٠) وقال: حديث غريب حسن، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٢٠٦) (٢٤٥٣)، والحديث مروي فيها جميعًا عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

(١٧٥) النوم بعد العصر جائز ومباح، ولم يصح عن النبي ﷺ نهي عن النوم في هذا الوقت، وأما ما ينسب إلى النبي ﷺ أنه قال: «من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه» فقد رواه ابن حبان في الضعفاء والمجروحين (١/ ٢٨٣) عن عائشة=

فتشتغلَ في كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغي أن تحاسب نفسَكَ وترتب أورادَكَ في ليلك ونهارك وتُعَيِّن لكل وقت شغلاً لا تتعداه ولا تُؤْثر فيه سواه فبذلك تظهر بركةُ الأوقات؛ فأما إذا تركت.....

غير جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل (فتشتغل في كل وقت بما اتفق) أي صلح فيه (كيف اتفق) أي على أي مقدار صلح (بل ينبغي) أي يطلب لك (أن تحاسب نفسك) على الهفوات والزلات، وأقل ذلك في اليوم من بعد الظهر أو العصر إلى الليل، وكان بعضهم يقيد حركاته في نهاره في كتاب فإذا أمسى جعله بين عينيه وحاسب نفسه على ما فيه، وبعضهم كان يحاسبها على خواطره في اليوم والليلة ففي تلك المحاسبة بركة عظيمة كذا أفاده عبدالله الشرقاوي[١٧٦] في ربيع الفؤاد[١٧٧] (وترتب أورادك) وفي نسخة: «وظائفك» أي أعمالك المقدرة (في ليلك ونهارك) فأوراد النهار قد مضى ذكرها وأوراد الليل تأتي في كلامه كأوراد ما بعد اصفرار الشمس (وتعين لكل وقت شغلاً) أي وظيفة (لا تتعداه) أي لا تتجاوزه إلى غيره (ولا تؤثر) أي لا تختر ولا تقدم، وفي نسخة: «ولا تودع» أي تجعل (فيه) أي ذلك الوقت (سواه) أي ذلك الشغل (فبذلك) أي الترتيب أو التعيين، وفي نسخة: «ففيه» (تظهر بركة الأوقات فأما إذا تركت) أي جعلت فهو

=مرفوعًا، وفي إسناده: خالد بن القاسم كذاب، وقد رواه ابن عدي من طريق أخرى من حديث عبدالله بن عمرو، وفي إسناده: ابن لهيعة وفيه ضعف، وأخرجه ابن السني من حديث عائشة بإسناد آخر، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٦٩) وقال: لا يصح ، خالد كذاب، والحديث لابن لهيعة فأخذه خالد ونسبه إلى الليث، ولكن قال الشوكاني: دعوى أن الحديث موضوع مجازفة.

(١٧٦) الشرقاوي (١١٥٠-١٢٢٧هـ) عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري الشافعي الخلوتي فقيه من علماء مصر ولد في الطويلة (من قرى الشرقية بمصر) وتعلم في الأزهر وولي مشيخته سنة ١٢٠٨هـ من تصانيفه: الجواهر السنية على العقائد المشرقية، (اهـ الأعلام (٤/ ٧٨)، معجم المؤلفين(٦/ ٤١)).

(١٧٧) ربيع الفؤاد في ترتيب صلوات الطريق والأوراد (كتاب في التصوف) مصر طبع حجر ١٢٨٦هـ وهو شرح على حكم ابن عطاء الله الإسكندري (اهـ معجم المطبوعات (١/ ١١١٦)).

. . .نفسك سُدًى مُهْمَلاً إهمالَ البهائم لا تدري بماذا تشتغل في كل وقت فينقضي أكثرُ أوقاتك ضائعًا، وأوقاتُك عمرُك، وعُمْرُكَ رأسُ مالك وعليه تجارتُك وبه وصولُك إلى نعيمِ دارِ الأبدِ في جوار الله تعالى؛ فكل نَفَسٍ من أنفاسك جوهرةٌ لا قيمة لها إذ لا بدلَ له؛ فإذا فات فلا عَوْدَ له؛ فلا تكن كالحمقى المغرورين. . .

متعد لمفعولين (نفسك سدى) بضم السين أي لاغيًا بلا أوراد (مهملًا) أي متروكًا (إهمال البهائم) التي (لا تدري) أي البهائم (بماذا تشتغل) أي البهائم (في كل وقت فينقضي) أي يذهب (أكثر أوقاتك ضائعًا) أي هالكًا (وأوقاتك عمرك وعمرك رأس) أي أصل (مالك وعليه) أي المال (تجارتك) أي تصرفك في البيع والشراء (وبه) أي المال (وصولك إلى نعيم دار الأبد في جوار) بكسر الجيم (الله تعالى) أي في الجنة (فكل نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن (من أنفاسك جوهرة) أي مثل جوهرة أي حجر ينتفع به (لا قيمة لها) أي الجوهرة (إذ لا بدل له) أي لذلك النفس (فإذا فات) أي ذهب النفس عنك (فلا عود له) فينبغي لك الأدب معه تعالى ومراقبته تعالى في كل نفس من أنفاسك؛ فتكون في كل نفس سالكًا طريقًا إليه تعالى وهو معنى قولهم: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق». قال بعضهم: «إن اليوم ينادي كل وقت بقوله: يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا بما عملتَ فيه شهيد فاغتنمني فإنك لا تدركني إذا غربت الشمس»(١٧٨).

(فلا تكن كالحمقى) بالقصر وهو جمع أي كالقوم الذين فسد عقلهم (المغرورين)

---

(١٧٨) هذا القول حديث نبوي ولفظه: عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه: يابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدًا شهيد فاعمل فيّ خيرًا أشهد لك به غدًا فإني لو قد مضيت لم ترني أبدًا قال: ويقول الليل مثل ذلك».

أخرجه الرافعي من طريق أبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي (٢/ ٩٣) ، وأخرجه=

...الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم؛ فأيُّ خيرٍ في مال يزيد وعمر ينقص؟! ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فإنهما رفيقاك يصحبانك في القبر حيث يتخلف عنك أهلُك ومالُك وولدُك وأصدقاؤك.

ثم إذا اصفرت الشمس فاجتهد أن تعودَ إلى المسجد قبل الغروب وتشتغلَ بالتسبيح والاستغفار؛ فإن فَضْلَ هذا الوقت كفضل ما قبل الطلوع؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: الآية ١٣٠].

بالدنيا والشيطان (الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأي خير في مال يزيد) كل يوم (وعمر ينقص) في كل لحظة (ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فإنهما رفيقاك يصحبانك في القبر) ويؤنسانك فيه (حيث يتخلف) أي يتأخر (عنك أهلك) أي زوجتك كما في «المصباح» (ومالك وولدك وأصدقاؤك) كقول الشاعر: من بحر الطويل:

تــزوَّدْ قــريــنًــا مــن فِــعــالِكَ إنــمــا
قرينُ الفتى في القبرِ ما كان يعمل

(ثم إذا اصفرت الشمس) بأن تقرب من الأرض (فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب وتشتغل) في ذلك الوقت (بالتسبيح والاستغفار) مثل سبحان الله العظيم وبحمده ومثل أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة، والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحسن كقوله: أستغفر الله إنه كان غفارًا أستغفر الله إنه كان توابًا، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين كذا في «الإحياء».

(فإن فضل هذا الوقت كفضل ما قبل الطلوع قال الله تعالى): في سورة طه (﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾) أي اشتغل بتنزيه الله تعالى

=أيضًا الديلمي (٣/ ٣٨٢) (٥١٦٢) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠٣).

واقرأ قبل غروب الشمس ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: الآية ١]، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ [الليل: الآية ١] والمعوذتين، ولْتَغْرُبْ عليك الشمسُ وأنت في الاستغفار فإذا سمعت الأذانَ فأجبه وقل بعده: «اللهم إني أسألُك عندَ إقبالِ ليلِكَ وإدبارِ نهارِك وحضورِ صلاتِكَ وأصواتِ دُعاتِكَ أن تُؤتيَ محمدًا الوسيلَةَ.. الدعاءَ كما سبق.

في طرفي النهار كما قاله أبو مسلم (واقرأ قبل غروب الشمس) أربع سور (والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والمعوذتين) بكسر الواو كما قاله القسطلاني؛ فمن قرأ سورة «والشمس» رزقه الله الفهم الذكي والفطنة في جميع الأشياء، ومن تلا سورة «والليل» حُفظ من هتك الستر، ومن تلا سورة الفلق وُقي السوء، ومن تلا سورة الناس عُصم من البلايا وأعيذ من الشيطان، ومن داوم على قراءتها كان رزقه كالمطر (ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار) الواو للحال كذا في أكثر النسخ كما في «الإحياء» وفي نسخة: «ولا تغرب عليك الشمس إلا وأنت في الاستغفار» (فإذا سمعت الأذان فأجبه وقل بعده اللهم إني أسألك) أي أطلب منك (عند إقبال ليلك وإدبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك) بالتاء جمع داع اسم فاعل (أن تؤتي) أي تعطي (محمدًا الوسيلة) وهي منزلة في الجنة (الدعاء) أي اقرأ الدعاء بتمامه (كما سبق) أي في دعاء الصبح، وفي سنن أبي داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب: **اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك اغفر لي**»[(١٧٩)] هكذا في «الأذكار» وهذا موافق لما في «الإحياء».

قال الغزالي: فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله فإن ساوى يومُهُ أمسَهُ فيكون مغبونًا وإن كان شرًا منه فيكون ملعونًا فإن رأى نفسه متوافرًا على الخير جميع نهاره فليشكر الله تعالى على توفيقه وليشكره تعالى على صحة جسمه وبقاء عمره.

---

(١٧٩) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: ما يقول عند أذان المغرب (٥٣٠)، والترمذي في كتاب الدعوات باب: دعاء أم سلمة (٣٥٨٩).

ثم صَلِّ الفرضَ بعد جواب المؤذن والإقامة وصل بعده قبل أن تتكلم ركعتين فهما راتبا المغرب، وإن صليت بعدهما أربعًا تُطيلُهُنّ فهن أيضًا سنة، وإن أمكنك أن تنويَ الاعتكافَ إلى العشاء وتحيي ما بين العشاءين بالصلاة فافعلْ. . . . .

(ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والإقامة) أي وبعد ركعتين خفيفتين فهما قبل المغرب سنة غير مؤكدة كما صححه النووي (وصلِّ بعده) أي الفرض (قبل أن تتكلم) وقبل أن تشتغل بشيء (ركعتين) تقرأ فيهما «قل يا أيها الكافرون» و«قل هو الله أحد»[١٨٠] (فهما راتبا المغرب) مؤكدة (وإن صليت بعدهما أربعًا تطيلهن فهن أيضًا سنة) وهي سنة الأوابين (وإن أمكنك أن تنوي الاعتكاف إلى العشاء وتحيي ما بين العشاءين بالصلاة فافعل) فإن غاية صلاة الأوابين عشرون ركعة، وقيل: ست ركعات[١٨١] كما أفاده البجيرمي وكما قال الغزالي في «الإحياء» ونقل من فعل رسول الله ﷺ بين العشاءين ست ركعات، وقال البجيرمي: نقل عن الرملي، وصلاة الأوابين عشرون بين المغرب والعشاء، ورويت ستًّا وأربعًا وركعتين فهما أقلها[١٨٢].

---

(١٨٠) أخرج الترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في الركعتين بعد المغرب والقراءة فيهما (٤٣١) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «ما أحصي ما سمعت من رسول الله يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وأخرجه النسائي في كتاب الافتتاح باب: القراءة في الركعتين بعد المغرب (٩٩٢).

(١٨١) أخرج الطبراني في الأوسط (٧/ ١٩١) (٧٢٤٥) وفي الصغير (٢/ ١٢٧) (٩٠٠) عن محمد بن عمار بن محمد بن عمار بن ياسر قال: حدثني أبي عن جدي قال: رأيت عمار بن ياسر صلى بعد المغرب ست ركعات فقلت: يا أبه ما هذه الصلاة؟ قال: رأيت حبيبي رسول الله ﷺ صلى بعد المغرب ست ركعات، وقال: «من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

(١٨٢) أخرج الطبراني في الكبير (١٢/ ١٢) (١٢٣٢٣) عن ابن عباس أن النبي ﷺ=

. . . .فقد ورد في فضل ذلك ما لا يُحْصى وهي ناشئة الليل لأنه أول نشأته وهي صلاة الأوّابين. . . . .

(فقد ورد في فضل ذلك) أي إحياء ما بين العشاءين بالصلاة والقرآن كما في «الإحياء» (ما لا يحصى)[١٨٣] قال الغزالي في «الإحياء»، من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقًّا على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسًا لو طافه أهل الأرض لوسعهم[١٨٤]، وقال أيضًا: وإن كان المسجد قريبًا من منزلك فلا بأس أن تصلي تلك الصلاة في بيتك إن لم يكن عزمك العكوف في المسجد (وهي) أي هذه الأربع أو ما بين العشاءين، في بعض النسخ: «وهو» بالتذكير (ناشئة الليل) المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المُزمّل: الآية ٦] أي إن بدء الليل بالصلاة أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات وأعظم سدادًا من جهة وقعه في القلوب لحضور القلب لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة، وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: هو ناشئة الليل كما في «السراج المنير» (لأنه) أي ما بين العشاءين (أول نشأته) بالهمزة دون الواو أي أول ساعات الليل، وأما النشوة بالواو فمعناه السكر كما علم من «الصحاح» و«المصباح» (وهي) أي ناشئة الليل (صلاة الأوابين) أي التوابين كما قد فسر ناشئة الليل في الآية ببدء الليل

=كان يصلي بعد المغرب ركعتين يطيل فيهما القراءة حتى يتصدع أهل المسجد، وأخرج البخاري في التاريخ الكبير حديث رقم (٢٣٣٩) عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي بعد المغرب ركعتين.

(١٨٣) أخرج الترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في فضل التطوع وست ركعات بعد المغرب (٤٣٥) وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الست ركعات بعد المغرب (١١٦٧) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة».

(١٨٤) أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك عن ثوبان مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٣٥٥): أخرجه=

. . . . . وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السّجدَة: الآية ١٦] فقال: «هي الصلاةُ ما بين العِشاءَين فإنها تَذهَبُ بمُلاغاتِ النهارِ وتُهذِّبُ آخِرَهُ». . . . . . .

عطاء[١٨٥] وعكرمة[١٨٦] وكما فسرها علي بن الحسين بصلاة الأوابين وتسمى أيضًا صلاة الغفلة لغفلة الناس عنها بسبب عَشاء أو نوم أو نحو ذلك.

(وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السّجدَة: الآية ١٦] فقال) -أي رسول الله ﷺ-: («هي الصلاة ما بين العشاءين فإنها)-أي هذه الصلاة- (تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره»).

وقال في «الإحياء»: وروي عن الحسن أنه ﷺ سُئل عن هذه الآية فقال ﷺ: «الصلاة بين العشاءين» ثم قال ﷺ: «عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره»[١٨٧] بالخاء المعجمة بعد الهمزة الممدودة،

=أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغًا له من حديث عبد الله بن عمر.

(١٨٥) عطاء بن أبي رباح (٢٧-١١٤هـ) عطاء بن أسلم بن صفوان : يكنى: أبا محمد، تابعي من أجلاء الفقهاء، ولد في جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم وتوفي فيها، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأم سلمة وغيرهم. (ا هـ تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٧٥)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٣٥)).

(١٨٦) عكرمة البربري (٢٥-١٠٥هـ) عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلاد، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعيًا، وكانت وفاته بالمدينة هو وكثير عزة في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس (اهـ تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٣٤)، الأعلام (٤/ ٢٤٤)).

(١٨٧) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ٦١٣): قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد إلى رسول الله ﷺ قلت: إنما هو إسماعيل بن أبي زياد. بالياء المثناة من تحت. رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: =

. . . والمُلاغات جمع مَلْغاة فهي من اللغو .

فإذا دخل وقت العشاء فصلّ أربعَ ركعاتٍ قبل الفرض إحياءً لما بين الأذانين . . . .

والضمير عائد إلى النهار، ومعنى تهذب أي تنقي، وقال شيخنا يوسف: هو بالجيم الساكنة، وهو بمعنى الثواب فكان الضمير راجعًا إلى المصلي، ومعنى تذهب أي تزيل والأول أظهر (والملاغات) بضم الميم ثم باللام المفتوحة الممدودة ثم بالغين الممدودة كما في «الجامع» و«الإحياء» (جمع ملغاة فهي) مأخوذة (من اللغو) ومعناها كلمات ذوات لغو أي لا فائدة فيها. وسئل أنس عمن ينام بين العشاءين قال: لا تفعل؛ فإنها الساعة المرادة بقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٦].

وعن ابن أبي حازم قال في هذه الآية: ما بين المغرب والعشاء صلاة الأوابين، وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه يقول في معنى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي تتجافى لذكر الله إما في الصلاة وإما في قيام أو قعود أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله، وقال الشرقاوي في «ربيع الفؤاد»: ثم بعد صلاة الأوابين صل ركعتين بنية تونيس القبر وإن شئت فقدمها على صلاة الأوابين تقرأ في الأولى بعد الفاتحة الكافرون، وفي الثانية «إذا جاء نصر الله» أو تقرأ في الأولى «إذا زلزلت» وفي الثانية «ألهاكم» (فإذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين) أي الأذان والإقامة للخبر: «بين كلّ أذانين صلاة»[١٨٨] وهذه الأربع لم يوجد في خصوصها حديث كما قاله البركوي، والمذكور في التحرير أن الراتبة قبل العشاء ركعتان لكنها غير مؤكدة ولذلك لم

=«عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره»، وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني، واسم أبي زياد مسلم، وقد اختلف فيه على الأعمش، ولابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء، والحديث عند الترمذي وحسنه بلفظ: «نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة».

(١٨٨) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب: كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر=

. . .ففضل ذلك كثير، وفي الخبر: «إن الدعاءَ بين الأذانِ والإقامةِ لا يُرَدُّ» ثم صَلِّ الفرضَ وصَلِّ الراتبةَ ركعتين واقرأ فيهما سورة (ألم) السجدة، وتبارك الملك أو سورة يس والدخان. . .

يذكرها النووي في «المنهاج» (ففضل ذلك) أي الإحياء لما بين الأذان والإقامة (كثير، وفي الخبر: «**إن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد**»(١٨٩) وهذا الخبر ليس دليلاً على الراتبة التي قبل العشاء (ثم صل الفرض وصل الراتبة) أي بعده (ركعتين) وهما مؤكدتان ولو للحاج بمزدلفة، وإنما سن له ترك النفل المطلق ليستريح ويتهيأ لما بين يديه من الأعمال الشاقة يوم النحر (واقرأ فيهما) أي الركعتين (سورة السجدة) والظاهر أنها سجدة الحرز كما يدل لذلك ما في النسخة من قوله: «ألم السجدة» وقول الإحياء وعوارف المعارف، وسجدة لقمان معناه سورة السجدة التي تلي سورة لقمان كما أفاده بعض المشايخ (وتبارك الملك أو سورة يس والدخان) فإن لم تصل فلا تدع قراءة هذه السورة أو بعضها قبل النوم كذا في الإحياء.

وعن جابر قال: «كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ تبارك وألم تنزيل ويقول: «**هما يفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنةً ومن قرأهما كتب له سبعون حسنةً ورُفِعَ له سبعون درجةً**»(١٩٠) وعن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «من قرأ

=الإقامة (٦٢٤) وباب: بين كل أذانين صلاة لمن شاء (٦٢٧) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: بين كل أذانين صلاة (٨٣٨).

(١٨٩) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة (٥٢١)، والترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة (٢١٢)، وكتاب الدعوات باب: في العفو والعافية (٣٥٩٤)، (٣٥٩٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٩) (١٢٢٢١)، (٣/ ١٥٥) (١٢٦٠٦) ، (٣/ ٢٢٥) (١٣٣٨١)، (٣/ ٢٥٤) (١٣٦٩٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٢١) (٤٢٥).

(١٩٠) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٤١٤) (١٢٠٧) ولفظه: عن أبي الزبير عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك. قال أبو الزبير : فهما يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة، ومن=

. . . .

سورة ألم تنزيل أعطي من الأجر كمن أحيا ليلة القدر»[١٩١] وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن سورةً من كتابِ اللهِ ما هي إلا ثلاثون آيةً شفعتْ لرجلٍ يومَ القيامةِ فأخرجته من النارِ وأدخلته الجنةَ وهي سورةُ تبارك**»[١٩٢] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورةَ يس في ليلةٍ أصبح مغفورًا له**»[١٩٣] وعن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «**من دخلَ المقابرَ فقرأ سورةَ يس خُفِّفَ عنهم يومئذٍ وكان له بعددِ مَنْ فيها حسناتٌ**»[١٩٤] وروي أنه ﷺ

=قرأهما كتب له بهما سبعون حسنة ورفع بهما له سبعون درجة وحط بهما عنه سبعون خطيئة.

وأخرج نحوه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل سورة الملك (٢٨٩٢).

(١٩١) لم أعثر عليه.

(١٩٢) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٠) (٣٨٣٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرج نحوه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل سورة الملك (٢٨٩١) وغيرهما.

(١٩٣) رواه بهذا اللفظ أبو يعلى في مسنده (١١/ ٩٣) (٦٢٢٤)، وأخرجه بنحوه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٥٥) (٤١٧)، وأخرجه بنحوه ابن حبان في صحيحه (٦/ ٣١٢) عن جندب، وغيرهم.

(١٩٤) قال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٣/ ٣٩٧) : موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٦١/ ٢) من طريق محمد بن أحمد الرياحي: ثنا أبي : ثنا أيوب بن مدرك عن أبي عبيدة عن الحسن عن أنس بن مالك مرفوعًا، وهذا إسناد مظلم هالك مسلسل بالعلل.

الأولى: أبو عبيدة قال ابن معين: مجهول.

الثانية : أيوب بن مدرك، متفق على ضعفه وتركه، بل قال ابن معين: كذاب.

الثالثة: أحمد الرياحي، وهو أحمد بن يزيد بن دينار قال البيهقي: مجهول كما في اللسان (اهـ بتصرف).

فذلك مأثور عن رسول الله ﷺ. وَصَلِّ بعدهما أربعَ ركعاتٍ؛ ففي الخبر ما يدل على عِظَمِ فضلهن. . . . .

قال: «**من قرأ حم والدخانَ ليلةَ جمعةٍ أصبح مغفورًا له**»[١٩٥] كذا في «السراج المنير» (فذلك) أي المذكور من تلك السور (مأثور) أي منقول (عن رسول الله ﷺ) أي أنه أكثر قراءتها في كل ليلة، وكذلك أكثر رسول الله ﷺ قراءة سورة الزمر والواقعة وبني إسرائيل[١٩٦] كذا في «الإحياء» (وصل بعدهما) أي الركعتين المؤكدتين (أربع ركعات) واقرأ فيها آخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر أو غيرها كذا في «الإحياء»، وظاهر عبارة الإحياء أن هذه الأربعة تكون بتسليمة واحدة كما هي الأفضل عند أبي حنيفة، وقيل: إن هذه الأربعة تؤدى كلها إذا صلى العشاء في غير الوقت المستحب جبرًا لذلك النقص وأما إذا صلاها في الوقت المستحب فهو مخير بين الأربع والركعتين كما قاله البركوي.

(ففي الخبر ما يدل على عظم فضلهن) كخبر مسلم: «**أَفْضَلُ الصلاةِ بعدَ**

---

(١٩٥) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل حم الدخان (٢٨٨٩) عن أبي هريرة إلا أنه قال: «**غفر له**» وأخرج الترمذي أيضًا في الموضع نفسه (٢٨٨٨) في فضل حم الدخان عن أبي هريرة قوله ﷺ: «**من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك**»، وأخرج الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٤) (٨٠٢٦) في فضلها أيضًا عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتًا في الجنة**».

(١٩٦) أخرج الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب: ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر (٢٩٢٠) عن أبي لبابة قال: قالت عائشة: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر.

وأخرج النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٧٩) (١٠٥٤٨)، (٦/ ٤٤٤) (١١٤٤٤) عن عائشة أيضًا قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٩٢) (٢٥٠٠) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ في كل ليلة إذا وقعت الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا**».

. . . . .ثم صَلِّ الوترَ بعدها ثلاثًا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة، وكان رسول الله ﷺ يقرأ فيها سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: الآية ١]، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية ١] والإخلاص والمعوذتين. . . . .

الفريضةِ صلاةُ الليلِ»[١٩٧] وروي أيضًا أن كل ليلة فيها ساعة إجابة[١٩٨] كذا في «التحفة» وروي عن عائشة أنها سئلت عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: ما صلى العشاء قط فدخل بيتي إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات رواه أبو داود[١٩٩]، ودل هذا الخبر على أن الأربع بعد العشاء فضيلة، والمؤكدة منها ركعتان كذا قاله البركوي، والظاهر أن هذه الأربعة هي النفل المطلق في الليل، وقال الشرقاوي: وإذا صلى سنة العشاء سن له أن يصلي ركعتين قبل الوتر بنية بقاء الإيمان يقرأ في الأولى بعد الفاتحة «إذا زلزلت» وفي الثانية «ألهاكم» (ثم صل الوتر بعدها) أي هذه الأربع (ثلاثًا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة) والفصل بين ركعة وكل ركعتين بالسلام أفضل من الوصل (وكان رسول الله ﷺ يقرأ فيها) أي الثلاث (سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: الآية ١]) في الأولى (و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية ١]) في الثانية (والإخلاص والمعوذتين) في الثالثة[٢٠٠]

---

(١٩٧) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب: فضل صوم المحرم (١١٦٣) عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ، والحديث بتمامه: **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»**.

(١٩٨) أخرج مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء (٧٥٧) عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»**، وبنحوه أخرج أحمد في مسنده (٣/ ٣١٣) (١٤٣٩٤).

(١٩٩) أبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب: الصلاة بعد العشاء (١٣٠٣).

(٢٠٠) أخرج الترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء فيما يقرأ به في الوتر (٤٦٣) عن عبد العزيز بن جريج قال: سألنا عائشة: بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ قالت:=

. . . .

وإذا أوتر بثلاث مفصولة عما قبلها كثمان أو ست أو أربع قرأ ذلك في الثلاثة الأخيرة وإذا أوتر بأكثر من ثلاث موصولة كخمس مثلًا قرأ المطففين والانشقاق في الأولى والبروج والطارق في الثانية لئلا يلزم خلو ما قبل الثلاث عن سورة أو تطويلها على ما قبلها، ويسن أن يقول بعد الوتر: «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات كما رواه النسائي وابن السني[٢٠١] ويرفع صوته بالثلاثة كما في رواية أحمد والنسائي[٢٠٢] ثم يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» كما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن علي[٢٠٣]، قوله «وأعوذ بك منك» قيل: معناه: أعوذ بك من شر ما قضيت، وقيل: هو إشارة إلى التوحيد وذلك أنه ﷺ استعاذ أولًا بالضد من الضد فاستعاذ بالرضا من السخط وبالمعافاة من العقوبة ولما كان الله تعالى لا ضد له فلا يصح أن يقول: أعوذ بك من غيرك؛ لانتفاء المثل والشريك فرجع ﷺ إليه تعالى فقال: أعوذ بك منك. قوله: «لا أحصي ثناء عليك» أي لا أطيقه في مقابلة نعمة واحدة، وقيل: معناه لا أحصي نعمتك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك، وقوله: «أنت كما أثنيت على

=كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يأيها الكافرون، وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين. قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن غريب.

(٢٠١) السنن الكبرى (١/ ١٧٢) (٤٤٦)، (١/ ٤٤٧) (١٤٢٩)، (١/ ٤٤٨) (١٤٣٢)، (١/ ٤٤٩) (١٤٣٤) وغيرها، وعمل اليوم والليلة لابن السني ، باب: ما يقول إذا فرغ من وتره (٧٠٤).

(٢٠٢) النسائي في الكبرى (١/ ٤٤٩) (١٤٣٥)، (١/ ٤٥٣) (١٤٤٧) (٦/ ١٨٣) (١٠٥٦٧)، (٦/ ١٨٤) (١٠٥٧٣) عن عبد الرحمن بن أبزى، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٠٦) (١٥٣٩٥) (١٥٣٩٨)، (٣/ ٤٠٧) (١٥٣٩٩) وغيرهما.

(٢٠٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: القنوت في الوتر (١٤٢٧)، والترمذي في كتاب الدعوات باب: في دعاء الوتر (٣٥٦٦) وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب: الدعاء في الوتر (١٧٤٧).

...فإن كنت عازمًا على قيام الليل فأخِّر الوترَ ليكون آخر صلاتك بالليل وترًا ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمةَ أعمالك قبل نومك فإنما الأعمالُ بخواتيمِها.

نفسك» أي بقولك: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ ... الآية وغير ذلك (فإن كنت عازمًا على قيام الليل) أي صلاته بعد النوم ووثقت بيقظتك (فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترًا) لحديث الشيخين: «اجعلوا آخرَ صلاتِكُم من الليلِ وِترًا»(٢٠٤) ولحديث مسلم: «من خافَ أن لا يقومَ من آخرِ الليلِ فَلْيُوتِرْ أوله ومن طَمِعَ أن يقومَ آخرَهُ فليوتِرْ آخرَ الليلِ»(٢٠٥).

(ثم اشتغل بعد ذلك) أي الوتر (بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب) فإن ذلك في ذلك الوقت سبب للفتوح كما قاله بعضهم، وقال الشاعر:

مَن حازَ العِلْمَ وذاكَرَهُ ... صَلُحَتْ دنياهُ وآخِرتُهْ

فَأَدِمْ للعلمِ مُذاكَرَةً ... فحياةُ العلمِ مُذاكرتُهْ

(ولا تشتغل باللهو) أي الشيء الذي تفرح به فيلهيك أي يشغلك عما ينفعك ثم ينقضي كلهو الفتيان (واللعب) أي الباطل الذي لا ثمرة له كلعب الصبيان (فيكون ذلك) أي المذاكرة والمطالعة (خاتمة أعمالك قبل نومك فإنما الأعمال بخواتيمها) أي عندنا وبالنسبة إلى اطلاعنا في بعض الأشخاص وفي بعض الأحوال، وأما بالنسبة إلى علمه تعالى وإرادته فالأعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال ﷺ: «إنما الأعمالُ بالخواتيمِ»(٢٠٦).

---

(٢٠٤) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب: ليجعل آخر صلاته وترًا (٩٩٨)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: صلاة الليل مثنى مثنى (٧٥١) عن عبدالله بن عمر.

(٢٠٥) مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: من خاف أن لا يقوم آخر الليل فليوتر أوله (٧٥٥) عن جابر، وتتمته: «فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل».

(٢٠٦) أخرجه البخاري في كتاب القدر باب: العمل بالخواتيم (٦٦٠٧)، وأخرجه في كتاب=

آداب النوم

فإذا أردت النومَ فابْسُط فراشَكَ مستقبِلَ القبلةِ وَنَمْ على يمينك كما يُضْجَعُ الميتُ في لحده، واعلم أن النومَ مثل الموت، واليقظة مثل البعث، ....

(آداب النوم)

هذه الترجمة ساقطة في بعض النسخ (فإذا أردت النوم) فعليك بآدابه الثمانية: الأول: الاستقبال كما قال (فابسط فراشك مستقبل القبلة) والاستقبال على ضربين: أحدهما: استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة وهذا الاستلقاء مباح للرجال ومكروه للنساء.

وثانيهما: وهو سنة ما ذكره بقوله: (ونم على يمينك(٢٠٧) كما يضجع الميت في لحده) ويكون وجهك مع قبالة بدنك إلى القبلة، وأما النوم على الوجوه فهو نوم الشياطين وهو مكروه(٢٠٨) وأما النوم على اليسار فهو مستحب عند الأطباء لأنه يسرع هضم الطعام، وينبغي من جهة الطب أن يضطجع على الجانب الأيمن قليلاً بعد الأكل ثم ينقلب على الجانب الأيسر، والثاني مذكور بقوله: (واعلم) أي تذكر عند إرادة النوم (أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث) أي النشر

=الرقاق باب: الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها (٦٤٩٣) بلفظ: «إنما الأعمال بخواتيمها».

(٢٠٧) أخرج البخاري في كتاب الدعوات باب: النوم على الشق الأيمن (٦٣١٥) عن البراء بن عازب قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن»... الحديث.

(٢٠٨) ورد النهي عن النوم على الوجه في أكثر من حديث أخرج الترمذي في كتاب الأدب باب: ما جاء في كراهية الاضطجاع على البطن (٢٧٦٨) عن أبي هريرة قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً مضطجعًا على بطنه فقال: «إن هذه ضجعة لا يحبها الله»، وأخرج ابن ماجه في كتاب الأدب باب: النهي عن الاضطجاع على الوجه (٣٧٢٤) عن أبي ذر قال: مرّ بي النبي ﷺ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله وقال: «يا جنيدب إنما هذه ضجعة أهل النار».

. . . ولعل اللهَ تعالى يقبض روحَكَ في ليلتك فكن مستعدًّا للقائه بأن تنام على طهارة وتكون وصيتُكَ مكتوبةً تحت وِسادتِك وتنام تائبًا من الذنوب مستغفرًا. . . . .

(ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مستعدًّا) أي متهيئًا (للقائه بأن تنام على طهارة)(٢٠٩) وهذا ثالث الآداب.

(و) الرابع: أن (تكون وصيتك مكتوبة تحت وسادتك)(٢١٠) بكسر الواو أي مخدتك وفي نسخة: «تحت رأسك» أي فإنك لا تأمن القبض من النوم فإن من مات بغير وصية لا يتكلم في مدة البرزخ وإن الأموات يتزاورون في قبورهم سواه فيقول بعضهم لبعض: ما بال هذا المسكين؟ فيقال: إنه مات بغير وصية كذا نقل عن ابن الصلاح، وقال البجيرمي: يمكن حمل ذلك على ما إذا مات من غير وصية واجبة بأن نذرها أو خرج مخرج الزجر عن ترك الوصية.

(و) الخامس: أن (تنام تائبًا من الذنوب مستغفرًا) كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **«من قال حين يأوي إلى فراشِهِ أستغفرُ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه ثلاثَ مراتٍ غَفَرَ اللهُ تعالى له**

---

(٢٠٩) رغَّب النبي ﷺ في أكثر من حديث بالنوم على طهارة منها ما أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب: في النوم على طهارة (٥٠٤٢) عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يبيت على ذِكْرٍ طاهرًا فيتعارّ من الليل فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»**، وأخرج ابن حبان في صحيحه (٣/٣٢٨) (١٠٥١) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من بات طاهرًا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرًا»** وقال المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٧١): «والطهارة عند النوم قسمان: طهارة الظاهر، وهي معروفة، وطهارة الباطن وهي بالتوبة، وهي آكد من الظاهرة فربما مات في نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب فيتعين عليه التوبة وأن يزيل من قلبه كل شيء وحقد ومكروه لكل مسلم».

(٢١٠) ورد الحث على الوصية في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخاري في كتاب الوصايا باب: الوصايا (٢٧٣٨) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما=

. . .عازمًا على أن لا تعود إلى معصية، واعْزِمْ على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى، وتذكر أنك سَتُضجع في اللحد كذلك وحيدًا فريدًا ليس معك إلا عملك، ولا تُجزَى إلا بسعيك ولا تستجلب النومَ تكلفًا بتمهيد الفُرُشِ الوطيئةِ فإن النوم تعطيل للحياة إلا إذا. . . . .

ذُنوبَهُ»[٢١١] (عازمًا على أن لا تعود إلى معصية) إذا استيقظت (واعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى) أي أيقظك من نومك؛ قال النبي ﷺ: «من أوى إلى فِراشِهِ لا ينوي ظُلْمَ أحدٍ ولا يَحْقِدُ على أحدٍ غُفر له ما اجْتَرَمَ»[٢١٢].

(وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك) أي كنومك (وحيدًا) بنفسك (فريدًا) عن الناس (ليس معك إلا عملك ولا تجزى إلا بسعيك) أي بعملك من خير وشر قال تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ [النجم: الآية ٤٠] أي في ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعد لا خلف فيه وإن طال المدى.

(و) السادس مذكور بقوله أن (لا تستجلب النوم تكلفًا) بأن لا تنام إذا لم يغلبك النوم إلا إذا قصدت به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولا تتنعم (بتمهيد الفرش الوطيئة) أي ببسط الفرش الناعمة وتهيئتها بل اترك ذلك أو اقتصد فيه (فإن النوم تعطيل للحياة إلا إذا

=حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيتُ ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»، وأخرج ابن ماجه في كتاب الوصايا باب: الحث على الوصية (٢٧٠١) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تُقى وشهادة ومات مغفورًا له».

(٢١١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب: منه (٣٣٩٧) وتتمة الحديث: «وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد ورق الشجر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٢١٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن ورد في الجامع الكبير للسيوطي بلفظ: «من أصبح وهو لا يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم» وقال: رواه ابن عساكر عن أبي بسطام عن أنس. =

. . . كانت يقظتُك وبالًا عليك فنومك سلامةٌ لدينِك .

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومُكَ بالليل والنهار أكثرَ من ثمان ساعات فيكفيك إن عشت مثلاً ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك .

وَأَعِدَّ عند النوم سواكَكَ وطَهورَك واعزم . . . .

كانت يقظتك وبالًا) أي سوءًا في العاقبة (عليك فنومك سلامة لدينك) فاستجلب النوم حينئذ كما مر، ويسن للإنسان إذا فارق فراشه وعاد إليه أن ينفضه قبل أن ينام فيه لقوله ﷺ: **«إذا أوى أحدُكم إلى فراشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِراشَهُ بداخِلَةِ إزارِهِ فإنه لا يدري ما خَلَفَهُ عليه»** رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة[٢١٣].

(واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات) فإن نمت في الليل هذا القدر فلا معنى للنوم في النهار (فيكفيك إن عشت مثلاً ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك و) السابع مذكور في قوله و(أعد) أي هيئ (عند) إرادة (النوم) عند رأسك (سواكك وطهورك) أي ما تتطهر به من الماء، كذلك كان يفعل بعض السلف، وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان يستاك في كل ليلة مرارًا عند كل نومة وعند التنبه منها[٢١٤] وإن لم يتيسر لك الطهارة استُحب لك مسح الأعضاء بالماء فإن لم تجد فلتقعد ولتسقبل القبلة ولتشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله تعالى وقدرته (واعزم

=وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/٦١٨): أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس، وسنده ضعيف.

(٢١٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب: التعوذ والقراءة عند المنام (٦٣٢٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٤)، واللفظ للبخاري.

(٢١٤) أخرج البخاري في كتاب الوضوء باب: السواك (٢٤٦)، ومسلم في كتاب الطهارة باب: السواك: (٢٥٥) عن حذيفة أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل=

...على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر؛ فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك فلن تغني عنك كنوزُ الدنيا إذا مِتَّ، وقل عند نومك: «باسمك ربي وضعتُ جنبي وباسمك أرفعُهُ فاغفرْ لي ذنبي، اللهم قني عذابَكَ يوم تبعثُ عبادَكَ، اللهم باسمك أحيا وأموتُ وأعوذُ بك اللهم من شرِّ كل ذي شرٍّ ومن شرِّ كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها إن ربي على صراط مستقيم، اللهم أنت الأولُ.................

على قيام الليل) أي عند التيقظ (أو على القيام قبل الصبح فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك) أي حاجتك وهو في القبر وفي القيامة (فلن تغني عنك كنوز الدنيا إذا مت).

وقال ﷺ: «من أتى فِراشَهُ وهو ينوي أن يقومَ يصلي من الليلِ فغلبته عيناه حتى يصبحَ كُتِبَ له ما نَوَى وكان نومُهُ صدقةً عليه من اللهِ تعالى»[(٢١٥)]، والثامن: الدعاء عند النوم وعند التنبه كما قال (وقل عند نومك) أي اضطجاعك (باسمك) الباء للاستعانة وهذا متعلق بوضعت (ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه فاغفر لي ذنبي، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) وفي نسخة: «يوم تجمع» كما في «الإحياء» (اللهم باسمك أحيا وأموت، وأعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم اللهم أنت الأول) أي

=يشوص فاه بالسواك، وأخرج الطبراني في الكبير (١٠/٢٧٨) (١٠٦٥٣) عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا استيقظ من الليل استاك ثم يتوضأ ويقرأ: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [يونس: الآية ٦] ...إلى آخر الآيتين ثم قام فصلى ركعتين ثم انصرف فنام حتى نفخ في النوم ثم قام ففعل مثلها ثم أتى مضجعه ثم قام فصلى ركعتين ثم فعل مثل ذلك كما فعل أول مرة ثم أوتر بثلاث.

(٢١٥) أخرجه النسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب : من أتى فراشه وهو ينوي القيام فنام (١٧٨٧)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: ما=

...فليس قبلَكَ شيءٌ وأنت الآخِرُ فليس بعدَكَ شيءٌ وأنت الظاهرُ فليس فَوْقَكَ شيءٌ وأنت الباطنُ فليس دونك شيءٌ، اقْضِ عني الدَّيْنَ وأَغْنِنِي من الفقرِ، اللهم أنت خلقتَ نفسي وأنت تتوفاها لك مماتُها ومحياها إن أَمَتَّهَا فاغفرْ لها وإن أحييتها فاحفظْها بما تحفظُ به.......................

السابق على الأشياء كلها (فليس قبلك شيء وأنت الآخر) أي الباقي بعد فناء الخلق (فليس بعدك شيء وأنت الظاهر) أي العالي كما قاله العزيزي وهو المناسب هنا (فليس فوقك شيء وأنت الباطن) أي المحتجب عن الحواس بحجب كبريائه (فليس دونك) أي في قربك (شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر) فقوله: «أنت الأول» إلى هنا موافق للإحياء وللأذكار وذلك رواية أبي داود[٢١٦]، وأما رواية مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه فكذلك إلا لفظ «اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» فهو بنون العظمة[٢١٧] (اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها) بالتاءين كما في «الإحياء» و«الأذكار» وبحذف إحدى التاءين كما في «الجامع» (لك مماتها ومحياها) أي أنت المالك لإماتتها ولإحيائها أيَّ وقت شئت لا مالك لهما غيرك (إن أمتها فاغفر لها) أي ذنوبها فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (وإن أحييتها فاحفظها) أي صنها عن الوقوع فيما لا يرضيك (بما تحفظ به

=جاء فيمن نام عن حزبه من الليل (١٣٤٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٥) (١١٧٠) كلهم عن أبي الدرداء.

(٢١٦) أخرجها أبو داود في كتاب الأدب باب: ما يقال عند النوم (٥٠٥١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: « **اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**» زاد وهب: «**اقض عني الدين وأغنني من الفقر**».

(٢١٧) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب: ما يقول عند=

. . .عبادَكَ الصالحين، اللهم إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في الدينِ والدنيا والآخرةِ، اللهم أيقِظْني في أحبِّ الساعاتِ إليك، واستعملني بأحبِّ الأعمالِ إليك لتقربَني إليك زُلْفَى وتبعدَني عن سَخَطِك بُعْدًا، أسألُكَ فتعطيَني وأستغفرُك فتغفرَ لي وأدعوك فتستجيبَ لي، ثم اقرأ آية الكرسي، . . . .

عبادك الصالحين اللهم إني أسألك العفو والعافية) أي أطلب منك السلامة (في الدين) أي من الافتتان وكيد الشيطان (والدنيا) أي من الآلام والأسقام (والآخرة) أي من الفزع الأكبر ومن جهنم -وهذا أي قولهم: «اللهم أنت»- ما رواه مسلم(٢١٨) عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ (اللهم أيقظني في أحبِّ الساعاتِ إليك واستعملني بأحبِّ الأعمالِ إليك لتقربَني) بلام التعليل، وفي نسخة: «حتى تقربني» وفي «الإحياء» سقوط ذلك (إليك زلفى) أي قربة أو منزلة وهي مفعول مطلق أو تمييز (وتبعدني عن سخطك بعدًا) مفعول مطلق (أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي) ثم اقرأ آية الكرسي) وروى البيهقي أن من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات

=النوم وأخذ المضجع (٢٧١٣) بنون العظمة، والترمذي في كتاب: الدعوات باب: منه (٣٤٠٠)، وباب: ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ (٣٤٨١) بلفظ المفرد، والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٩٥) (٧٦٦٨)، (٦/ ١٩٧) (١٠٦٢٥) بلفظ المفرد، وابن ماجه في كتاب الدعاء باب: دعاء رسول الله ﷺ (٣٨٣١) بنون العظمة، وفي باب: ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه (٣٨٧٣) بلفظ المفرد.

(٢١٨) الدعاء كما أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب: ما يقول عند النوم وأخذ المصجع (٢٧١٢) عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه قال: اللهم خلقت نفسي وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خيرٍ من عمر من رسول الله ﷺ.

. . . وآمن الرسول إلى آخر السورة، والإخلاص والمعوذتين، وتبارك الملك، وليأخذْك النومُ وأنت على ذكر الله تعالى وعلى الطهارة فمن. . .

حوله[٢١٩] كذا في «السراج المنير» (وآمن الرسول إلى آخر السورة) وروي عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ الآيتينِ من آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كَفَتاهُ»[٢٢٠] قال الشربيني: أي عن قيام الليل أو عن كل ما يسوؤه أي يحزنه، وروى أبو بكر عن علي أنه قال: «ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة» أي وهي من قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] (والإخلاص) أي «قل هو الله أحد» ثلاث مرات كما ذكره النووي في «الأذكار»[٢٢١] وليس المراد بالإخلاص هنا سورة الكافرون فإنها تسمى بالإخلاص أيضًا و(المعوذتين) وانفث في يديك عند قراءتهما وامسح بهما رأسك ووجهك وسائر جسدك وافعل ذلك ثلاث مرات، والنفث نفخ لطيف بلا ريق (وتبارك الملك) للاتباع كما مر، وقل في تيقظاتك وتقلباتك مهما تنبهت: «لا إلهَ إلا اللهُ الواحدُ القهارُ ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغفارُ» كما رواه ابن السني عن عائشة رضي الله عنها[٢٢٢]: (وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله تعالى) وليكن أول ما يرد على قلبك عند التيقظ ذكر الله تعالى فذلك علامة الحب لله تعالى وعلامة تكشف عن باطن القلب (وعلى الطهارة) أي من الحدثين (فمن

---

(٢١٩) لم أعثر عليه.

(٢٢٠) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب: فضل سورة البقرة (٥٠١٠) ومواضع أخرى، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (٨٠٧) عن أبي مسعود.

(٢٢١) وأخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٥٤١) (٣٣٨٤).

(٢٢٢) ابن السني في عمل اليوم والليلة باب: ما يقول إذا تعار من الليل (٧٥٥) عن عائشة قالت: «كان- يعني رسول الله ﷺ- إذا تعار من الليل قال: . . .» الحديث، وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك (١/ ٧٢٤) (١٩٨٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٣٤٠) (٥٥٣٠).

. . . فعل ذلك عُرِجَ بروحِه إلى العرشِ وكُتِبَ مُصَلِّيًا إلى أن يستيقظَ.

فإذا استيقظتَ فارجع إلى ما عرفتُكَ أولًا وداوِمْ على هذا الترتيب بقيةَ عمرك فإن شقَّتْ عليك المداومةُ فاصبْر صبرَ المريضِ على مرارةِ الدواءِ انتظارًا للشفاء وتفكَّرْ في قِصَرِ عمرك وإن عشتَ مثلًا مائةَ سنةٍ فهي قليلة بالإضافة إلى مُقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد، وتأمل أنك كيف تتحمل المشقةَ والذُّلَ في طلب الدنيا شهرًا أو سنة رجاءَ أن تستريحَ بها عشرين سنة مثلًا فكيف لا تتحملُ ذلك أيامًا قلائل رجاءَ الاستراحةِ أبدَ الآباد، . . . .

فعل ذلك) أي الطهارة عند النوم كما في «الإحياء» (عرج بروحه إلى العرش وكتب مصليًا إلى أن يستيقظ) وكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق، وهذا أريد به طهارة الباطن والظاهر جميعًا، وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب (فإذا استيقظت) لتقوم (فارجع إلى ما عرفتك أولًا) أي في باب آداب الاستيقاظ بأن تقول: «الحمد لله الذي أحيانا. . .» إلى آخر ما ذكره المصنف من أدعية التيقظ (وداوم على هذا الترتيب) أي المثبت في هذا الكتاب من الوظائف وليس المراد بالترتيب هنا خصوص تقديم الشيء على غيره (بقية عمرك فإن شقت عليك المداومة) على الاشتغال بالوظائف المذكورة (فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظارًا للشفاء، وتفكر في قصر عمرك وإن عشت مثلًا مائة سنة) إنْ غاية (فهي) أي المائة (قليلة بالإضافة) أي بالنسبة (إلى مقامك) بضم الميم أي إقامتك (في الدار الآخرة وهي أبد الآباد) أي لا نهاية لها، قوله: «وهي» في محل التعليل كقوله سابقًا: «فهي قليلة» (وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا) أي من الأموال (شهرًا أو سنة رجاء أن تستريح بها) أي الدنيا (عشرين سنة مثلًا فكيف لا تتحمل ذلك) أي المشقة في الاشتغال بالوظائف والذل في عدم تحصيل الدنيا (أيامًا قلائل) أي مدة حياتك في الدنيا (رجاء الاستراحة أبد الآباد) فالدنيا وما فيها

. . . ولا تُطَوِّلْ أملَك فَيَثْقُلَ عليك عملُكَ وقدِّرْ قربَ الموت وقل في نفسك: إني أتحمل المشقةَ اليومَ فلعلي أموتُ الليلةَ وأصبرُ الليلةَ فلعلي أموت غدًا؛ فإن الموت لا يهجُمُ في وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص فلابد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا، وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة ولعله لم يبق من أَجَلك إلا يومٌ واحدٌ أو نَفَسٌ واحدٌ فقدِّرْ هذا في قلبك كل يوم. . . .

بالنسبة لثواب الآخرة أقل قليل (ولا تطول أملك) في أنك تعيش شهرًا مثلًا (فيثقل عليك عملك) وتسوِّف بالعمل نفسك (وقدر قرب الموت) لأن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا (وقل في نفسك: إني أتحمل المشقة اليوم) أي في اشتغال الأوراد (فلعلي أموت الليلة) فتكون الأوراد ذخيرة لي (وأصبر الليلة) على تحمل مرارة السهر في العبادة (فلعلي أموت غدًا) فتكون العبادة زادًا لي في الآخرة (فإن الموت لا يهجم) بضم الجيم أي لا يدخل (في وقت مخصوص) بل يدخل في كل وقت (وحال مخصوص) بل في كل حال من الصحة والمرض والغفلة والذكر (وسن مخصوص) بل يدخل في الصبيان والشبان والشيوخ (فلابد من هجومه) أي الموت على كل حال (فالاستعداد) أي التهيؤ (له) أي الموت (أولى) أي أحق (من الاستعداد للدنيا) والمراد بالدنيا هنا الزائد على قدر الحاجة (وأنت تعلم) علم اليقين (أنك لا تبقى فيها) أي في دار الدنيا (إلا مدة يسيرة) أي قليلة (ولعله لم يبق من أجلك) أي مدة حياتك (إلا يوم واحد أو نفس واحد فقدر هذا) أي هجوم الموت في لحظتك أو في وقتك (في قلبك كل يوم) قال ﷺ: «تُحْفَةُ المؤمنِ الموتُ»[٢٢٣] وإنما قال هذا لأن الدنيا

---

(٢٢٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٥) (٧٩٠٠).

عن عبدالله بن عمرو، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرج الطبراني نحوه في الكبير (٩/ ١٥٥) (٨٧٧٦).

. . .وكلِّفْ نفسَك الصبرَ على طاعة الله يومًا فيومًا فإنك لو قدَّرْتَ البقاءَ خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرتْ واستعصتْ عليك فإن فعلْتَ ذلك فَرِحْتَ عند الموت فَرَحًا لا آخرَ له وإن سوَّفْتَ وتساهلتَ جاءك الموتُ في وقت لا تحتسبه وتحسرتَ تحسرًا لا آخر له، . . . .

سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في تعب من تحمل مشقة نفسه وكسر شهواته ومدافعة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة أي هدية في حقه وكان الربيع بن خيثم(٢٢٤) يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد (وكلف) أي احمل على مشقة (نفسك الصبر على طاعة الله يومًا فيومًا) أي وقتًا بعد وقت؛ فقوله: «نفسك» مفعول أول و«الصبر» مفعول ثان لأن كلف يتعدى لاثنين كما هو مفهوم من المصباح (فإنك لو) لم تقدر دخول الموت عليك بغتة بل (قدرت البقاء) في الدنيا (خمسين سنة) أي مثلاً (وألزمتها الصبر على طاعة الله نفرت) أي تلك النفس أي جزعت (واستعصت) بتقديم العين على الصاد أي خالفت، وفي بعض النسخ: «واستصعبت» بالصاد فالعين فالموحدة وهذا أحسن أي وجدت النفس صعبًا (عليك) لأنك قدَّرت بُعْدَ الموت (فإن فعلت ذلك) أي تكليف نفسك الصبر على الطاعة (فرحت عند الموت فرحًا لا آخر له) برؤيتك محلك في الجنة لأنك قد استعددت للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (وإن سوفت) بالطاعة (وتساهلت) لها (جاءك الموت) بغتة (في وقت لا تحتسبه) أي لا تعرف أن الموت جاءك في ذلك الوقت (وتحسرت) بالحاء المهملة أي حزنت (تحسرًا لا آخر له) لانهماكك في الدنيا ولاتباعك شهواتك.

---

(٢٢٤) ابن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه، وروى عن عبد الله بن مسعود وأبي أيوب الأنصاري، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن، حدث عنه الشعبي وإبراهيم النخعي وآخرون، وكان يعد من عقلاء الرجال (ا هـ سير أعلام النبلاء ٤/٢٥٨).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ٢٣٧: وكان أورع أصحاب ابن مسعود، وقال ابن

. . .وعند الصباح يُحْمِدُ القومُ السُّرَى وعند الموت يأتيك الخبرُ اليقين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: الآية ٨٨].

وإذ أرشدناك إلى ترتيب الأوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابَهُما وآدابَ الإمامة والقدوة والجمعة.

(وعند الصباح يحمد القوم السرى)[٢٢٥] بضم السين وفتح الراء، ومعناه في الأصل السير أول الليل وأوسطه وآخره كما في «المصباح» والمراد بذلك الطاعة في ذلك الوقت، وقوله: «يحمد» بضم الياء والحاء الساكنة وكسر الميم كما ضبطه بذلك شيخنا يوسف السنبلاويني وهو موافق للصحاح والمصباح، والمعنى أن العباد الذين اشتغلوا بالعبادة في الليل صارت عبادتهم إلى الحمد ووجدوها محمودة كما أن السائرين في الليل صار سيرهم إلى الحمد ووجدوه محمودًا عندهم حالة الصباح لأن السير في الليل يطوي الأرض (وعند الموت يأتيك الخبر اليقين) أي الواضح أي في أنك تفرح بحصول رضا رب العالمين أو تحزن بوجدان سخطه ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي خبر المذكور من الفرح والحزن ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ أي انقضاء عمرك (وإذ أرشدناك) أي دللناك (إلى ترتيب الأوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما) في فصلين (وآداب الإمامة والقدوة) في فصل واحد (والجمعة) في فصل واحد.

معين: لا يسأل عن مثله، وله مناقب كثيرة جدًا، أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة (٦٢).

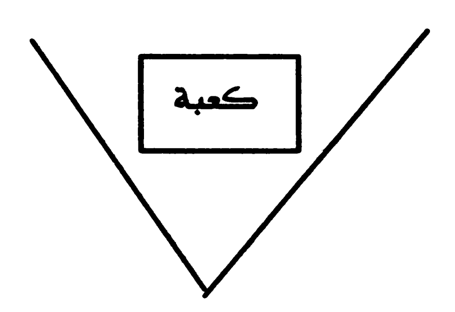
(٢٢٥) قولهم: «عند الصباح يحمد القوم السرى» أول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر ﷺ، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق ونالته مشقة بسبب العطش فأسرى حتى أدرك الماء فقال: عند الصباح يحمد القوم السرى؛ يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة: (اهـ نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/ ٣٥).

آداب الصلاة

فإذا فرغت من طهارةِ الحَدَثِ وطهارةِ الخَبَثِ في البدنِ والثيابِ والمكانِ، ومن سترِ العورةِ من السُّرَّةِ إلى الرُّكبةِ فاستقبل القبلةَ. . . .

(آداب الصلاة)

أي المطلوبات فيها (فإذا فرغت من طهارة الحدث) أي الأصغر والأكبر (و) من (طهارة الخبث) بفتحتين أي النجس الذي لا يعفى عنه (في البدن) حتى داخل الفم والأنف والعين والأذن (والثياب) وغيرها من كل محمول مُلاقٍ له (والمكان) الذي يصلي فيه (ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة) كما هي للرجل حرًا كان أو عبدًا (فاستقبل) أي بصدرك (القبلة) أي عينها مطلقًا في القرب يقينًا، وفي البعد ظنًا، وعند الإمام أبي حنيفة التوجه يكون بجزء من قاعدة مثلث، وعند الإمام مالك القبلة هي الجهة مطلقًا في القرب والبعد، وعند الإمام أحمد هي العين في القرب والجهة في البعد؛ فمذهب أبي حنيفة أوسع في أمر القبلة وبعده مذهب مالك وبعده مذهب الإمام أحمد وهو المتوسط، وبعده مذهب الإمام الشافعي وهو أضيق؛ لأنه لابد من العين عنده مطلقًا أي في القرب والبعد كذا في فتاوى الخليلي ثم رأيت نصًا في فقه مذهب أبي حنيفة وهو قوله: «فلو انحرف عن العين انحرافًا لا تزول منه المقابلة بالكلية جاز» فيجوز التيامن أو التياسر لأن وجه الإنسان مقوس لأنه يبقى شيء من جوانب وجهه مقابلًا للقبلة وذلك عند زيادة البعد منها، ولو جعل الكعبة عن يمينه أو يساره فلا يجوز بالاتفاق إذ لا شك حينئذ في خروجه عن الجهة بالكلية لأنه لم يقع فيما بين خطين من قاعدة مثلث وهذه صورته.

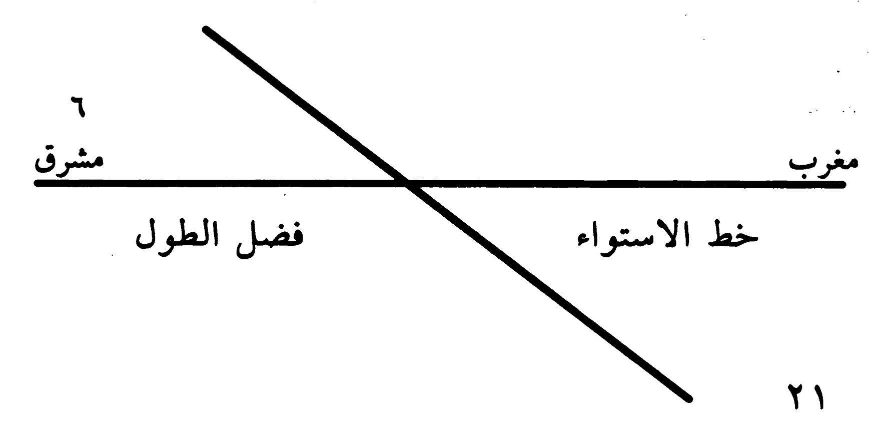


فإذا أراد معرفة الجهة فلينظر في مغرب الصيف في أطول أيامه، ومغرب

. . .قائمًا مزاوجًا بين قدميك بحيث لا تضمهما. . . . . .

الشتاء في أقصر أيامه فليدع الثلثين في الجانب الأيمن والثلث في الأيسر والقبلة عند ذلك، ولو لم يفعل هكذا وصلى فيما بين المغرب جاز اهـ.

ثم إذا أراد معرفة عين القبلة لأهل الجلوة فليعلم أولًا خط الاستواء في المشرق إلى المغرب ثم ليجعل عليه أشياء متساوية كالفلوس مصفوفة من جهة المغرب إلى جهة المشرق بأربعة وستين شيئًا، وهو مقدار فضل الطول بين مكة والجلوة ثم ليجعل من جهة المغرب إلى جهة اليمين مصفوفًا بواحد وعشرين، وهو عرض مكة من خط الاستواء، وليجعل جهة المشرق إلى جهة اليسار مصفوفًا بستة، وهو مقدار عرض الجلوة ثم خط من آخر الستة إلى آخر الواحد والعشرين فذلك ميل القبلة، وهذه صورته.



(قائمًا) بالاعتماد على القدمين أو أحدهما (مزاوجًا بين قدميك) بالزاي فالألف ثم الجيم كما في «الإحياء» أي جاعلًا لهما مسامتًا، لا تتقدم إحداهما على الأخرى ولا تسترخ عنها، أو بالحاء المهملة في آخره وهذا هو الأنسب أي مبعدًا بينهما بقدر شبر (بحيث لا تضمهما) وقد نهى رسول الله ﷺ عن الصفن والصفد في الصلاة(٢٢٦)؛ فالصفد هو اقتران القدمين معًا، والصفن هو رفع

---

(٢٢٦) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٢٧٣): حديث «النهي عن=

. . . . .واسْتَوِ قائمًا واقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النّاس: الآية ١] تحصنًا بها من الشيطانِ الرجيمِ، وأَحْضِرْ قلبَك ما أنت فيه وفرِّغْهُ من الوِسْواسِ وانظرْ بين يدي من تقوم ومن تناجي واستحي أن تناجي مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات، واعلم أنه تعالى مُطَّلِعٌ على سريرتك وناظرٌ إلى قلبك فإنما يتقبل اللهُ من صلاتِكَ بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك.

إحدى الرجلين (واستو) بنصب الفقار (قائمًا) وأما الرأس فالأفضل إطراقه لأنه أقرب للخشوع وأغض للبصر (و) بعد استواء القيام (اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النّاس: الآية ١] تحصنًا) أي تحفظًا (بها) أي بهذه السورة (من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك ما أنت فيه) وهذا هو المسمى بالخشوع (وفرغه) أي القلب (من الوسواس) أي حديث النفس لأن التفريغ أعون على الخشوع (وانظر) أي تأمل (بين يدي من تقوم ومن تناجي) في الصلاة وكيف تناجي وبماذا تناجي، وعظِّم في نفسك قدر المناجاة (واستحي أن تناجي مولاك بقلب غافل) عما أنت فيه (وصدر مشحون) أي مملوء (بوساوس الدنيا) أو بتفكر في أمور الآخرة كالجنة والنار فهذا مكروه أيضًا على ما أفاده الرملي (وخبائث الشهوات واعلم) في الحال أنك قائم بين يدي الله تعالى و(أنه تعالى) أي مولاك (مطلع) أي عالم (على سريرتك) وهو ما تكتم في قلبك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان (وناظر إلى قلبك) ومثِّل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك فإن القلب إذا اشتغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويًا لدفع الوسوسة كذا في «عوارف المعارف» (فإنما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك) أي حضور قلبك (وخضوعك) أي سكون جوارحك (وتواضعك) أي تذللك (وتضرعك) أي خلوصك في الدعاء، وقيل: للصلاة

=الصفن والصفد في الصلاة» عزاه رزين إلى الترمذي ولم أجده عنده ولا عند غيره، وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير في النهاية، وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلًا صافًا أو صافنًا قدميه فقال: أخطأ هذا السنة.

واعْبُدْهُ في صلاتِكَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فإن لم يَحْضُرْ قلبُكَ ولم تسكن جوارحُك لقصور معرفتك بجلالِ اللهِ تعالى فَقَدِّرْ أن رجلاً صالحًا من وجوه أهل بيتك ينظر إليك. . . . . . .

أربع شعب: حضور القلب وشهود العقل وخضوع النفس وخضوع الأركان؛ فحضور القلب رفع الحجاب، وشهود العقل رفع العتاب، وخضوع النفس فتح الأبواب، وخضوع الأركان وجود الثواب؛ فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصلٍّ لاهٍ، ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصلٍّ ساهٍ، ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصلٍّ خاطئ، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصلٍّ جافٍ ومن أتاها كما وصف فهو مصلٍّ وافٍ كذا في «عوارف المعارف».

وروي في الخبر «ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل»(٢٢٧) وقد روي في الخبر «أن من خشع في صلاته وجبت له الجنة وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(٢٢٨) (واعبده) أي مولاك (في صلاتك كأنك تراه) أي اعبده تعالى حال كونك في صلاتك مثل حال كونك رائيًا له؛ فإنك لو قدرت أنك قمت في عبادة ربك وأنت تعاينه لم تترك شيئًا مما تقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح واجتماعك بظاهرك وباطنك إلا أتيت به كما أفاده إبراهيم الشبرخيتي (فإن لم تكن تراه) فاستمر على إحسانك العبادة (فإنه يراك) إذ هو المشاهد لكل أحد من خلقه في حركته وسكونه (فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور) أي نقص (معرفتك بجلال الله تعالى فقدر) في دوام قيامك في صلاتك (أن رجلاً صالحًا من وجوه) أي أشراف (أهل بيتك ينظر إليك) بعين

---

(٢٢٧) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء:
لم أجده مرفوعًا، وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلاً: لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه، ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب، ولابن المبارك في الزهد موقوفًا على عمار: لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه.

(٢٢٨) لم أعثر عليه.

. . .ليعلمَ كيف صلاتُكَ فعند ذلك يَحْضُرُ قلبك وتَسْكُنُ جوارحُكَ ثم ارجع إلى نفسك وقل: يا نَفْسَ السُّوءِ ألا تستحين من خالقِكِ ومولاكِ إذ قدَّرْتِ اطِّلاعَ عبدٍ ذليلٍ من عبادِهِ عليك وليس بيده ضُرُّك ولا نفعُك خشعتْ جوارحُك وحَسُنَتْ صلاتُكَ ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته؛ أهو تعالى عندك أقلُّ من عبدٍ من عبادِهِ؟! فما أَشَدَّ طغيانَكِ وجَهْلَكِ، وما أعظمَ عداوتَكِ لنفسك! وعالِجْ قلبَكَ بهذه الحيلِ فعساه أن يَحْضُرَ معك في صلاتِك فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عَقَلْتَ منها وأما ما أتيتَ به مع الغفلةِ والسهوِ فهو إلى الاستغفارِ والتكفيرِ أَحْوَجُ. . . . .

كالئة (ليعلم كيف صلاتك فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارك) خِيفةَ أن ينسبك ذلك الرجل العاجز إلى قلة الخشوع (ثم) بعد إحساسك من نفسك ذلك (ارجع إلى نفسك) بالمعاتبة (وقل يا نفس السوء) إنك تدَّعين معرفة الله وحبه (ألا تستحين من خالقك ومولاك إذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك وليس بيده ضرك ولا نفعك) ولا عقاب ولا ثواب (خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم إنك) بكسر الهمزة (تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أقل) أي أصغر وأحقر (من عبد من عباده فما أشد طغيانك) أي عصيانك (وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك) لأنك وقَّرتِ عبدًا ذليلاً ولا توقرين الله تعالى وتخشين الناس ولا تخشين الله تعالى وهو أحق أن تخشيه (وعالج) أي زاول وداوِ (قلبك بهذه الحيل) بكسر الحاء وفتح الياء جمع حيلة وهي الحذق في تدبير الأمور (فعساه) أي قلبك (أن يحضر معك في صلاتك فإنه) أي الشأن (ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت) أي تدبرت (منها وأما ما أتيت به) أي في صلاتك من القراءة والأذكار (مع الغفلة والسهو) عما أنت فيه بأن لم يحضر قلبك (فهو إلى الاستغفار والتكفير) أي فعل الكفارة من صدقة ونحوها (أحوج) لأن في صلاتك

. . . فإذا حَضَرَ قلبُكَ فلا تترك الإقامةَ وإن كنت وحدك، وإن انتظرتَ حضورَ جماعةٍ فَأَذِّنْ ثم أَقِمْ فإذا أقمتَ فانوِ وقل في قلبك: أؤدي فرضَ الظهرِ للهِ تعالى، . . . .

خللًا لعدم حضور قلبك؛ فالخشوع في الصلاة ولو في جزء منها واجب لكنه ليس شرطًا لصحة الصلاة كما أفاده شيخنا أحمد النحراوي (فإذا حضر قلبك) أي بأن لم يكن غافلًا (فلا تترك الإقامة وإن كنت وحدك) لأنها لافتتاح الصلاة وتطلب للفائتة المفروضة أيضًا (وإن انتظرت) أي رجوت (حضور جماعة) يصلون معك (فأذن ثم أقم) وهذا الكلام من أن الأذان لا يندب للمنفرد مبني على القول القديم لأن المقصود من الأذان الإعلام وهو منتف للمنفرد وهو ضعيف، والجديد ندبه للمنفرد مع رفع الصوت بعمران أو صحراء وإن بلغه أذان غيره لكن يكفي في أذانه إسماع نفسه بخلاف أذان الإعلام.

(فإذا أقمت فانو) أي استحضر النية أي كُلَّ مُعتَبَرٍ فيها من قصد إيقاع الصلاة وتعيين ذات وقت أو سبب، ونية فرض إن كانت الصلاة فرضًا، ونية القصر للقاصر، ونية القدوة مثلًا للمأموم مع استحضار صورة الصلاة المركبة من الأركان.

واعلم أن الاستحضار نوعان: استحضار حقيقي واستحضار عرفي؛ فالحقيقي أن يستحضر صورة الصلاة تفصيلًا بأن يستحضر ذات الصلاة جزءًا بعد جزء، والعرفي أن يستحضر صورة الصلاة جملة واحدة. ثم المقارنة نوعان: حقيقية وعرفية؛ فالحقيقية أن يقصد إيقاع الصلاة المتصفة بأنها ظهر مثلًا ولا يغفل عن ذلك من أول التكبير إلى آخره، والعرفية أن يكون القصد كما مر مقترنًا بجزء من التكبير فلا تضر الغفلة عنه في أثنائه، ونقل العلماء عن الإمام الشافعي أن الواجب عنده الاستحضار العرفي مع المقارنة الحقيقية، واختار النووي تبعًا لإمام الحرمين(٢٢٩) الاكتفاء بالمقارنة العرفية مع الاستحضار العرفي هذا تلخيص ما في «كشف النقاب» للشيخ علي بن عبدالبر الونائي (وقل في قلبك: أؤدي فرض الظهر لله تعالى) لتميز بقولك: «أؤدي» الأداء عن القضاء وبـ«الفرض» عن النفل

---

(٢٢٩) إمام الحرمين (٤١٩. ٤٧٨هـ) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبدالله، =

. . . وليكنْ ذلك حاضرًا في قلبك عند تكبيرِك ولا تَعْزُبْ عنك النيةُ قبل الفراغ من التكبير وارفعْ يديك عند التكبير بعد إرسالهما أولًا إلى حَذْوِ مَنْكِبَيْكَ وهما مبسوطتانِ وأصابعهما منشورةٌ ولا تتكلَّفْ ضمَّها ولا تفريجَها بحيث تُحاذي بإبهاميك شَحْمتي أذنيك وبرءوس أصابعك أعلى أذنيك وبكفيك منكبيك فإذا استقرتا في مقرهما فكبِّرْ ثم أرسلهما برفق ولا تدفعْ يديك عند الرفع والإرسـال إلى قُدَّامٍ دفعًا ولا إلى خَلْفٍ رفعًا. . . . .

وبـ«الظهر» عن غيره (وليكن ذلك) أي معاني هذه الألفاظ (حاضرًا في قلبك عند تكبيرك) فإنه هو النية، والألفاظ أسباب لحضورها (و) اجتهد أن تستديم ذلك إلى آخر التكبير بحيث (لا تعزب) أي لا تغيب (عنك النية) أي ذكرها (قبل الفراغ من التكبير) لأنه الواجب عند الشافعي، والأكمل عند إمام الحرمين (و) إذا حضر في قلبك ذلك فـ(ارفع يديك عند) إرادة (التكبير بعد إرسالهما أولاً إلى حذو منكبيك وهما) أي اليدان (مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولا تتكلف ضمها) أي الأصابع (ولا تفريجها) بل اتركها على مقتضى طبعها كذا في «الإحياء» لكن قال ابن حجر كشيخ الإسلام: ويسن كشف الكفين ونشر الأصابع وتفريقها تفريقًا وسطًا (بحيث تحاذي بإبهاميك شحمتي أذنيك وبرءوس أصابعك أعلى أذنيك وبكفيك منكبيك فإذا استقرتا) أي اليدان (في مقرهما) كما ذكر (فكبر) أي ابتدئ التكبير مع إحضار النية المتقدمة كذا في «الإحياء».

قال ابن حجر مع النووي: والأصح أن الأفضل في وقت الرفع أن يكون مع ابتداء التكبير، وقال الوناني: ويستحب انتهاء التكبير مع وضع اليدين (ثم أرسلهما) أي اليدين (برفق ولا تدفع يديك عند الرفع والإرسال إلى قدام دفعًا ولا إلى خلف رفعًا)

=العلامة، أبو المعالي الجويني، رئيس الشافعية في نيسابور، تفقه على والده وأتى على جميع مصنفاته، جاور في مكة أربع سنين يدرس ويفتي ويجمع طرق المذهب، وتفقه به جماعة من الأئمة، من تصانيفه: غياث الأمم والتياث الظلم، البرهان في أصول الفقه (اهـ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٥).

. . . لا تنفُضْهُما يمينًا ولا شمالًا فإذا أرسلتهما فاستأنف رفعَهُما إلى صدرك وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى، وانْشُرْ أصابعَ اليمنى على طول ذراعِك اليسرى واقْبِضْ بها على كُوعِها وقل بعد التكبير: اللهُ أكبرُ كبيرًا والحمدُ للهِ كثيرًا وسبحانَ اللهِ بُكْرَةً وأصيلًا ثم اقرأ «وجَّهْتُ وجهيَ للذي فَطَرَ السَّمواتِ والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المُشركينَ إنَّ صلاتي ونُسُكِي ومَحْيايَ . .

أي عند انتهاء التكبير.

(ولا تنفضهما) بضم الفاء (يمينًا ولا شمالًا) أي إذا فرغت من التكبير (فإذا أرسلتهما) بعد التكبير (فاستأنف رفعهما إلى صدرك) بعد الإرسال، وإذا أردت قراءة الفاتحة وهو الأفضل كما قال ابن حجر، ويسن إرسالهما إلى ما تحت الصدر أي مائلًا إلى جهة اليسار.

(وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى وانشر أصابع اليمنى) التي هي المسبحة والوسطى (على طول ذراعك اليسرى واقبض بها) أي بأصابعك اليمنى التي هي الإبهام والخنصر والبنصر (على كوعها) أي اليسرى كما قاله في «الإحياء» أي فتقبض كوعك بإبهامك وكرسوعك بخنصرك وبنصرك، وترسل السبابة والوسطى جهة الساعد (وقل بعد التكبير) أي وبعد سكتة لطيفة بقدر «سبحان الله» سرًّا سواء كانت الصلاة فرضًا أو نفلًا (الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا[٢٣٠] ثم اقرأ «وجهت وجهي) أي أقبلت بذاتي (للذي فطر السموات والأرض) أي خلقهما على غير مثال سابق (حنيفًا) أي مائلًا عن كل دين إلى دين الإسلام (مسلمًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي) أي عبادتي (ومحياي

---

(٢٣٠) أخرج مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة (٦٠١) عن ابن عمر قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا فقال رسول الله ﷺ: من القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله قال: عجبت لها فتحت لها أبواب السماء قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

. . . ومَمَاتِي للهِ ربِّ العالَمينَ لا شريكَ له وبذلك أُمِرْتُ وأنا من المُسْلمينَ» ثم قل: «أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم» ثم اقرأ الفاتحةَ بتشديداتها واجتهدْ في الفرق بين الضادِ والظاءِ في قراءتك في الصلاة، وقل: «آمين» ولا تَصِلْهُ بقولك: «ولا الضالين» وَصْلًا. واجْهَرْ بالقراءةِ في. . . . .

ومماتي) أي إحيائي وإماتتي منسوبان (لله رب العالمين لا شريك له وبذلك) أي بالتوحيد والصلاة والنسك (أمرت وأنا من المسلمين»)[٢٣١] وإن كنت خلف الإمام فاختصر في دعاء الاستفتاح لخوف عدم إدراك الفاتحة قبل ركوع الإمام (ثم) بعد سكتة لطيفة من ذلك (قل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم») سرًّا في كل ركعة لأن التعوُّذ مطلوب عند إرادة القراءة (ثم) بعد سكتة لطيفة (اقرأ الفاتحة بتشديداتها) أي الأربع عشرة فإذا خففت مشددًا فقد أسقطت منها حرفًا (واجتهد في الفرق بين الضاد والظاء في قراءتك في الصلاة) فإنك لو أبدلت حرفًا بحرف آخر كضاد بظاء وحاء بهاء لم تصح قراءتك لتلك الكلمة، وكذا لو أبدلت ذال «الذين» المعجمة بالمهملة خلافًا للزركشي ومن تبعه، وإن كنت متعمدًا في إتيان ما يغير المعنى كإبدال ضاد الضالين ظاء بطلت صلاتك وإن كنت ساهيًا في ذلك بطلت قراءتك لا صلاتك إن أعدت القراءة على الصواب، ويسن لك السجود للسهو حينئذ، أما لو أتيت بما لم يغير المعنى كإبدال ياء العالمين واوًا بطلت قراءتك لا صلاتك إن أعدت الكلمة على الصواب (وقل: «آمين») بعد قراءة الفاتحة لأن نصفها دعاء فاستحب أن يسأل الله إجابته سواء كان في الصلاة أم خارجًا منها لكنه فيها أشد استحبابًا (ولا تصله) أي آمين (بقولك: «ولا الضالين» وصلًا) بل افصل بينهما بسكتة لطيفة تميز الذكر عن القرآن، ويسن في تلك السكتة أن تقول: «رب اغفر لي» لوروده في الخبر[٢٣٢] (واجهر بالقراءة في

(٢٣١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٧١) عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ.

(٢٣٢) أخرج الطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٢) (١٠٧) عن وائل بن حجر أنه سمع رسول الله ﷺ حين ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: الآية ٧] قال: «رب اغفر لي آمين».

. . . الصبحِ والمغربِ والعشاءِ -أعني في الركعتين الأوليين- إلا أن تكون مأمومًا واجهرْ بالتأمينِ واقرأْ في الصبح بعدَ الفاتحةِ من السُّوَرِ الطوالِ من المُفَصَّل، وفي المغربِ من قِصارِه، وفي الظهرِ والعصرِ والعشاءِ من أوساطِه نحو ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج: الآية ١] وما قاربها من السور، وفي الصبح في السفرِ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية ١] و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] ولا تَصِلْ آخرَ السورةِ بتكبير الركوع ولكن افصلْ بينهما بمقدارِ «سبحان الله»، وكن في جميعِ قيامك مُطْرِقًا قاصرًا نظرَك على مُصَلَّاكَ. . . . .

الصبح والمغرب والعشاء أعني) ندب الجهر (في الركعتين الأوليين إلا أن تكون مأمومًا) فلا تجهر (واجهر بالتأمين) في الجهرية ولو كنت منفردًا (واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال) بضم الطاء وكسرها (من المفصل) وأول المفصل الحجرات وآخره النبأ، وطواله كسورة «والمرسلات» (وفي المغرب من قصاره) وهي من «والضحى» إلى آخر القرآن (وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو «والسماء ذات البروج» وما قاربها من السور) وفي صبح الجمعة إذا اتسع الوقت «ألم تنزيل» في الأولى و«هل أتى» في الثانية بكمالها (وفي الصبح في السفر «قل يا أيها الكافرون» و«قل هو الله أحد») وهما يسميان سورتي الإخلاص فسورة «الكافرون» لإخلاص العبادة والدين، و«قل هو الله أحد» لإخلاص التوحيد، وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية، وقراءة سورة تندب لإمام ومنفرد ومأموم لم يسمع قراءة إمامه (ولا تصل آخر السورة بتكبير الركوع ولكن افصل بينهما بمقدار) قولك: (سبحان الله) وتسن سكتة لطيفة أيضًا بين «آمين» والسورة إن قرأها؛ فإن لم يقرأها فبين «آمين» والركوع، ويسن للإمام أن يسكت بعد تأمينه في الجهرية بقدر قراءة المأموم الفاتحة إن علم أنه يقرؤها في سكتته، وأن يشتغل فيها سرًّا بدعاء أو ذكر أو قراءة وهي أولى (وكن في جميع قيامك مطرقًا) أي مرخيًا عينيك (قاصرًا نظرك على مصلاك) أي محل سجودك لو سجدت ولو كنت تصلي في الكعبة أو خلف نبي أو على جنازة، وذلك من ابتداء

. . . فذلك أَجْمعُ لِهَمِّكَ وأَجْدَرُ لحضورِ قلبِكَ.

وإياك أن تلتفتَ يمينًا وشمالاً في صلاتك ثم كبِّرْ للركوعِ وارفعْ يديك كما سبق، ومُدَّ التكبيرَ إلى انتهاءِ الركوعِ ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعُكَ منشورةٌ وانْصِبْ ركبتيك ومُدَّ ظهرَك وعُنُقَك ورأسَك مُستَوِيًا كالصفيحةِ الواحدةِ وَجافِ مِرْفقيك عن جَنْبَيك، والمرأةُ لا تفعل ذلك بل تضم بعضَها إلى بعض، وقل: «سبحان ربي العظيم» ثلاثًا، وإن كنت منفردًا فالزيادةُ إلى سبع وعشرين حَسَنٌ ثم ارفعْ رأسَك حتى. . . . .

التحرم إلى آخر الصلاة (فذلك أجمع لهمك) أي لقلبك (وأجدر) أي أقرب (لحضور قلبك) نعم، السنة أن يقصر نظره على مسبحته ما دامت مرتفعة بعد أن يشير بها عند قوله: «إلا الله» في التشهد ولو مستورة، ولتكن منحنية متوجهة للقبلة ويستمر ذلك إلى القيام من التشهد الأول أو السلام في التشهد الأخير (وإياك أن تلتفت) بوجهك بلا حاجة (يمينًا وشمالاً في صلاتك) ولو قصدت اللعب بالتفاتك بطلت صلاتك (ثم كبر للركوع وارفع يديك) مع ابتداء التكبير ولا تُدم الرفع إلى انتهائه (كما سبق) في تكبير التحرم من أنه يسن رفع اليدين فيه (ومد التكبير إلى انتهاء الركوع) إلى وصول حده لئلا يخلو جزء من الصلاة عن ذكر (ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورة) أي متفرقة وسطًا موجهة لجهة القبلة على طول الساق بأن لا تحرف شيئًا منها عن جهتها يمنةً ويسرةً (وانصب ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر (ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويًا كالصفيحة) بالفاء ثم الحاء أي اللوح (الواحدة) فلا يكون رأسك أخفض ولا أرفع.

(وجاف مرفقيك عن جنبيك) وبطنك عن فخذيك (والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها إلى بعض) فتلصق مرفقيها بجنبيها (وقل: «سبحان ربي العظيم») أي الكامل ذاتًا وصفة (ثلاثًا وإن كنت منفردًا فالزيادة) من الثلاث (إلى سبع وعشرين حسن) والإتيان بتسبيحة واحدة محصل للسنة لكنه مكروه (ثم ارفع رأسك حتى

. . .تعتدلَ قائمًا وارفعْ يديك قائلاً: «سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَهُ» فإذا استويتَ قائمًا فقل: «ربَّنا لك الحمدُ مِلْءَ السمواتِ ومِلْءَ الأرضِ وملء ما شئتَ من شيءٍ بَعْدُ» وإن كنت في فريضةِ الصبحِ فاقرأْ القنوتَ في الركعة الثانية في اعتدالِك من الركوعِ ثم اسجدْ مكبرًا غير رافع اليدين، وَضَعْ أولًا على الأرضِ ركبتيك ثم يديك ثم جبهَتَك مكشوفةً وَضَعْ

تعتدل قائمًا وارفع يديك) مع ابتداء رفع رأسك (قائلاً: «سمع الله لمن حمده») اللام زائدة للتأكيد (فإذا استويت قائمًا) فأرسل يديك (فقل: «ربنا لك الحمد) حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. (ملء السموات وملء الأرض) وملء ما بينهما (وملء ما شئت من شيء بعد»)[٢٣٣] ولا تطول الاعتدال إلا في صلاة التسبيح (وإن كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع) ويحصل القنوت بكل كلمة تضمنت دعاء وثناء كاللهم اغفر لي يا غفور لكن الأفضل قنوت النبي ﷺ وهو «اللهم اهْدني فيمن هديتَ وعافني فيمن عافيتَ وتولَّني فيمن توليتَ وبارِكْ لي فيما أعطيتَ وقني شَرَّ ما قضيتَ فإنك تقضي ولا يُقضى عليك وإنه لا يذلُّ مَنْ واليتَ ولا يَعِزُّ مَنْ عاديتَ تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ»[٢٣٤] ويستحب أن يقول عقب هذا الدعاء: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم» هكذا في «الأذكار» (ثم اسجد مكبرًا غير رافع اليدين) وابتدئ التكبير مع ابتداء الهوي واختمه مع ختمه (وضع أولًا على الأرض ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر (ثم يديك) أي كفيك مكشوفتين ناشرًا أصابعك مضمومة موجهة للقبلة لأنها أشرف الجهات (ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك)

---

(٢٣٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع (٤٧٦)، ومواضع أخرى ، عن ابن أبي أوفى.

(٢٣٤) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في كتاب الصلاة باب: القنوت في الوتر (١٤٢٥) عن الحسن بن عليّ، وأخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في القنوت في الوتر (٤٦٤)، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب: الدعاء في الوتر (١٧٤٥) دون قوله: «ولا يعز من عاديت».

أنفَك مع الجبهة وَجافِ مرفقيك عن جنبيك وأَقِلَّ بطنَك عن فَخِذَيْك، والمرأةُ لا تفعل ذلك، وَضَعْ يديك على الأرض حذو منكبيك ولا تفرشْ ذراعيك على الأرضِ وقل: «سبحان ربي الأعلى» ثلاثًا أو سبعًا أو عشرًا إن كنت منفردًا ثم ارفعْ رأسَك من السجودِ مكبرًا حتى تعتدل جالسًا، واجلسْ على رجلك اليسرى وانْصِبْ قدمك اليمنى وضعْ يديك على فخذيك والأصابعُ منشورةً

مكشوفًا (مع الجبهة) وكشف الجبهة الملتصقة بالمصلى واجب وكشف غيرها مندوب، وكشف الركبتين مكروه وترك الترتيب في وضع هذه الأعضاء مكروه.

(وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل) أي ارفع (بطنك عن فخذيك) لأن ذلك أبلغ في تمكين الجبهة والأنف من محل سجوده وأبعد من هيئة الكسالى (والمرأة لا تفعل ذلك) ومثلها الخنثى لأنه أستر لها وأحوط، وكذلك الرجل العاري (وضع يديك على الأرض حذو منكبيك ولا تفرش) بضم الراء ويجوز كسرها (ذراعيك على الأرض) كما يفترش الكلب[٢٣٥] (وقل: «سبحان ربي الأعلى») والأعلى أبلغ من العظيم فجعل في السجود الذي هو أشرف من الركوع وأبلغ منه في التواضع والخضوع (ثلاثًا أو سبعًا أو عشرًا إن كنت منفردًا) وكذا إذا كنت مقتديًا وأطال الإمام السجود لأن الصلاة لا سكوت فيها، أما لو كنت إمامًا فلا تزد على الثلاث (ثم ارفع رأسك من السجود) بلا رفع ليديك (مكبرًا حتى تعتدل) أي تستوي (جالسًا) مطمئنًا (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بحيث يلي ظهرها الأرض (وانصب قدمك اليمنى وضع يديك) أي كفيك ندبًا (على فخذيك) قريبًا من ركبتيك بحيث تسامتهما رءوس الأصابع (والأصابع منشورة) ولا تتكلف ضمها ولا تفريجها، ولا يضر إدامة وضع الكفين على الأرض إلى

---

(٢٣٥) أخرج الترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في الاعتدال في السجود (٢٧٥)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: الاعتدال في السجود (٨٩١) عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إذا سجد أحدكم فليعتدل ولا يفترش ذراعيه افتراش الكلب».

وقل: «ربِّ اغفرْ لي وارحمْني وارزقْني واهْدني واجْبُرْني وعافِني واعْفُ عني» ثم اسجدْ سجدة ثانية كذلك ثم اعتدلْ جالسًا للاستراحةِ في كل ركعة لا تَشَهُّدَ عَقِبَها ثم تقومُ وتضع اليدين على الأرض ولا تقدِّمْ إحدى رجليك في حالة الارتفاع وابتدئ بتكبيرةِ الارتفاعِ عند القرب من حَدِّ جَلْسَةِ الاستراحةِ ومُدَّها إلى انتصاف ارتفاعك إلى قيامك،

السجدة الثانية (وقل: رب اغفر لي وارحمني وارزقني) أي أعطني من خزائن فضلك ما قسمته لي في الأزل حلالاً (واهدني واجبرني) أي من الذل أو أغنني (وعافني) أي ادفع عني كل ما أكره من بلاء الدنيا والآخرة.

(واعف عني) وفي «الأذكار»: روى البيهقي[٢٣٦] عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من السجدة قال: «ربِّ اغفرْ لي وارحمْني واجبرْني وارفعْني وارزقْني واهْدني» وفي رواية أبي داود[٢٣٧] «وعافني» انتهى.

ولا تُطوِّل هذه الجلسة إلا في صلاة التسبيح (ثم اسجد سجدة ثانية كذلك) أي كالأولى في جميع ما مر (ثم اعتدل) أي استو (جالسًا) جلسة خفيفة ولو كنت في نفل وإن كنت قويًا (للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها) باعتبار إرادتك، ولا يضر تخلف المأموم لأجل هذا الجلوس لأنه يسير بل إتيانه به حينئذ سنة، وهذا فاصل ليس من الأولى ولا من الثانية، ولا يسن هذا بعد سجود تلاوة (ثم تقوم) من السجود وقعود الاستراحة (وتضع اليدين على الأرض) معتمدًا على بطن راحتهما وأصابعهما (ولا تقدم إحدى رجليك في حالة الارتفاع) أي على الأخرى (وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها) أي التكبيرة (إلى انتصاف ارتفاعك إلى قيامك) بأن تستغرق ما بين وسط ارتفاعك من القعود إلى وسط ارتفاعك إلى القيام بحيث يكون هاء «الله» عند استوائك جالسًا، وكاف

---

(٢٣٦) البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٢٢) (٢٥٨٣).

(٢٣٧) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: الدعاء بين السجدتين (٨٠٥) ولفظه: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني».

ولتكنْ هذه الجلسةُ جلسةً خفيفةً مُخْتَطَفَةً وَصَلِّ الركعةَ الثانيةَ كالأولى وأَعِذ التعوُّذَ في الابتداءِ ثم اجلسْ في الركعة الثانية للتشهد الأول وضع اليد اليمنى في جلوس التشهد على الفخذ اليمنى مقبوضةَ الأصابعِ إلا المُسَبِّحَةَ والإبهامَ فترسلهما، وانشرْ مسبحةَ يُمناك عند قولك: «إلا الله» لا عند قولك: «لا إلهَ» وَضَعِ اليدَ اليُسرى منشورةً. . . . .

«أكبر» عند اعتمادك على اليد للقيام، ووراء «أكبر» في وسط ارتفاعك إلى القيام، وتبتدئ التكبيرة في وسط ارتفاعك إلى القيام حتى تقف التكبيرة في وسط انتقالك ولا يخلو عنها إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعظيم، ولا تمدها مدًّا يزيد على سبع ألفات فإن ذلك مضر لأن المد لا يزيد على ذلك (ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة) أي قليلة (مختطفة) أي سريعة فلا يجوز تطويلها كالجلوس بين السجدتين كما قاله ابن حجر ثم قال عمر البصري: وتطويلها يحصل بقدر زمن يسع أقل التشهد فقط إذ لا ذكر هنا حتى يعتبر أو بزيادة على قدر الجلوس بين السجدتين، ولعل الحكمة في عدم مشروعية الذكر فيها كون القصد بها الاستراحة فخفف على المصلي بعدم أمره بتحريك شيء من الأعضاء أو كون مشروعية مد التكبير مسقطًا للذكر انتهى.

ولا تسن هذه الجلسة لقاعد كما قاله ابن حجر والرملي (وصل الركعة الثانية كالأولى) أي في وضع اليدين تحت الصدر وفي قراءة الفاتحة والسورة وفي قصر النظر على موضع السجود (وأعد التعوذ في الابتداء) أي ابتداء القيام لأنه يسن للقراءة ولا تُعد الاستفتاح (ثم) بعد تمام السجدة الثانية (اجلس في الركعة الثانية للتشهد الأول وضع اليد اليمنى في جلوس التشهد) أي مطلقًا (على الفخذ اليمنى مقبوضة الأصابع) بعد وضعها عند الركبة أولاً منشورة (إلا المسبحة والإبهام فترسلهما) وعبارة «الإحياء»: ولا بأس بإرسال الإبهام أيضًا (وانشر مسبحة يمناك) وحدها مع إمالتها قليلاً لئلا تخرج عن سمت القبلة (عند) همزة (قولك: «إلا الله» لا عند) لام (قولك: «لا إله») قاصدًا من ابتدائك بهمزة «إلا الله» أن المعبود واحد فتجمع في توحيدك بين اعتقادك وقولك وفعلك (وضع اليد اليسرى منشورة

. . .الأصابعِ على الفَخِذِ اليسرى واجلسْ على رجلك اليسرى في هذا التشهد كما بين السجدتين وفي التشهدِ الأخيرِ مُتَوَرِّكًا واستكملِ الدعاءَ المعروفَ المأثورَ بعدَ الصلاةِ على النبي ﷺ واجلس فيه على وَرِكِكَ الأيسرِ وضعْ رجلك اليسرى خارجةً من تحتك وانْصِبْ القدمَ اليمنى ثم قُلْ بعد الفراغ: . . . .

الأصابع) بضمها حتى الإبهام بأن لا تفرج بينها لتتوجه كلها إلى القبلة (على الفخذ اليسرى) بحيث تسامت[٢٣٨] رءوسها أول الركبة (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بعد أن تضجعها بحيث يلي ظهرها الأرض، وانصب قدمك اليمنى وضع بطون أطراف أصابعها على الأرض متوجهة للقبلة ولو كنت في الكعبة (في هذا التشهد كما بين السجدتين) وكالجلوس للاستراحة (وفي التشهد الأخير متوركًا واستكمل الدعاء المعروف) أي المشهور بين الناس فقوله: «في التشهد الأخير» متعلق بقوله: «استكمل» (المأثور) أي المنقول عن رسول الله ﷺ (بعد الصلاة على النبي ﷺ) نحو: «اللهم إني أعوذُ بك من عذابِ جهنمَ ومن عذابِ القبرِ ومن فتنةِ المحيا والمماتِ ومن شرِّ فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ[٢٣٩]، اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا كبيرًا ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ فاغفرْ لي مغفرةً من عندك وارحمْني إنك أنت الغفورُ الرحيمُ»[٢٤٠] (واجلس فيه) أي التشهد الأخير (على وركك الأيسر) بأن تلصقه بالأرض لأنك لست مستوفزًا للقيام بل أنت مستقر (وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك) أي من جهة يُمناك (وانصب القدم اليمنى) وضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليك، ومحل ندب التورك في الجلوس الأخير إذا لم يعقبه سجود سهو أريد فعله (ثم قل بعد الفراغ)

---

(٢٣٨) تُسامت أي تقابل وتوازي (المعجم الوسيط «سمت»).

(٢٣٩) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٨) عن أبي هريرة.

(٢٤٠) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب: الدعاء قبل السلام (٨٣٤) ومواضع أخرى، عن أبي بكر الصديق.

. . . «السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ» مرتين من الجانبين والتفتْ بحيث يُرَى بياضُ خديك من جانبيك وانْوِ الخروجَ من الصلاةِ وانْوِ السلامَ على مَنْ على جانبيك من الملائكة والمسلمين، وهذه هيئةُ صلاةِ المنفردِ.

من الأدعية التي تطلب في التشهد (: «السلام عليكم ورحمة الله») ولا يستحب أن تقول معه: «وبركاته» لأنه خلاف المشهور عن رسول الله ﷺ [(٢٤١)]، وإن كان قد جاء في رواية لأبي داود[(٢٤٢)] كذا في «الأذكار» تقول ذلك (مرتين من الجانبين) وافصل بينهما (والتفت) فيهما بوجهك فقط إلى الجانبين (بحيث يُرَى بياضُ) أي صورة (خديك من جانبيك) بأن تلتفت في المرة الأولى حتى يرى مَنْ وراءك خدّك الأيمن، وفي المرة الثانية حتى يرى مَنْ خلفَك خدّك الأيسر، ولو سلمت الأولى شمالاً سلمت الثانية يمينًا عند ابن قاسم، وشمالاً أيضًا عند الشبراملسي، ويسن ابتداء السلام في كلٍّ مستقبلاً للقبلة وإنهاؤه مع تمام الالتفات (وانو الخروج من الصلاة) أي لقصد التحلل منها بالتسليمة الأولى فإن نويت قبلها بطلت الصلاة، ومع الثانية أو أثناء الأولى فاتت السنة، ولو سلّم المتطوع الذي نوى عددًا واقتصر على بعضه أثناء صلاته قصدًا فإن قصد التحلل فقد نوى الاقتصار على بعض ما نوى، وإن سلم عمدًا ولم يقصد التحلل بطلت صلاته؛ فلابد من قصد التحلل أو الاقتصار على أقل مما نواه؛ فلو نوى بالتسليمة الخروج من صلاة الظهر وهو في العصر بطلت الصلاة إن تعمد كذا أفاده الونائي (وانو السلام على مَنْ على جانبيك من الملائكة والمسلمين) من إنس وجن فتنوي بمرة اليمين على من على يمينك، وبمرة اليسار على من على يسارك وعلى من خلفك وأمامك بأيهما شئت، والأولى أولى، ويسن الرد من غير المصلي ولا يجب الرد لانصراف السلام للتحلل (وهذه هيئة صلاة المنفرد) وسيأتي قريبًا صفة صلاة

---

(٢٤١) أخرج الترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في التسليم في الصلاة (٢٩٥) عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يسلم عن يمينه وعن يساره: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، وأخرجه النسائي في كتاب السهو باب: كيف السلام على الشمال، وأبو داود في كتاب الصلاة باب: في السلام (٩٩٦).

(٢٤٢) أخرج أبو داود في كتاب الصلاة باب: في السلام (٩٩٧) عن علقمة بن وائل=

وعمادُ الصلاةِ: الخشوعُ وحضورُ القلب مع القراءةِ والذكر بالتفهم؛ قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «كل صلاة لا يَحْضُرُ فيها القلبُ.........................

الجماعة زائدة على هذه الصفة.

فضيلة الخشوع في الصلاة

(وعماد الصلاة الخشوع)[٢٤٣] بسكون الجوارح فلا يعبث بعضو منها وبحضور القلب، ومما يحصله استحضارهُ أنه بين يدي الله تعالى ملك الملوك وأنه يعلم السر وأخفى وأنه يناجيه وأنه ربما تجلى عليه بالقهر لعدم قيامه بحق ربوبيته فيرد عليه صلاته (وحضور القلب مع القراءة والذكر بالتفهم) أي التأمل في الجملة لا المبالغة فيه لأنه يشغله عما هو بسلوكه في طريقه (وقال الحسن البصري) وهو من أكبر التابعين (رحمه الله تعالى: كل صلاة لا يحضر فيها القلب

=عن أبيه قال: صليت مع النبي ﷺ فكان يسلم عن يمينه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعن شماله: السلام عليكم ورحمة الله.

(٢٤٣) اختلف الفقهاء في حكم الخشوع في الصلاة هل هو فرض من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها؟

فذهب جمهور الفقهاء إلى أنه سنة من سنن الصلاة بدليل صحة صلاة من يفكر بأمر دنيوي؛ إذ لم يقولوا ببطلانها إذا كان ضابطًا أفعالها.

وعليه فيسن للمصلي أن يخشع في كل صلاته بقلبه وبجوارحه، والأصل في طلب الخشوع في الصلاة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ فسّر علي رضي الله عنه الخشوع في الآية بلين القلب وكفّ الجوارح، وإذا ترك المصلي الخشوع في صلاته فإن صلاته تكون صحيحة عند الجمهور لأن النبي ﷺ لم يأمر العابث بلحيته بإعادة الصلاة، مع أن الحديث يدل على انتفاء خشوعه في صلاته، ولأن الصلاة لا تبطل بعمل القلب ولو طال، إلا أنه ارتكب مكروهًا ولا يستحق الثواب لقوله ﷺ: «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل» وذهب بعض فقهاء كل من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أن الخشوع لازم من لوازم الصلاة إلا أنهم اختلفوا فيه: فقال بعضهم: إنه فرض من فرائض الصلاة ولكن لا تبطل=

...فهي إلى العقوبةِ أَسْرَعُ وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ العبدَ لَيُصَلِّي الصلاةَ فلا يُكْتَبُ له منها سُدُسُها ولا عُشْرُها وإنما يُكْتَبُ للعبدِ من صلاتِهِ بقدرِ ما عَقَلَ منها».

فهي إلى العقوبة أسرع)[٢٤٤] وحكي: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء فقال: إذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فإني قريب. (وقال رسول الله ﷺ: **«إن العبد ليصلي الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل)** أي تدبر (منها»)[٢٤٥]، وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي هريرة: **«إن العبدَ إذا**

=الصلاة بتركه؛ لأنه معفوّ عنه، وقال آخرون: إنه فرض تبطل الصلاة بتركه كسائر الفروض، وقال بعض آخر منهم: إن الخشوع شرط لصحة الصلاة لكنه في جزء منها فيشترط في هذا القول حصول الخشوع في جزء من الصلاة وإن انتفى في الباقي، وبعض أصحاب هذا القول حدد الجزء الذي يجب أن يقع فيه الخشوع من الصلاة فقال: ينبغي أن يكون عند تكبيرة الإحرام.

وذكر القرطبي أنه قد يكون الخشوع مذمومًا وهو المتكلف أمام الناس بمطأطأة الرأس والتباكي كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والإجلال، وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الإنسان(اهـ بتصرف من الموسوعة الفقهية الكويتية مادة «خشوع»).

(٢٤٤) كثرت عبارات السلف في الحث على الخشوع في الصلاة فقال إمام الحرمين: انظر أيها العاقل هل وجهت قط صلاة من صلواتك إلى السماء كمائدة بعثتها إلى بيوت الأغنياء؟!.

وقال الوراق: ما فرغت قط من صلاة إلا استحيت حين فرغت منها أشد من حياء امرأة فرغت من الزنا. (اهـ فيض القدير للمناوي ٢/ ٣٢٤).

(٢٤٥) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرجه بنحوه أبو داود في كتاب الصلاة باب: ما جاء في نقصان الصلاة (٧٩٦)، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٢١٠) (١٨٨٩)، ولفظه عند أبي داود: عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها».**

. . . .

صلَّى في العلانيةِ فأحسنَ وصلَّى في السرِّ فأحسنَ قال اللهُ تعالى: هذا عبدي حقًّا»[٢٤٦] والمعنى أن العبد إذا صلى فرضًا أو نفلًا حيث يراه الناس فأحسن الصلاة بأن أتى بما يطلب فيها ولم يراءِ بها وصلى حيث لا يراه أحد فأحسن الصلاة بأن أتى بأركانها وشروطها ومستحباتها من خشوع ونحوه وكان واقفًا عند حدود الله ممتثلًا أوامره مجتنبًا لمناهيه أثنى الله عليه ونشر ثناءه بين الملائكة فيحبونه ثم تقع محبته في قلوب أهل الأرض؛ فهذا هو العبد الذي يوصف بأنه قائم على قدم الطاعة فهو العبد حقًّا.

---

(٢٤٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب: التوقي على العمل (٤٢٠٠).

آداب الإمامة والقدوة

ينبغي للإمام أن يخُفِّفَ الصلاةَ؛ قال أَنَسُ بن مالك ﷺ: «ما

(آداب الإمامة والقدوة)

بكسر القاف ويجوز ضمها كذا قاله الرشيدي كما في «الصحاح» وعكس ذلك في «المصباح» (ينبغي) أي يطلب (للإمام) آداب ثمانية: الأول (أن يخفف الصلاة) أي في قراءة السورة وإن روي أنه ﷺ قرأ في الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل(٢٤٧)، وروي أن آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ المغرب قرأ فيها سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قُبض(٢٤٨) وبالجملة فالتخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال ﷺ: «إذا صلّى أحدُكم بالناسِ فليخفّفْ فإن فيهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجةِ وإذا صلى لنفسِهِ فليطوّلْ ما شاء»(٢٤٩) (قال أنس بن مالك ﷺ) وكان يخدم رسول

(٢٤٧) أخرج مسلم في كتاب الصلاة باب: القراءة في الظهر والعصر (٤٥٢) عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية، وفي الأخريين قدر خمس عشرة آية أو قال: نصف ذلك، وفي العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر قراءة خمس عشرة آية، وفي الأخريين قدر نصف ذلك.

وأخرج أحمد في مسنده(٢/ ٣٠٠) (٧٩٧٨) عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال: ما صليت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من فلان قال سليمان : كان يطيل الركعتين الأوليين من الظهر ويخفف الأخريين ويخفف العصر ويقرأ في المغرب بقصار المفصل ويقرأ في العشاء بوسط المفصل ويقرأ في الصبح بطوال المفصل.

(٢٤٨) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب: مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٢٩)، ومسلم في كتاب الصلاة باب: القراءة في الصبح (٤٦٢) عن أم الفضل بنت الحارث، ولفظ البخاري: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفًا ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله.

(٢٤٩) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب: إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (٧٠٣)،=

صليتُ خَلْفَ أحدٍ صلاةً أخفَّ ولا أتمَّ من صلاةِ رسولِ الله ﷺ» ولا يكبِّرُ ما لم يَفْرُغِ المؤذنُ من الإقامةِ وما لم تستوِ الصفوفُ

الله ﷺ عشر سنين: «ما صليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله ﷺ»(٢٥٠) (و) الثاني (لا يكبر) أي الإمام (ما لم يفرغ المؤذن من الإقامة وما لم تستو الصفوف) فيلتفت يمينًا وشمالًا فإن رأى خللًا أمر بالتسوية، والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة لأنه ﷺ نهى عن مدافعة الأخبثين(٢٥١) وأمر بتقديم العشاء(٢٥٢) طلبًا لفراغ القلب.

=ومسلم في كتاب الصلاة باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة (٤٦٧) ومواضع أخرى عن أبي هريرة بألفاظ متقاربة.

(٢٥٠) الحديث بنحوه أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (٧٠٨)، ومسلم في كتاب الصلاة باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٤٦٩).

(٢٥١) أخرج مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: كراهة الصلاة بحضرة الطعام (٥٦٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان».

وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٥/ ٤٦): وفي الحديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين وهما: البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع، وهذه الكراهة عند جمهور أصحابنا وغيرهم إذا صلى كذلك وفي الوقت سعة؛ فإذا ضاق بحيث لو أكل أو تطهر خرج وقت الصلاة صلى على حاله محافظة على حرمة الوقت ولا يجوز تأخيرها، وحكى أبو سعد المتولي من أصحابنا وجهًا لبعض أصحابنا أنه لا يصلي بحاله بل يأكل ويتوضأ وإن خرج الوقت لأن مقصود الصلاة الخشوع فلا يفوته، وإذا صلى على حاله وفي الوقت سعة فقد ارتكب المكروه وصلاته صحيحة عندنا وعند الجمهور لكن يستحب إعادتها ولا يجب ، ونقل القاضي عياض عن أهل الظاهر أنها باطلة اهـ .

(٢٥٢) أخرج البخاري في كتاب الأذان باب: إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة (٦٧١)=

ويرفعُ الإمامُ صوتَهُ بالتكبيراتِ ولا يرفعُ المأمومُ صوتَهُ إلا بقدرِ ما يُسْمِعُ نفسَهُ ،وينوي الإمامُ الإمامةَ لينالَ الفضلَ فإذا لم ينوِ صحتْ صلاةُ القومِ إذا نووا الاقتداءَ به ونالوا فضلَ القُدْوَةِ، ويُسِرُّ بدعاءِ الاستفتاحِ والتعوذِ كالمنفردِ ويجهرُ بالفاتحةِ والسورةِ في جميعِ الصبح وأَوَّلَتَي المغربِ والعشاءِ وكذلك المنفردُ، ويجهرُ بقوله: «آمين» في الجهرية، وكذلك المأمومُ.........

(و) الثالث (يرفع الإمام صوته بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع) بضم الياء وكسر الميم أي المأموم (نفسه وينوي الإمام الإمامة لينال الفضل) أي فضل الجماعة (فإذا لم ينو) الإمامة (صحت) صلاته منفردًا، وصحت (صلاة القوم) المأمومين (إذا نووا الاقتداء به) أي بذلك الإمام (ونالوا فضل القدوة) فإن ترك المأموم هذه النية أو شك فيها وتابعه في فعل أو سلام بعد انتظار كثير للمتابعة بطلت صلاته لأنه وقفها على صلاة غيره بلا رابطة بينهما (و) الرابع (يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد) أي وكالمأموم أيضًا (ويجهر بالفاتحة والسورة) بعدها (في جميع) ركعتي (الصبح وأولتي المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله: «آمين» في) الصلاة (الجهرية) أي ومثله المنفرد (وكذلك المأموم) على الصحيح سواء كان الجمع قليلاً أو كثيرًا وكذلك لقراءة إمامه لا لقراءة نفسه، ولا يسن التأمين للمأموم لقراءة الإمام في السرية وإن جهر

=عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء».
وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ١٦٠): قوله «فابدءوا بالعشاء» حمل الجمهور هذا الأمر على الندب ثم اختلفوا: فمنهم من قيده بمن كان محتاجًا إلى الأكل وهو المشهور عند الشافعية، وزاد الغزالي ما إذا خشي فساد المأكول، ومنهم من لم يقيده، وهو قول الثوري، وأحمد وإسحاق، وأفرط ابن حزم فقال: تبطل الصلاة، ومنهم من اختار البداءة بالصلاة إلا إن كان الطعام خفيفًا، نقله ابن المنذر عن مالك، وعند أصحابه تفصيل قالوا: يُبدأ بالصلاة إن لم يكن متعلق النفس بالأكل أو كان متعلقًا به لكن لا يعجله عن صلاته فإن كان يعجله عن صلاته بدأ بالطعام واستُحبت له الإعادة. اهـ .

. . .ويَقْرُنُ المأمومُ تأمينَه بتأمينِ الإمامِ معًا لا تعقيبًا له، ويسكتُ الإمامُ سكتةً عَقِبَ الفاتحةِ ليثوبَ إليه نَفَسُهُ ويقرأ المأمومُ الفاتحةَ في الجهريةِ في هذه السكتةِ ليتمكنَ من الاستماعِ عندَ قراءةِ الإمامِ، ولا يقرأ المأمومُ السورةَ في الجهريةِ إلا إذا لم يسمعْ صوتَ الإمامِ، ولا يَزيدُ الإمامُ على ثلاثٍ في تسبيحاتِ الركوعِ والسجودِ

الإمام بذلك (ويقرن) بضم الراء على الأفصح وقد تكسر (المأموم تأمينه بتأمين الإمام معًا لا تعقيبًا له) أي لا بعده ولا قبله، وليس في الصلاة موضع يستحب أن يقترن فيه قول المأموم بقول الإمام إلا في قوله: «آمين» وأما في باقي الأقوال فليتأخر قول المأموم عن قول الإمام، ويجهر الإمام والمنفرد ببسم الله الرحمن الرحيم (و) الخامس (يسكت الإمام سكتة) لطيفة في السرية (عقب الفاتحة ليثوب) أي يرجع (إليه نفسه) بفتح الفاء بعد ذهابه، وسكتة طويلة في الجهرية بقدر قراءة المأموم الفاتحة باعتبار الوسط المعتدل (ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة) للإمام، وإنما يسكت الإمام بقدر ذلك (ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام) للسورة فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم ويقرءون الفاتحة معه لأن الحالة حالة عذر والمقصر هو الإمام وإن لم يقرءوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه (ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية) فذلك مكروه (إلا إذا لم يسمع صوت الإمام) لبعده أو صمم أو سماع صوت غير مفهوم أو إسرار إمامه ولو في الجهرية؛ فيقرأ ندبًا سورة فأكثر إلى أن يركع الإمام لأن الصلاة لا سكوت فيها بغير المشروع.

(و) السادس (لا يزيد الإمام على ثلاث في تسبيحات الركوع والسجود) نعم روي أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبدالعزيز -وكان أميرًا بالمدينة- قال: «ما صليت وراء أحد أشبه صلاةً بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب وكنا نسبح وراءه عشرًا عشرًا»(٢٥٣) وذلك حسن، ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن

---

(٢٥٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: مقدار الركوع والسجود (٨٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١١٠) (٢٥١٩) .

ولا يَزيدُ في التشهدِ الأولِ بعد قوله: «اللهم صلِّ على محمدٍ» ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة، ولا يُطوِّل على القوم ولا يَزيدُ دعاؤه في التشهدِ الأخيرِ على قدرِ تشهدِهِ وصلاتِه على رسولِ اللهِ ﷺ، وينوي الإمامُ عند التسليمِ السلامَ على القومِ وينوي القومُ بتسليمهم جوابَهُ، ويلبثُ الإمامُ ساعةً بعدما يفرغُ من السلامِ. . . . .

فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر؛ هذا وجه الجمع بين الروايات كذا في «الإحياء».

(و) السابع (لا يزيد في التشهد الأول بعد قوله: «اللهم صل على محمد») فإن الصلاة على الآل فيه لا تسن على الصحيح فإنه مبني على التخفيف أما المأموم فيسن له أن يشتغل بالدعاء إذا فرغ من التشهد والصلاة على النبي ﷺ قبل الإمام (و) الثامن (يقتصر) أي الإمام (في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة) ومثله المنفرد أما المأموم فيسن له أن يقرأ السورة في الثالثة والرابعة إذا فرغ من الفاتحة قبل الإمام إذ لا معنى لسكوته (ولا يطول) أي الإمام (على القوم) فسر ذلك بقوله: (ولا يزيد دعاؤه في التشهد الأخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله ﷺ) بل الأفضل أن يكون الدعاء أقل منهما لأنه تبع لهما، والزيادة على قدرهما تكره على الإمام ولا تضر على غيره (وينوي الإمام عند التسليم) مع نية التحلل (السلام) أي ابتداءه (على القوم) ويشترط أن لا يقصد غير السلام فقط (وينوي القوم بتسليمهم جوابه) أي الإمام أي الرد عليه زيادة على الابتداء فينوي رد السلام منهم مَنْ على يمينه بالتسليمة الثانية، ومَنْ على يساره بالأولى، ومَنْ خلفه بأيهما شاء وبالأولى أفضل، وينوي أيضًا بعض المأمومين الرد على بعض وسُنَّ للمأموم أن لا يسلم إلا بعد فراغ الإمام من تسليمتيه، ولو ترك السنة بأن سلم قبل سلام إمامه الثانية سُنَّ للإمام الرد عليه.

(ويلبث الإمام) مكانه (ساعة بعدما يفرغ من السلام) وفي الخبر أنه ﷺ لم يكن يقعد إلا قدر قوله: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال

. . . ويُقْبِل على الناس بوجهِه ولا يلتفتُ إن كان خلفَهُ نساءٌ لينصرفْنَ أولًا، ولا يقومُ أحدٌ من القومِ حتى يقومَ الإمامُ، وينصرفُ الإمامُ حيثُ شاءَ عن يمينِه أو شمالِه، واليمينُ أحبُّ إلي، ولا يَخُصُّ الإمامُ نفسَهُ بالدعاءِ في قُنوتِ الصبحِ بل يقول: «اللهم اهْدنا». . . . .

والإكرام»[٢٥٤] (ويقبل على الناس بوجهه) قال شيخ الإسلام: ولو مكث بعد الصلاة لذكر ودعاء فالأفضل جعل يمينه إليهم ويساره إلى المحراب[٢٥٥] للاتباع رواه مسلم[٢٥٦] أي في غير مسجده ﷺ أما فيه فيجعل يمينه إليه تأدبًا معه ﷺ، وعند أبي حنيفة يجعل وجهه لهم كما قال عطية والبجيرمي (ولا يلتفت) وفي نسخة: «ويلبث» وهذا موافق «للإحياء» و«فتح الوهاب» (إن كان خلفه نساء لينصرفن أولاً) وسن لهن الانصراف عقب سلام الإمام لأن الاختلاط بهن مظنة الفتنة (ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام) فقيام المأموم قبل انتقال الإمام مكروه.

(وينصرف الإمام) من مكان السلام إلى مكان آخر ولو في أثناء المسجد أو من المسجد أو إلى الطريق (حيث شاء عن يمينه أو شماله واليمين أحب إليّ) لأن جهة اليمين أفضل (ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح) فلا يقول: «اللهم اهدني» (بل يقول: «اللهم اهدنا») أي وهكذا للخبر الذي رواه الترمذي:

---

(٢٥٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٥٩٢) عن عائشة.

(٢٥٥) أي: ولو في الدعاء.

(٢٥٦) لم أعثر عليه عند مسلم، وإنما عثرت عليه عند أبي داود في كتاب الصلاة باب: الإمام ينحرف بعد التسليم (٦١٤) ولفظه: عن جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ فكان إذا انصرف انحرف» قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢/ ٢٢٦): انحرف أي مال عن القبلة واستقبل الناس.

وأخرج النسائي نحوه في كتاب السهو باب: الانحراف بعد التسليم (١٣٣٤) عن الراوي نفسه أنه صلى مع رسول الله ﷺ صلاة الصبح فلما صلى انحرف.

. . . ويجهرُ به ويؤمِّنُ القومُ ولا يرفعون أيديَهم إذ لم يثبُتْ ذلك في الأخبارِ ويقرأ المأمومُ بقيةَ القنوتِ من قولِهِ: «إنك تقضي ولا يُقضَى عليك» ولا

«لا يَؤُمُّ عبدٌ قومًا فيخُصُّ نفسَهُ بدعوةٍ دونَهُمْ فإن فعلَ فقد خَانَهُمْ»(٢٥٧) أي انتقص ثوابهم بتفويتهم ما طلب لهم فكره ذلك أما ما ورد من النص بإفراد الدعاء فهو في غير القنوت فيفرد (ويجهر) أي الإمام (به) أي القنوت ولو في السرية على الصحيح (ويؤمن القوم) بالدعاء جهرًا إذا سمعوا قنوت الإمام وإذا لم يسمعوه قنتوا سرًا (ولا يرفعون أيديهم إذ لم يثبت ذلك في الأخبار) وهذا ضعيف بل الصحيح سن رفع اليدين في جميع القنوت والصلاة والسلام بعده، وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت(٢٥٨) وفارق الدعوات في آخر التشهد حيث لا يرفع بسببها اليدان لأن لهما وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا؛ فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فإنه لائق بالدعاء كذا في «الإحياء» و«التحفة»، ولا يندب مسح اليدين بعده في الصلاة ويندب خارجها (ويقرأ المأموم بقية القنوت من قوله: «إنك تقضي ولا يقضى عليك») سرًا وهو ثناء فلا يليق به التأمين بل يقرأ مع الإمام فيقول مثل قوله وهو أولى أو يقول: «بل وأنا على ذلك من الشاهدين» أو يقول: «أشهد» أو يسكت مستمعًا لإمامه، ويؤمن المأموم بعد

---

(٢٥٧) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب: ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء (٣٥٧) ولفظه بتمامه: عن ثوبان عن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرئ أن ينظر في جوف بيت امرئ حتى يستأذن فإن نظر فقد دخل ولا يؤم قومًا فيخص نفسه بدعوة دونهم فإن فعل فقد خانهم ولا يقوم إلى الصلاة وهو حقن» وأخرجه بلفظه أيضًا ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: لا يخص الإمام نفسه بالدعاء (٩٢٣)، وبنحوه أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب: أيصلي الرجل وهو حاقن؟ (٩٠).

(٢٥٨) أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١١) (٢٩٦٤) عن ثابت عن أنس بن مالك في قصة القراء وقتلهم قال: فقال لي أنس: لقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم. يعني على الذين قتلوهم، والحديث سنده جيد كما قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

يقفُ المأمومُ وحدَهُ بل يدخلُ في الصفِّ أو يَجُرُّ إلى نفسِهِ غيرَهُ ولا ينبغي للمأمومِ أن يتقدمَ على الإمامِ في أفعالِه أو يساويه بل ينبغي أن يتأخرَ عنه، ولا يهوي للركوعِ إلا إذا انتهى الإمامُ إلى حَدِّ الركوعِ ولا يهوي. . . . . . .

الصلاة على النبي على المعتمد لأنها دعاء (ولا يقف المأموم وحده) أي منفردًا عن صف من جنسه (بل يدخل في الصف) إن وجد سعة بأن كان لو دخل فيه وسعه من غير إلحاق مشقة لغيره وإن لم تكن فيه فرجة (أو يجر إلى نفسه غيره) أي جرًّا، بعد إحرامه لا قبلُ، من الصف ليصطف معه خروجًا من الخلاف في بطلان الصلاة بالانفراد عن الصف قال به الإمام أحمد وابن المنذر وابن خزيمة والحميدي.

بيان شروط الإمام

«واعلم» أن شروط الإمام ستة عشر:

الأول: التمييز. والثاني: العقل. والثالث: الإسلام. والرابع: الذكورة فيمن أم الرجل أو الخنثى. والخامس: أن يكون مكلفًا إذا كان إمام الجمعة وكان من الأربعين. والسادس: عدم لزوم الإعادة في حقه كمتيمم لنحو برد ومتيمم لعدم الماء في محل يغلب فيه وجود الماء وفاقد الطهورين. والسابع: أن لا يكون هاجمًا بلا اجتهاد -إن احتاج إليه- في الأواني أو الثياب أو القبلة فصلاة ذلك باطلة تلزمه الإعادة. والثامن: معرفة كيفية الصلاة. والتاسع: أن لا يكون لاحنًا لحنًا يغير المعنى في الفاتحة. والعاشر: أن لا يكون أخرس وإن كان المقتدي به أخرس أيضًا. والحادي عشر: أن لا يكون أميًا وهو من لا يحسن الفاتحة والمأموم قارئ. والثاني عشر: أن لا يكون تابعًا لغيره. والثالث عشر: أن لا يكون مرتكب بدعة يُكفر بها. والرابع عشر: أن يكون ظاهر الأفعال للمأموم ليتمكن من متابعته. والخامس عشر: اجتماع شروط الصلاة في الإمام يقينًا أو ظنًّا من طهارة وستر عورة واجتناب نجاسة غير معفو عنها. والسادس عشر: نية الإمامة فيما تجب فيها نيتها وهي الجمعة والمعادة والمجموعة بالمطر والمنذورة جماعة كالعيد ونحوه بأن نذر شخص أن يصلي ذلك جماعة ثم يصلي إمامًا فتجب نية الإمامة.

(ولا ينبغي) أي لا يليق (للمأموم أن يتقدم على الإمام في أفعاله أو يساويه) أي يقارنه في تلك (بل ينبغي) أي يطلب (أن يتأخر عنه ولا يهوي) بكسر الواو أي المأموم (للركوع إلا إذا انتهى) أي وصل (الإمام إلى حد الركوع ولا يهوي

. . . للسجودِ ما لم تصلْ جبهةُ الإمامِ إلى الأرضِ.

للسجود ما لم تصل جبهة الإمام إلى الأرض).

بيان شروط المأموم

«واعلم» أن شروط المأموم تسعة:

الأول: المتابعة بأن يتابع إمامه في الأفعال فلا يسبقه بركنين فعليين ولو غير طويلين عامدًا عالمًا بالتحريم ولا يتخلف عنه بهما بلا عذر(٢٥٩). والثاني: أن ينوي الاقتداءَ بالإمام أو الجماعة أو الائتمامَ في غير الجمعة مطلقًا وفيها مع التحرم لأن التبعية عمل فافتقرت إلى نية ومثل الجمعة كل ما وجبت فيه الجماعة. والثالث: موافقة المأموم إمامه في سنن تَفْحُشُ مخالفته فيها فعلاً وتركًا كسجدة تلاوة. والرابع: تيقن تقدم إحرام إمامه على جميع تحرمه. والخامس: أن يكون عالمًا بانتقالات الإمام ليتمكن من متابعته. والسادس: أن لا يكون سابقًا إمامه فيما اعتمد عليه.

والسابع: أن لا يعتقد بطلان صلاة إمامه، ولو شك الشافعيُّ في إتيان المخالف كحنفي بالواجبات عند المأموم لم يؤثِّر في صحة الاقتداء به تحسينًا للظن به في توقي الخلاف، ولو علم ترك الإمام البسملة لم تصح قدوة الشافعي به ولو كان الإمامُ المقتدى به إمامًا أعظم كما قاله محمد السمانودي. والثامن: اجتماع الإمام والمأموم في الموقف. والتاسع: توافق نظم صلاتي الإمام والمأموم في الأفعال الظاهرة.

---

(٢٥٩) جاء في الفقه على المذاهب الأربعة (ص ٢٤٠، ٢٤١) متابعة المأموم لإمامه لازمة في أمور منها أن لا يسبق المأموم إمامه بركنين من أركان الصلاة، ولهذا المأموم حالتان: الحالة الأولى: أن يكون مدركًا وهو الذي يدرك مع الإمامة زمنًا يسع قراءة الفاتحة.

الحالة الثانية: أن يكون المأموم مسبوقًا وهو الذي لم يدرك مع إمامه ذلك الزمن؛ فإذا كان مدركًا وسبق إمامه بركنين كأن ترك إمامه قائمًا ثم ركع وحده ورفع من الركوع وهوى للسجود ولم يشترك مع إمامه فإن صلاته تبطل بشروط:

الأول: أن يسبق بركنين ؛ فلو سبق المأموم إمامه بركن واحد كأن ترك إمامه يقرأ=

. . . .

. . . .

=ثم ركع وحده ولم يرفع من ركوعه حتى ركع إمامه وشاركه في ركوعه فإن صلاة المأموم لا تبطل بذلك السبق، ولكن يحرم على المأموم أن يسبق إمامه بركن واحد فعلي بغير عذر.

الثاني: أن يكون الركنان فعليان لا قوليان؛ فإذا سبق المأموم إمامه بركنين قوليين كأن قرأ التشهد وصلى على النبي قبل إمامه فإن ذلك لا يضر سواء كان عمدًا أو جهلاً أو نسيانًا، وإذا سبق إمامه بركنين: أحدهما قولي، والآخر فعلي كأن قرأ الفاتحة قبل إمامه ثم ركع قبله فإنه يحرم عليه سبقه بالركوع أما سبقه بقراءة الفاتحة فإنه لا شيء فيه.

الشرط الثالث: أن يسبقه بالركنين عمدًا أما إذا ركع قبل إمامه ورفع جهلاً فإن صلاته لا تبطل، وكذا لو فعل ذلك نسيانًا ولكن يجب عليه في هذه الحالة أن يرجع ويتبع إمامه متى ذكر ويلغي ما عمله وحده، ومثل ذلك ما إذا لو فرض وتعلم الجاهل وهو في الصلاة فإنه يجب عليه أن يرجع ويتبع إمامه وإلا بطلت صلاتهما.

هذا حكم ما إذا كان المأموم مدركًا، وسبق إمامه بركنين فعليين عمدًا أو جهلاً أو نسيانًا، أو سبقه بركنين قوليين أو بركن قولي وركن فعلي، أما إذا كان المأموم مدركًا وتخلف عن إمامه بأن سبقه إمامه كما إذا كان المأموم بطيء القراءة، والإمام معتدل القراءة؛ فإنه في هذه الحال يغتفر للمأموم أن يتخلف عن إمامه ولا يتبعه في ثلاثة أركان طويلة، وهي الركوع والسجدتان، أما الاعتدال من الركوع أو من السجود، والجلوس بين السجدتين فهما ركنان قصيران؛ فلا يحسبان في تخلف المأموم عن إمامه؛ فإذا سبقه الإمام بأكثر من ذلك كأن لم يفرغ المأموم من قراءته إلا بعد شروع الإمام في الركن الرابع فإن عليه في هذه الحالة أن يتبع إمامه فيما هو فيه من أفعال الصلاة، ثم يقضي ما فاته منها بعد سلام الإمام؛ فإن لم يتبع إمامه قبل شروعه في الركن الخامس فإن صلاته تبطل، ولا فرق في هذا الحكم بين أن يكون المأموم المدرك مشغولاً بقراءة مفروضة أو بقراءة مسنونة، كدعاء الافتتاح.

هذا حكم المأموم المدرك، وهو الذي ذكرناه في الحالة الأولى، أما الحالة الثانية للمأموم المسبوق، وهو الذي لم يدرك مع إمامه زمنًا يسع قراءة الفاتحة فهي أنه=

. . . .

. . . .

=يسن له أن لا يشتغل بسنة، بل عليه أن يشتغل بقراءة الفاتحة، إلا إذا كان يظن أنه يدركها مع اشتغاله بالسنة، فإن لم يظن ذلك ولم يشتغل بقراءة السنة، ثم ركع إمامه وهو يقرأ الفاتحة فإنه يجب عليه أن يتبع إمامه في الركوع، ويسقط عنه في هذه الحالة ما بقي عليه من قراءة الفاتحة؛ فإن لم يتبع الإمام في الركوع في هذه الحالة حتى رفع الإمام فاتته الركعة، ولا تبطل صلاته إلا إذا تخلف عن الإمام بركنين فعليين، كأن يترك إمامه يركع ويرفع من الركوع، ويهوي للسجود، وهو واقف يقرأ الفاتحة، فإذا اشتغل المسبوق بسنة، كقراءة دعاء الافتتاح، فإنه يجب عليه في هذه الحالة أن يتخلف عن الإمام، ويقرأ بقدر هذا الدعاء من الفاتحة؛ فإذا فرغ من ذلك وأدرك الركوع مع الإمام احتسبت له الركعة، أما إذا رفع الإمام من الركوع وأدركه في هذا الرفع فإنه يجب عليه أن يتبع إمامه في الرفع من الركوع، ولا يركع هو، وتفوته الركعة؛ فإذا لم يفرغ من قراءة ما عليه وأراد الإمام الهوي للسجود فيجب على المأموم في هذه الحالة أن ينوي مفارقة إمامه، ويصلي وحده؛ فإن لم ينو المفارقة عند هوي الإمام للسجود في هذه الحالة بطلت صلاته، سواء هوى معه للسجود أو لا (أهـ بتصرف يسير).

آداب الجمعة

اعلمْ أن الجمعةَ عيدُ المؤمنين، وهو يومٌ شريفٌ خَصَّ اللهُ ﷻ به هذه الأُمَّةَ. . . . .

(آداب الجمعة)

بضم الميم وهي لغة الحجاز، وبفتحها وهي لغة تميم، والسكون لغة عقيل، وهذه اللغات إذا كان المراد بالجمعة اليوم أما إذا أريد بها الأسبوع فبالسكون لا غير كما إذا قلت: صمت جمعة أي أسبوعًا.

(اعلم أن الجمعة عيد)[٢٦٠] من أعياد (المؤمنين) وهي أفضل الصلوات ويومها أفضل أيام الأسبوع، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى[٢٦١] أما يوم عرفة فهو أفضل منها خلافًا للإمام أحمد (وهو يوم شريف خص الله ﷻ به هذه الأمة) المحمدية، وفي الخبر: «إن لله ﷻ في كلِ جمعة ستمائةَ ألفِ عتيقٍ من النار»[٢٦٢]، وقال ﷺ: «من مات يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ كُتب له

---

(٢٦٠) أخرج ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: ما جاء في الزينة يوم الجمعة (١٠٩٨) عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان طيب فليمس منه وعليكم بالسواك»، وأخرج أحمد في مسنده (٢/٣٠٣) (٨٠١٢) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده».

(٢٦١) أخرج ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: في فضل الجمعة (١٠٨٤) عن أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال النبي ﷺ: «إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئًا إلا أعطاه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة».

(٢٦٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/١٥٦) (٣٤٣٤) عن أنس بن مالك والبيهقي في=

. . .وفيه ساعةٌ مبهَمةٌ لا يُوافقها عبدٌ مسلمٌ يسألُ اللَه تعالى فيها حاجةً إلا أعطاه إياها فاستعدَّ لها من يومِ الخميسِ بتنظيفِ الثيابِ وبكثرةِ التسبيحِ والاستغفارِ عشيَّةَ الخَميسِ فإنها ساعةٌ توازي في الفضلِ ساعة يوم . . . .

أجرُ شهيدٍ ووُقِي فتنةَ القبرِ»[٢٦٣] (وفيه) أي في يوم الجمعة (ساعة مبهمة) أي أخفاها الله تعالى فيه (لا يوافقها) أي لا يصادفها (عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها) أي في تلك الساعة (حاجة) من حوائج الدين والدنيا (إلا أعطاه) الله تعالى (إياها)[٢٦٤] أي الحاجة حالًا بعين المسئول. قال بعضهم: ساعة الإجابة في آخر النهار لأن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بعد العصر في يوم الجمعة: ولأن اليمين تغلظ بعد عصر الجمعة، وقال القاضي عياض: ساعة الإجابة مختطفة -أي يسيرة- منحصرة فيما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى سلامه من الصلاة أي لا تخرج عن هذا الوقت وليس المراد أنها مستغرقة لما بين الجلوس وآخر الصلاة لأنها لحظة لطيفة.

ثم ذكر المصنف من آداب الجمعة سبعة: الأول مذكور بقوله: (فاستعد لها) أي الجمعة (من يوم الخميس بتنظيف الثياب) واستعداد الطيب إن لم يكن عندك (وبكثرة التسبيح والاستغفار) أي والدعاء (عشية الخميس) أي بعد العصر في ذلك اليوم (فإنها ساعة توازي) تقابل (في الفضل ساعة) الإجابة المبهمة في (يوم

=شعب الإيمان (٣/ ١١٤) (٣٠٤٢) بزيادة: **«كلهم قد استوجب النار»**.

(٢٦٣) أخرجه بنحوه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٥٥) ولفظه: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة عليه طابع الشهداء»**، وأخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب: ما جاء فيمن مات يوم الجمعة (١٠٧٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٩) (٦٥٨٢) عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»** بدون قوله: **«كتب له أجر شهيد»**.

(٢٦٤) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب: الساعة التي في يوم الجمعة (٩٣٥)=

. . .الجمعةِ وانْوِ صومَ يومِ الجمعةِ لكن مع الخميسِ أو السبتِ إذ جاء في إفرادِه نهيٌ فإذا طَلَعَ عليك الصبحُ فاغتسلْ. . . . .

الجمعة) قال بعض السلف: «إن لله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة» (وانو صوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت إذ جاء في إفراده) أي يوم الجمعة بالصوم (نهي) قال ﷺ: «لا يَصُمْ أحدٌ يومَ الجمعةِ إلا أن يصومَ قبلَه أو يصومَ بعدَهُ» رواه الشيخان[٢٦٥].

وقال ﷺ: «لا تصوموا يومَ السبتِ إلا فيما افْتُرِضَ عليكم»[٢٦٦] والثاني مذكور بقوله: (فإذا طلع عليك الصبح فاغتسل) فإن وقت غسل الجمعة يدخل بذلك فإن لم تبكر إلى المسجد فتقريبه إلى ذهابك أفضل لتكون أقرب عهدًا

=ومواضع أخرى، عن أبي هريرة.

(٢٦٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: صوم يوم الجمعة (١٩٨٥)، ومسلم في كتاب الصيام باب: كراهة صيام يوم الجمعة منفردًا (١١٤٤) عن أبي هريرة، واللفظ لمسلم.

(٢٦٦) أخرجه بلفظه أبو داود في كتاب الصوم باب: النهي أن يخص يوم السبت بصوم (٢٤٢١)، والترمذي في كتاب الصوم باب: ما جاء في صوم يوم السبت (٧٤٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وابن ماجه في كتاب الصيام باب: ما جاء في صيام يوم السبت (١٧٢٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٠١) (١٥٩٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٣/ ٣٧٢): قال الطيبي: قالوا: النهي عن الإفراد كما في الجمعة والمقصود مخالفة اليهود فيهما، والنهي فيهما للتنزيه عند الجمهور، و"ما افترض" يتناول المكتوب والمنذور وقضاء الفوائت وصوم الكفارة، وفي معناه ما وافق سنة مؤكدة كعرفة وعاشوراء أو وافق وِرْدًا، وزاد ابن الملك: وعشرة ذي الحجة أو في : «خير الصيام صيام داود». فإن النهي عن شدة الاهتمام والعناية به حتى كأنه يراه واجبًا كما تفعله اليهود، قال القاري: فعلى هذا يكون النهي للتحريم، وأما على غير هذا الوجه فهو للتنزيه بمجرد المشابهة.

. . . فإن «غسل الجمعةِ واجبٌ على كلِ مُحْتَلِمٍ» أي ثابتٌ مؤكَّدٌ. ثم تزيَّنْ بالثيابِ البِيضِ فإنها أحبُّ الثيابِ إلى اللهِ تعالى . . . . . .

بالنظافة (فإن غسل الجمعة واجب على كل محتلم[٢٦٧] أي) أمر (ثابت مؤكد) على كل من بلغ مبالغ الرجال، وإنما لم يجب الغسل للخبر الذي رواه أبو داود وغيره: «**من توضأ يومَ الجمعةِ فَبِهَا ونِعْمَتْ ومن اغتسلَ فالغُسْلُ أَفْضَلُ**»[٢٦٨]، قوله: «فبها» أي فبالطريقة عمل ونعمت الطريقة هو الوضوء، والثالث مذكور بقوله: (ثم تزين بالثياب البيض) وهي أفضل الثياب في كل زمن حيث لا عذر كما قال المصنف (فإنها أحب الثياب إلى الله تعالى) لقوله ﷺ: «البسوا من

---

(٢٦٧) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب: فضل الغسل يوم الجمعة (٨٧٩) ومواضع أخرى، ومسلم في كتاب الجمعة باب: وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال (٨٤٦) عن أبي سعيد الخدري.

(٢٦٨) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب: في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة (٣٥٤)، والترمذي في كتاب الجمعة باب: ما جاء في الوضوء يوم الجمعة (٤٩٧) والنسائي في كتاب الجمعة باب: الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة (١٣٨٠) كلهم عن سمرة بن جندب.

وأقول: قد يبدو أن هناك تعارضًا بين الحديثين ففي أحدهما أن الغسل يوم الجمعة واجب وفي الآخر أنه ليس كذلك، وقد قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٦/ ١٣٣) ما ملخصه: اختلف العلماء في غسل الجمعة والذي ذهب إليه جمهور العلماء من السلف والخلف وفقهاء الأمصار أنه سنة مستحبة ليس بالواجب ، قال القاضي: وهو المعروف من مذهب مالك وأصحابه.

واستدل الجمهور بأحاديث صحيحة منها قوله ﷺ: «**من توضأ فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل**»، وفيه دليل على أنه ليس بواجب، ومنها قوله ﷺ: «**لو اغتسلتم يوم الجمعة**» وهذا اللفظ يقتضي أنه ليس بواجب؛ لأن تقديره: لكان أفضل وأكمل ونحو هذا، وأجابوا عن الأحاديث الواردة في الأمر به أنها محمولة على الندب جمعًا بين الأحاديث.

. . . . .واستعملْ من الطِّيبِ أَطْيَبَ ما عندَك، وبالِغْ في تنظيفِ بدنِك بالحَلْقِ والقصِّ والتقليمِ والسواكِ وسائرِ أنواعِ النظافةِ وتطييبِ الرائحةِ ثم بكِّرْ إلى الجامعِ واسْعَ إليه على الهِينَةِ والسكينةِ. . . . .

ثيابِكُمْ البياضَ فإنها من خَيْرِ ثيابِكُمْ وكَفِّنُوا فيها مَوْتاكم» رواه الترمذي[(٢٦٩)] (واستعمل من الطيب أطيب ما عندك) سوى الزَّبَاد لأنه طيب النساء مع كون أحمد يقول بنجاسته لتُغلب به الروائحُ الكريهة ويوصل به الرائحةُ إلى مشامِّ الحاضرين في جواره، وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه (وبالغ في تنظيف بدنك بالحلق) لنحو إبط وعانة إذا لم ترد التضحية في عشر ذي الحجة أما حلق الرأس فمباح إلا إن تأذى ببقاء شعره أو شق عليه تعهده فيندب (والقص) أي لشاربه حتى تبدو حمرة الشفة ويكره استئصاله (والتقليم) أي للأظفار، والأفضل في التقليم لليدين أن يبدأ في اليمنى بالسبابة إلى الخنصر وِلاءً ويختم بإبهامها، وفي اليسرى يبدأ بالخنصر ويختم بالإبهام على التوالي، وفي الرجلين أن يبدأ من خنصر اليمنى إلى خنصر اليسرى على الولاء (والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة) وهو بالمسك أفضل إلا إن كنت مُحْرِمًا فيجب الترك أو صائمًا فيكره لك الطيب؛ قال الإمام الشافعي ﷺ: «من نظَّف ثوبه قَلَّ همُّه ومن طاب ريحُهُ زاد عقلُهُ» أي فهمه.

والرابع: مذكور بقوله: (ثم بكر إلى الجامع) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وهو مندوب لغير إمام وخطيب ومعذور كمن به سلس بول ولو بالقصد من فرسخين وثلاث لمن عادتهم الجلوس في المسجد، أما الإمام فيسن له التأخير إلى وقت الخطبة (واسْعَ) أي امض واحضر (إليه) أي الجامع، وفي نسخة: «إليها» أي الجمعة (على الهينة) بكسر الهاء أي الرفق (والسكينة) أي التأني في

---

(٢٦٩) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب: ما يستحب من الأكفان (٩٩٤) عن ابن عباس، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضًا أبو داود في كتاب الطب باب: في الأمر بالكحل (٣٨٧٨) وغيرهما.

. . . فقد قال ﷺ: «من راحَ إلى الجُمُعةِ في الساعةِ الأولى فكأنما قرَّبَ بَدَنَةً ومن راحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرَّبَ بقرةً ومن راح في الثالثةِ فكأنما قرَّبَ كبشًا أَقْرَنَ ومن راح في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قرَّبَ دجاجةً ومن راح في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قرَّبَ بَيْضَةً فإذا خرج الإمامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ ورُفِعَتِ الأقلامُ واجْتمعتِ الملائكةُ عندَ المِنبَرِ يستمعون الذِّكْرَ».

المشي والحركات واجتناب العبث وحسن الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات، نعم إن لم يدرك الجمعة إلا بالسعي وقد أطاقه وجب وإن لم يَلِقْ به (فقد قال ﷺ: (**«من راح إلى الجمعة**) أي ودخل في المسجد (**في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة**) أي واحدًا من الإبل (**ومن راح**) أي جاء المسجد (**في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة**) وهي تقع على الذكر والأنثى، وتاؤها للوحدة كالبدنة (**ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا**) وهو ذكر النعجة (**أقرن**) أي عظيم القرون (**ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب**) وفي نسخة: «**أهدى**» (**دجاجة**) بتثليث الدال كما قاله البجيرمي، والفتح أفصح من الكسر ولم يذكر الضم في الصحاح ولا في المصباح، والدجاجة للذكر والأنثى والتاء للوحدة (**ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب**) وفي نسخة: «**أهدى**» (**بيضة فإذا خرج الإمام**) أي لصعود المنبر من نحو الخلوة (**طويت الصحف ورفعت الأقلام**) أي فلا تكتب الملائكة أحدًا من حاضري الجمعة (**واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر»**)[270] أي الخطبة، وفي رواية: «**في الرابعة بطة، وفي الخامسة دجاجة**»[271] وفي رواية للنسائي: «**وفي الخامسة كالذي يهدي عصفورًا، وفي**

---

(٢٧٠) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب: فضل الجمعة (٨٨١)، ومسلم في كتاب الجمعة باب: الطيب والسواك يوم الجمعة (٨٥٠) عن أبي هريرة.

(٢٧١) أخرجه النسائي في كتاب الجمعة باب: التبكير إلى الجمعة (١٣٨٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٩) (٧٥١١) عن أبي هريرة ولفظه: «**المهجر إلى الجمعة كالمهدي بدنة ثم كالمهدي بقرة ثم كالمهدي شاة ثم كالمهدي بطة ثم كالمهدي دجاجة ثم**=

ويقال: إن الناس في قُرْبهم عند النظرِ إلى وجهِ اللهِ تعالى على قدر بُكورهم إلى الجمعةِ ثم إذا دخلتَ الجامعَ فاطلبِ الصفَّ الأولَ . . . .

السادسة بيضة»[٢٧٢] قال ابن حجر: والمراد أن ما بين الفجر وخروج الخطيب ينقسم ستة أجزاء متساوية سواء أطال اليوم أم قصر (ويقال: إن الناس) يكونون (في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة) قال ﷺ: **«ثلاثٌ لو يعلمُ الناسُ ما فيهن لرَكَضُوا الإبلَ في طلبهن: الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة»**[٢٧٣] وقال أحمد بن حنبل: أفضلهن الغدو إلى الجمعة، وفي الخبر: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم»[٢٧٤] والخامس مذكور بقوله: (ثم إذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول) فإن فضله كثير

=**كالمهدي بيضة»**.

(٢٧٢) النسائي في السنن الكبرى (١/ ٥٢٦) (١٦٩٥) عن أبي هريرة ولفظه: **«تقعد ملائكة يوم الجمعة على أبواب المسجد يكتبون الناس على منازلهم فالناس فيه كرجل قدم بدنة وكرجل قدم بدنة وكرجل قدم بقرة وكرجل قدم بقرة وكرجل قدم شاة وكرجل قدم شاة وكرجل قدم دجاجة وكرجل قدم دجاجة وكرجل قدم عصفورًا وكرجل قدم عصفورًا وكرجل قدم بيضة وكرجل قدم بيضة وقت الجمعة»**، وبنحوه أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨١) (١١٧٨٦) عن أبي سعيد الخدري.

(٢٧٣) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٣٢٧): أخرجه أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة: **«ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذنهن إلا بالاستهام عليهن حرصًا على ما فيهن من الخير والبركة. الحديث قال: والتهجير إلى الجمعة**، وفي الصحيحين من حديثه: **«لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه»**.

(٢٧٤) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٣٢٧): أخرجه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بإسناد ضعيف: **«إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا =**

. . . . . فإذا اجتمع الناسُ فلا تَتَخَطَّ رقابَهم ولا تَمُرَّ بين أيديهم وهم يُصَلُّونَ. . . . .

هذا إذا لم يكن بقرب الخطيب منكر ولم يحصل تخطي رقاب الناس؛ قال سعيد بن عامر(٢٧٥): «صليت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صليت قلت: أليس يقال خير الصفوف أولها؟ قال: نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس؛ فإنما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله إليه»؛ فمن تأخر من الصف الأول مثلاً على هذه النية إيثارًا للغير وإظهارًا لحسن الخلق فهو أولى فإنما الأعمال بالنيات. والسادس مذكور بقوله: (فإذا اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم) والمراد بالتخطي أن يرفع رجله بحيث يحاذي في تخطيه أعلى منكب الجالس، وما يقع من المرور بين الناس ليصل إلى نحو الصف الأول مثلاً ليس من التخطي بل من خرق الصفوف إن لم يكن ثَمَّ فُرَج في الصفوف يمشي فيها وذلك لا يضر، والتخطي مكروه كراهة شديدة لأنه ﷺ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس فقال له: «اجلسْ فقد آذيتَ وآنيتَ»(٢٧٦) أي فقد آذيت الناس بتخطيك وأخَّرت المجيء وأبطأت، ولم يحمل هذا النهي على الحرمة لأن الإيذاء هنا لغرض كما أفاده البجيرمي. والسابع مذكور بقوله: (ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون) قال ﷺ: «لو يعلمُ المارُّ بين يدي المصلِّي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يَمُرَّ بين

= ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلامًا من ذهب».

(٢٧٥) سعيد بن عامر بن حذيم القرشي الجمحي، من كبار الصحابة وفضلائهم، أسلم قبل خيبر وهاجر فشهدها وما بعدها وولاه عمر حمص، وكان مشهورًا بالخير والزهد، روى عنه عبد الرحمن بن سابط الجمحي، وأرسل عنه شهر بن حوشب وغيره. قال ابن سعد في الطبقة الثالثة: مات سنة عشرين وهو والٍ على بعض الشام لعمر، وروى البخاري من طريق الزهري قال: مات في زمن عمر (اهـ الإصابة في معرفة الصحابة ٣/ ١١٠).

(٢٧٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: ما جاء في النهي عن تخطي الناس يوم الجمعة (١١١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٨٨، ١٩٠) وغيرهما.

. . . واجلسْ بقربِ حائطٍ أو أُسطوانةٍ حتى لا يمروا بين يديك، ولا تقعدْ حتى تصليَ التحيةَ، والأحسنُ أن تصليَ أربعَ ركعاتٍ تقرأ في كل ركعة بعدَ الفاتحةِ الإخلاصَ خمسين مرة ففي الخبر «أن من فعل ذلك لم يَمُتْ حتى يرى مَقْعَدَهُ من الجنةِ أو يُرى له» ولا تترك التحيةَ وإن كان الإمامُ يخطب

يديه»(٢٧٧) (واجلس بقرب حائط) أي جدار (أو أسطوانة) بضم الهمزة أي عمود (حتى) للتعليل أي كي (لا يمروا بين يديك) أي إذا صليت، وفي بعض النسخ: «وحتى لا يمر بين يديك أحد» فإن لم تجد أسطوانة فلتنصب بين يديك شيئًا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحدِّك (ولا تقعد حتى تصلي التحية والأحسن) وفي نسخة: «وحسن» أي مندوب كما قاله الفاكهي(٢٧٨) (أن تصلي أربع ركعات) أي بتسليمة واحدة لأن التحية لا تكون إلا بتسليمة ولو مائة ركعة كما قاله الفشني(٢٧٩).

(تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة) سورة (الإخلاص خمسين مرة) فجملة سورة الإخلاص في الأربع ركعات مائتا مرة (ففي الخبر «أن من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له»(٢٨٠) ولا تترك التحية وإن كان الإمام يخطب) لكن عليك حينئذ بالتخفيف أي بترك التطويل عرفًا، وقيل: بالاقتصار

---

(٢٧٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب: إثم المارّ بين يدي المصلي (٥١٠) ومسلم في كتاب الصلاة باب: منع المار بين يدي المصلي (٥٠٧) عن أبي جهيم، وفي تتمة الحديث قال أبو النضر: لا أدري قال: أربعين يومًا أو شهرًا أو سنة.

(٢٧٨) الفاكهي(٩٢٠-٩٨٢هـ) عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي، فاضل من أهل مكة مولدًا ووفاة، من كتبه: شرح منهج القاضي زكريا، وشرحان على بداية الهداية للغزالي، عقود اللطائف في محاسن الطائف (خ) (الأعلام ٤/ ٣٦).

(٢٧٩) أحمد بن حجازي بن بدير شهاب الدين الفشني، فقيه شافعي من المشتغلين بالحديث، نسبته إلى (الفشن) بمصر له كتب منها: المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية، وتحفة الحبيب بشرح نظم غاية التقريب، ومواهب الصمد في حل ألفاظ الزبد؛ توفي بعد عام ٩٧٨هـ (اهـ الأعلام ١/ ١٠٩).

(٢٨٠) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٣٣٨): الخطيب في الرواة عن=

ومن السُّنَّةِ أن تقرأَ في أربعِ ركعاتٍ سورةَ الأنعامِ والكهفِ وطه ويس فإن لم تقدر فسورةَ يس والدخان وألم السجدة وسورةَ المُلْكِ، ولا تَدَعْ قراءةَ هذه السورِ في ليلةِ الجمعةِ ففيها فضلٌ كثيرٌ. . . . .

على الواجبات(٢٨١)، ولا يزد حينئذ على ركعتين فإن ذلك لا يجوز، كما لا تباح لأحد من الحاضرين صلاة غير تحية بعد جلوس خطيب وإن لم يسمع الخطيب، ولو دخل المسجد في آخر الخطبة فإن غلب على ظنه أنه إن صلى ركعتين خفيفتين فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام لم تندب له التحية بل يقف حتى تقام الصلاة ولا يقعد لئلا يكون جالسًا في المسجد قبل التحية (ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة الأنعام والكهف وطه ويس) وفي «الإحياء» استحباب هذه الصلاة مع هذه السور في هذا اليوم أو في ليلته (فإن لم تقدر فسورة يس والدخان وألم السجدة وسورة الملك ولا تدع) أي لا تترك (قراءة هذه السور) أي الأربع كما في «الإحياء» (في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير)(٢٨٢) قيل: من تلا سورة الأنعام يكون متوجهًا لحفظ الدين وحسن الرزق ويرزق الحظ في دنياه وآخرته، وقال ﷺ: **«مَنْ قرأ سورةَ الكهفِ ليلةَ الجمعةِ أو يومَ الجمعةِ أُعطي نورًا من حيث**

=مالك من حديث ابن عمر، وقال: غريب جدًا.

(٢٨١) أخرج البخاري في كتاب الجمعة باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى (١١٧٠) عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ وهو يخطب: **«إذا جاء أحدكم والإمام يخطب أو قد خرج فليصل ركعتين»**، وأخرج الإمام مسلم في كتاب الجمعة باب: التحية والإمام يخطب (٨٧٥) عن جابر بن عبدالله قال: جاء سليك الغطفاني في يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فجلس فقال له: **«يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما»** ثم قال: **«إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما»**.

(٢٨٢) أخرج أبو يعلى في مسنده (١١/ ٩٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورًا له، ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورًا له»**، وأخرج الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب: ما جاء=

. . . .

يقرؤها إلى مكةَ وغُفِرَ له إلى الجمعةِ الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألفَ مَلَكٍ حتى يُصبحَ وعُوفِيَ من الدَّاءِ والدُّبَيْلَةِ وذاتِ الجَنْبِ والجُذام والبَرَصِ وفتنةِ الدَّجَّالِ»(٢٨٣) والدُّبيلةُ داء في جوف البطن أو داء أشد حرًّا في البطن أو في القلب، وعن الحسن أن النبي ﷺ قال: **«لا يقرأُ أهلُ الجنةِ من القرآنِ إلا يس**

=في فضل حم الدخان (٢٨٨٩) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له»**، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وفي الترغيب والترهيب للمنذري (١/ ٢٩٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين»** رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد لا بأس به.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غفر له»** رواه الأصبهاني، قال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (١١/ ١٩١): ضعيف جدًّا.

وأخرج الطبراني في الكبير (١١/ ٣٦٧) (١٢٠٣٦) حديث صلاة الحفظ، وخلاصته أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه شكا إلى النبي ﷺ أن القرآن يتفلت من صدره فقال له: صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وحم تنزيل السجدة، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل . إلخ. قال عنه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٣٨): هذا حديث لا يصح، محمد بن إبراهيم مجروح، وأبو صالح لا نعلمه، إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك.

(٢٨٣) قال في تذكرة الموضوعات (١/ ٧٨): فيه إسماعيل كذاب، وآخران مجروحان.

وقال في تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٣٠٢): من حديث ابن عباس، وفيه إبراهيم بن محمد الطيان عن الحسين بن القاسم عن إسماعيل بن زياد ظلمات بعضها فوق بعض (قلت): وأورده الغزالي في الإحياء من حديث ابن عباس وأبي هريرة وعزاه=

. . . .

وطه»(٢٨٤) وقيل: متى قرأ سورة طه يحب صلاة الليل ويفعل الخير ويحب العشرة في أهل الدين، ومن تلا سورة يس يكون دينه قويًا، وعن أُبَي بن كعب أن النبي ﷺ قال: **«من قرأ سورةَ ألم تنزيل أُعطي من الأجرِ كَمَنْ أحيا ليلةَ القَدْرِ»**(٢٨٥) وقيل: من تلا سورة السجدة يكون قوي التوحيد سالم اليقين، وقال ﷺ: **«من قرأ حم الدخان ليلةَ الجمعةِ أو يومَ الجمعةِ بَنَى اللهُ له بيتًا في**

=العراقي في تخريجه الكبير إلى الديلمي من حديث ابن عباس وأعله بمن ذكر، وأما في الصغير فقال: لم أجده من حديثهما، وللبيهقي نحوه من حديث أبي سعيد انتهى، والمراد نحو صدره، ولفظه: **«من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»**، وجاء من حديث ابن عمر بلفظ: **«من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين»** أخرجه ابن مردويه في تفسيره من طريق محمد بن خالد الختلي، وجاء ذكر مغفرة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام من حديث عائشة، ولفظه: **«من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء»** أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف، وقد صح الحديث في العصمة من الدجال بحفظ بعض سورة الكهف من غير تقييد بيوم الجمعة ، رواه مسلم من حديث أبي الدرداء؛ فالمستنكر من الحديث ما سوى ذلك، والله تعالى أعلم (اهـ من تنزيه الشريعة المرفوعة لأبي الحسن الكناني وتحقيق عبدالله بن الصديق الغماري).

(٢٨٤) لم أعثر عليه.

(٢٨٥) لم أعثر عليه، ولعله من الأقوال لا من الحديث، فقد جاء في **«تعطير الأنام في تعبير المنام»** للشيخ عبد الغني النابلسي (١/ ٣٤٥): **ومن قرأ في المنام سورة السجدة أو شيئًا منها أو قرئت عليه قال جعفر الصادق: كان قوي التوحيد سالم النفس، وقال بعضهم: يموت في سجدته ويكون عند الله تعالى من الفائزين، وقيل: يرزق الحياة في الدنيا والزهد والورع، وكان له من الأجر كمن أحيا ليلة القدر وينال قربًا من الله تعالى وزلفى، وقيل: إنه يحب صلاة الليل.**

ومن لم يُحسِنْ ذلك فليُكْثر من قراءةِ سورةِ الإخلاصِ، وأَكْثِرْ من الصلاةِ على رسولِ اللهِ ﷺ في هذا اليومِ خاصةً. ومهما خرج الإمامُ فاقطعِ الصلاةَ والكلامَ واشْتَغِلْ بجوابِ المؤذنِ ثم باستماعِ الخُطْبةِ والاتعاظِ بها وَدَعِ الكلامَ رأسًا في الخطبةِ ففي الخبر «أن من قال لصاحبِه والإمامُ يخطبُ: أَنصِتْ أو صَهْ فقد لغا. . . . .

الجنةِ»(٢٨٦) وقيل: من تلا سورة الملك أعطاه الله خيري الدنيا والآخرة وتكثر أملاكه وخيراته (ومن لم يحسن ذلك) قرأ ما يحسن (فليكثر من قراءة سورة الإخلاص، وأكثر من الصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم) أي وليلته (خاصة)(٢٨٧) وأكثر قراءة سورة الكهف قال الونائي: وأقل إكثار الصلاة على النبي ثلاثمائة بالليل وثلاثمائة بالنهار، وأقل إكثار سورة الكهف ثلاث مرات، وقراءتها نهارًا آكد، وأولاه بعد الصبح (ومهما خرج الإمام) من نحو خلوة لصعود المنبر (فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها) وقال الونائي: ويجب على كل من كان في صلاة تخفيفها عند صعود الخطيب المنبر وجلوسه عليه فإطالتها كإنشائها اهـ.

لكن إنشاء الصلاة قبل جلوسه وبعد شروعه في الصعود لا يحرم أما بعد جلوسه فيحرم، ولا تنعقد الصلاة مطلقًا ما عدا ركعتي التحية إجماعًا كما في حاشية الإقناع (ودع الكلام رأسًا) أي بالكلية (في) وقت (الخطبة ففي الخبر «أن من قال لصاحبه والإمام يخطب: «أنصت» أو «صه» فقد لغا) قوله: «أو صه»

---

(٢٨٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٦٤) (٨٠٢٦) عن أبي أمامة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٦٨) : وفيه فضال بن جبير، وهو ضعيف جدًا.

(٢٨٧) أخرج ابن ماجه في كتاب: ما جاء في الجنائز باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١٦٣٧) عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لن يصلي عليّ إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها**» قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: «**وبعد الموت، إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبيُّ الله حي يرزق**». وغيرها من الأحاديث.

. . . ومن لغا فلا جمعةَ له» أي لأن قوله: «أنصت» كلام فينبغي أن ينهى غيره بالإشارة لا باللفظ. ثم اقْتَدِ بالإمامِ كما سبق فإذا فرغتَ وسلَّمتَ فاقرأ الفاتحةَ قبل أن تتكلمَ سبعَ مراتٍ والإخلاصَ سبعًا والمُعَوِّذتين سبعًا سبعًا فذلك يعصمُك من الجمعةِ إلى الجمعةِ الأخرى، ويكون. . . . .

شك من الراوي وهو بمعنى اسكت (ومن لغا فلا جمعة له»[٢٨٨] أي لأن قوله: «أنصت» كلام فينبغي أن ينهى غيره بالإشارة) أي المُفْهِمة (لا باللفظ) والجديد لا يحرِّم الكلام في وقت الخطبة بل يكره، والإنصات لها سنة، والمراد باللغو في الخبر المشهور مخالفة السنة كما أفاده ابن حجر، وأن المنفي بقوله: «فلا جمعة له» كمال الجمعة لا صحتها نعم لو كان من الحاضرين أربعون تلزمهم الجمعة فقط حرم على بعضهم كلام فوَّت سماع ركن لتسببه في إبطال الجمعة، والقديم يحرِّم الكلام في ذلك الوقت كالأئمة الثلاثة ويجب الإنصات، قال البجيرمي: ولا يكره الكلام قبل الخطبة وبعدها وبين الخطبتين ولو بغير حاجة (ثم اقتد بالإمام كما سبق) أي في آداب الجمعة؛ فإذا سمعت قراءة الإمام فلا تقرأ غير الفاتحة (فإذا فرغت) أي من صلاة الجمعة (وسلمت) منها (فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات والإخلاص سبعًا والمعوذتين سبعًا سبعًا فذلك) أي المذكور من السور (يعصمك) أي يمنعك من السوء (من الجمعة إلى الجمعة ويكون

---

(٢٨٨) لم أقف على الحديث بهذا اللفظ، ولكن أخرج البخاري في كتاب الجمعة باب: الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب (٩٣٤) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت»، وأخرجه الترمذي في كتاب الجمعة باب: ما جاء في كراهية الكلام والإمام يخطب (٥١٢) بلفظ: «من قال يوم الجمعة والإمام يخطب: أنصت؛ فقد لغا». =

=وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٩٣) (٧١٩) ضمن حديث طويل عن علي بن أبي طالب يرفعه إلى النبي ﷺ بلفظ: «ومن قال: صه؛ فقد تكلم، ومن تكلم فلا جمعة له».

. . . حِرْزًا لك من الشيطانِ وقل بعد ذلك: «اللهم يا غنيُّ يا حميدُ يا مبدئُ يا مُعيدُ يا رحيمُ يا وَدودُ أَغْنِني بحلالِك عن حرامِك وبطاعتِك عن معصيتِك وبفضلِك عمن سواك. ثم صَلِّ بعدَ الجمعةِ ركعتين أو أربعًا . .

حرزًا) أي وقاية (لك من الشيطان) كما رواه ابن السني من حديث عائشة عن رسول الله لكن بدون الفاتحة[٢٨٩]، وروى الحافظ المنذري عن أنس أن النبي ﷺ قال: «من قرأ إذا سلَّم الإمامُ يومَ الجمعةِ قبل أن يثني رجله فاتحةَ الكتابِ وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعًا سبعًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخرَ وأُعْطِيَ من الأجرِ بعددِ كُلِّ من آمَنَ باللهِ ورسولِهِ»[٢٩٠] (وقل) أربع مرات -كما نقل عن الدميري عن أبي طالب (بعد ذلك) أي بعد سلام الجمعة كما في «الإحياء» وكما نقله عن أبي طالب المكي (اللهم) أي يا الله (يا غني) أي من لا يفتقر إلى شيء (يا حميد) أي مستحق الثناء (يا مبدئ) أي مُظْهِر الشيء من العدم إلى الوجود (يا معيد) أي خالق الشيء بعد عدمه (يا رحيم) أي مريد الإنعام (يا ودود) أي من يحب الخير لجميع الخلائق (أغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك) يقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورَزَقَهُ من حيث لا يحتسب[٢٩١] (ثم صل بعد الجمعة ركعتين) كما رواه ابن عمر[٢٩٢] (أو أربعًا)

(٢٨٩) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول بعد صلاة الجمعة، ولفظه: «من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاذه الله ﷻ من السوء إلى الجمعة الأخرى».

(٢٩٠) لم أعثر عليه.

(٢٩١) لم أعثر على هذا الدعاء بهذه الصيغة، وإنما أخرج الترمذي في كتاب الدعوات باب: في دعاء النبي ﷺ (٣٥٦٣) عن علي رضي الله عنه أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صير دينًا أداه الله عنك قال: قل: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٢٩٢) أخرج البخاري في كتاب الجمعة باب: الصلاة بعد الجمعة وقبلها (٩٣٧) عن عبدالله بن عمر حديثًا جاء فيه: «وكان- أي رسول الله ﷺ- لا يصلي بعد الجمعة حتى=

. . . أو ستًّا مَثْنَى مثنى؛ فكلُّ ذلك مرويٌّ عن رسولِ اللهِ ﷺ في أحوالٍ مختلفةٍ. ثم لازِمِ المسجدَ إلى المغربِ أو إلى العصرِ. . . . .

كما رواه أبو هريرة (أو ستًّا) كما رواه علي وعبد الله بن عباس[٢٩٣] (مثنى مثنى) وهذه الكلمة لم تذكر في «الإحياء» (فكل ذلك) أي المذكور من الركعتين والأربع والست (مروي عن رسول الله ﷺ في أحوال مختلفة) كما قال ﷺ: «**من كان منكم مصليًا بعد الجمعة فَلْيُصَلِّ أربعًا**»[٢٩٤] وفي رواية رواها مسلم «**إذا صلَّى أحدُكُمُ الجمعةَ فَلْيُصَلِّ بعدها أربعًا**»[٢٩٥] قال البركوي في معنى هذا الحديث: من كان منكم أيها المكلفون بأداء الجمعة مريدًا لأن يصلي بعد أداء فريضة الجمعة فليصل أربع ركعات بتسليمة، ودل هذا الحديث على أن المؤكدة من هذه السنة بعد صلاة الجمعة أربع ركعات كما قال به أبو حنيفة ومحمد وعليه الشافعي في قول، وعند أبي يوسف السنة المؤكدة بعد الجمعة ست ركعات: أربع ركعات سنة الجمعة وثنتان سنة الوقت، والأفضل أن يصلي أربعًا ثم ركعتين انتهى.

وعلى هذا فالركعتان الزائدتان على الأربعة من النوافل المؤقتة لا من النوافل المطلقة (ثم لازم المسجد إلى المغرب) وهو الأفضل (أو إلى العصر) يقال: من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج، ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة؛ فإن خاف دخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يليق فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرًا لله مفكرًا في آلائه شاكرًا لله تعالى على توفيقه خائفًا من تقصيره مراقبًا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته

=ينصرف فيصلي ركعتين» وأخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب: الصلاة بعد الجمعة (٨٨٢).

(٢٩٣) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٣٣٣): حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة أخرجه البيهقي مرفوعًا عن علي، وله موقوفًا على ابن مسعود أربعًا، وأبو داود من حديث ابن عمر: كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستًّا.

(٢٩٤) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب: الصلاة بعد الجمعة (٨٨١) عن أبي هريرة.

(٢٩٥) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب: الصلاة بعد الجمعة (٨٨١) عن أبي هريرة.

. . . وكُنْ حَسَنَ المراقبةِ للساعةِ الشريفةِ فإنها مبهمةٌ في جميعِ اليومِ فعساك أن تدركَها وأنت خاشعٌ للهِ تعالى متذللٌ متضرِّعٌ ولا تحضُرْ في الجامعِ مَجالِسَ الحِلَقِ ولا مجالس القُصّاصِ بل مجلسَ العلمِ النافعِ وهو الذي يزيدُ في خوفِك من اللهِ تعالى ويُنْقصُ من رغبتك في الدنيا؛ فَكُلُّ علمٍ لا يدعوك من الدنيا إلى الآخرةِ فالجهلُ أَعْوَدُ عليك منه فاستعذْ باللهِ من علمٍ لا ينفعُ، . . . .

الساعة الشريفة، ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا (وكن حسن المراقبة) أي المرصاد (للساعة الشريفة فإنها مبهمة في جميع اليوم) أي يوم الجمعة (فعساك أن تدركها وأنت خاشع لله تعالى) أي مقبل إليه تعالى بقلبك.

(متذلل) أي خاضع (متضرع) أي مخلص الدعاء (ولا تحضر في الجامع مجالس الحلق) بكسر الحاء المهملة وفتح اللام أو بفتحهما على غير قياس جمع حلقة بفتح الحاء وسكون اللام، وروى عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة[٢٩٦] إلا أن يكون فيه عالم بالله يذكِّر بأيام الله ويفقِّه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس إليه ليكون جامعًا بين البكور وبين الاستماع، واستماع النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل (ولا) تحضر في الجامع (مجالس القصاص) فلا خير في كلامهم (بل) احضر (مجلس العلم النافع) بكرة أو بعد العصر (وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا) فقد روى أبو ذر أن «حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة»[٢٩٧] (فكل علم لا يدعوك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعود) أي أنفع (عليك منه) أي من ذلك العلم (فاستعذ بالله من علم لا ينفع) وقل: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تشبع وعمل لا يُرفع ودعاء لا يُسمع».

---

(٢٩٦) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب: التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة (١٠٧٩) والنسائي في كتاب المساجد باب: النهي عن البيع والشراء في المسجد (٧١٤).

(٢٩٧) أخرج ابن ماجه في المقدمة باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه (٢١٩) عن=

. . . وأَكْثِرِ الدعاءَ: عند طلوعِ الشمسِ وعند الزوالِ وعند الغروبِ وعند الإقامةِ وعند صعودِ الخطيبِ المنبرَ وعند قيامِ الناسِ إلى الصلاةِ فيوشكُ أن تكونَ الساعةُ الشريفةُ في بعضِ هذه الأوقاتِ

(وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الإقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس إلى الصلاة) فلا ينبغي أن تخلو في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيك الساعة الشريفة وأنت في خير، ولا بأس أن تدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنا نسألك فقهًا في الدين وزيادةً في العلم وكفايةً في الرزق وعافيةً وصحةً في البدن وتوبةً قبل الموت وراحةً عند الموت ومغفرةً بعد الموت ولذة النظرِ إلى وجهك الكريم، يا أرحمَ الراحمين ويا خيرَ المسئولين» (فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات) فالعلماء اختلفوا فيها على أقوال فقيل: أخفاها الله تعالى في اليوم، وقيل: هي أول النهار، وقيل: في آخره وهو قول الأكثرين. قال النووي: والصواب ما ثبت في حديث مسلم أن النبي ﷺ قال: «هي ما بين أن يجلسَ الإمامُ على المنبرِ إلى أن يسلِّمَ من الصلاةِ»[٢٩٨] وظاهر هذا الحديث أنه يطلب الدعاء حال التلبس بالخطبة وهو مشكل بالأمر بالإنصات حال الخطبة وأجاب البُلْقِيني عن هذا الإشكال بأنه ليس من شروط الدعاء التلفظ بل استحضار ذلك بقلبه كافٍ في ذلك، وقال الحَليمي: إن الدعاء يكون إذا جلس الإمام قبل أن يفتتح الخطبة أو بين الخطبتين أو بين الخطبة الثانية والصلاة أو في الصلاة بعد التشهد، وما قاله الحليمي أظهر كذا نقله

=أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم بابًا من العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة». قال في مصباح الزجاجة (١/ ٣٠) : هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد وعبد الله بن زياد، وله شاهد في جامع الترمذي من حديث ابن عباس وقال: غريب، وآخر عنده من حديث أبي أمامة وقال: حسن غريب.

(٢٩٨) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب: في الساعة التي في يوم الجمعة (٨٥٣) عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

واجتهدْ أن تتصدقَ في هذا اليومِ بما تَقْدِرُ عليه وإن قَلَّ فَتَجْمَعَ بين الصلاةِ والصومِ والصدقةِ والقراءةِ والذكرِ والاعتكافِ والرباطِ، واجعلْ هذا اليومَ من الأُسبوعِ خاصةً لآخرتِك فعساهُ أن يكونَ كفَّارةً لبقيةِ الأُسبوعِ.

البجيرمي عن الأُجْهُورِي (واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وإن قل) فإن الصدقة فيه تتضاعف (فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط) أي انتظار الصلاة بعد الصلاة أي إذا أتيت بجميع المذكور. وقال بعض السلف: من أطعم مسكينًا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤاخذ أحدًا ثم قال حين يسلم الإمام: «بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار» ثم دعا بما بدا له استُجيب له. (واجعل هذا اليوم من الأسبوع) بضم الهمزة (خاصة لآخرتك) فكف فيه عن جميع أشغال الدنيا وأكثر فيه الأوراد (فعساه أن يكون) أي هذا اليوم (كفارة لبقية الأسبوع) وبالجملة ينبغي أن يزيد مريد الوصول إلى الله تعالى في أوراده وأنواع خيراته فإن الله تعالى إذا أحب عبدًا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيئ الأعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمته.

آداب الصيام

لا ينبغي أن تقتصرَ على صومِ شهرِ رمضانَ فتتركَ التجارةَ بالنوافلِ وكسبِ الدرجاتِ العاليةِ في الفراديسِ فتتحسرَ إذا نظرتَ إلى منازلِ الصائمين كما تنظرُ إلى الكواكبِ الدُّرِّيَّةِ وَهُمْ في أعلى عِلِّيين....

(آداب الصيام)

وهو لجام المتقين ورياض الأبرار والمقربين (لا ينبغي) أي لا يليق (أن تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفراديس) جمع فردوس وهي أعلى الجنة وأوسطها، وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر[٢٩٩] (فتتحسر) بالحاء المهملة أي فتتلهف (إذا نظرت إلى منازل الصائمين كما تنظر إلى الكواكب الدرية) بتثليث الدال أي المضيئة (وهم في أعلى عليين) وفي الخبر «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم الجمعة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»[٣٠٠] وفيه أيضًا: «إن في الجنة بابًا يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه»[٣٠١] وفيه أيضًا: «في الجنة باب يقال له الفرح لا يدخل منه إلا مفرح الصبيان»[٣٠٢].

---

(٢٩٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣١)، وذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٦٨).

(٣٠٠) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: الريان للصائمين (١٨٩٦)، ومسلم في كتاب الصيام باب: فضل الصيام (١١٥٢) عن سهل بن سعد، ولكن بلفظ: «**يدخل منه الصائمون يوم القيامة**»، وليس بلفظ: «**يدخل منه الصائمون يوم الجمعة**»، ولم أعثر على هذه الرواية.

(٣٠١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ١٩٥) (٥٠٦٠) عن أبي هريرة، قال في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٩): وفيه سليمان بن داود اليمامي أبو أحمد وهو متروك.

(٣٠٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٣٢٨) (٤٩٨٥) عن ابن عباس.

. . .والأيامُ الفاضلةُ التي شَهِدَتِ الأخبارُ بشرفِها وفضلِها وبجزالةِ الثوابِ في صيامِها: يومُ عَرَفَةَ لغيرِ الحاجِّ ويومُ عاشوراءَ والعشرُ الأُوَلُ من ذي الحِجَّةِ والعشرُ الأُوَلُ من المُحَرَّمِ. . . . .

* والحاصل أن كل من أكثر نوعًا من العبادة خص بباب يناسبه ينادي منه جزاءً وِفاقًا، وكل من يجتمع له العمل بجميع أنواع الطاعات يُدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم، والدخول لا يكون إلا من باب واحد وهو باب العمل الذي يكون غلب عليه.

الأيام الفاضلة التي يتأكد فيها استحباب الصوم

«واعلم» أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر وبعضها في كل أسبوع (و) أما (الأيام الفاضلة التي) توجد في كل سنة التي (شهدت الأخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب) أي كثرته (في صيامها) بعد أيام رمضان فهو (يوم عرفة) وهو تاسع ذي الحجة فَيُسَنُّ صومه (لغير الحاج) وأما الحاج فيسن له فطره، وصومه خلاف الأولى إن كان يصل عرفة نهارًا؛ فإن كان يصلها ليلة التاسع فلا كراهة ولا خلاف الأولى، وهو أفضل الأيام لأن صومه يُكفِّر سنتين من الصغائر (ويوم عاشوراء) بالمد وقد يقصر، وهو عاشر المحرم فإن صومه يُكفِّر السنة الماضية(٣٠٣) (والعشر الأول من ذي الحجة) وفي الخبر: «**ما من أيام العمل فيهن أفضلُ وأحبُّ إلى اللهِ ﷻ من أيام عشر ذي الحجة إن صومَ يومٍ منه يعدلُ صيامَ سنةٍ وقيامَ ليلةٍ منه يعدلُ قيامَ ليلةِ القَدْرِ**»(٣٠٤).

(والعشر الأول من المحرم) وفي الخبر: «**أفضلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ شهرُ اللهِ**

(٣٠٣) أخرج مسلم في كتاب الصيام باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر (١١٦٢) عن أبي قتادة حديثًا جاء فيه: «**ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وصيام، يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**».

(٣٠٤) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم باب: ما جاء في العمل في أيام العشر (٧٥٨) عن أبي هريرة قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

. . . . .ورجبٌ وشعبانُ.

وصومُ الأشهرِ الحُرُمِ من الفضائلِ وهي: ذو القعدةِ وذو الحجةِ والمحرمُ ورجبٌ، واحدٌ فَرْدٌ وثلاثةٌ سَرْدٌ، وهذه في السُّنةِ.

وأما في الشهرِ: فأولُ الشهرِ وأوسطُهُ وآخِرُهُ. . . . .

المحرم وأفضلُ الصلاةِ بعدَ الفريضةِ صلاةُ الليلِ»(٣٠٥) أي وذلك بالنسبة لغير عرفة وبالنسبة لغير صلاة الرواتب (ورجب وشعبان) وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهَى بشهر رمضان، وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى يظن أنه في رمضان، وفي الخبر: **«إذا كان النصفُ من شعبانَ فلا صَوْمَ حتى رمضانَ»**(٣٠٦) (وصوم الأشهر الحرم من الفضائل) لأنها أوقات فاضلة (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، واحد فرد) وهو رجب (وثلاثة سرد) أي متتابعة وهو الباقي (وهذه) الأيام الفاضلة (في السنة) وأفضلها للصوم بعد رمضان المحرم ثم رجب ثم الحجة ثم القعدة ثم شعبان، ونظم البجيرمي ترتيب الأفضلية في الشهور من بحر الرجز فقال:

وأفضلُ الشهورِ بالإطلاقِ ... شهرُ الصيامِ فَهْوَ ذو السَّباقِ

فَشَهرُ ربِّنا هو المُحَرَّمُ ... فرجبٌ فالحجَّةُ المُعظَّمُ

فقعدةٌ فبعدَهُ شعبانُ ... وكلٌّ ذا جاء به البيانُ

(وأما) الأيام الفاضلة التي تكرر (في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره) قال ابن حجر: ويسن صوم أيام السود خوفًا من ظلمة الذنوب وهي السابع أو الثامن والعشرون وتالياه؛ فإن بدأ بالثامن ونقص الشهر صام أول تاليه وحينئذ يقع صومه

---

(٣٠٥) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب: فضل صوم المحرم (١١٦٣) عن أبي هريرة.

(٣٠٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام باب: ما جاء في النهي عن أن يتقدم رمضان بصوم (١٦٥١) وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٢) (٩٧٠٥) عن أبي هريرة، وغيرهما.

. . .والأيامُ البِيضُ: وهي الثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ والخامسَ عشرَ. وأما في الأُسبوعِ: فيومُ الإثنينِ والخميسِ والجمعةِ؛ فَتُكَفِّرُ ذنوبُ الأُسبوعِ بصومِ الإثنينِ والخميسِ والجمعةِ، وتُكفرُ ذنوبُ الشهرِ باليوم

عن أول الشهر أيضًا فإنه يسن صوم ثلاثة أول كل شهر (والأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وفي ذي الحجة يبدل الثالث عشر بالسادس عشر أو بيوم بعده (وأما) الأيام الفاضلة (في الأسبوع فيوم الإثنين والخميس والجمعة) فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها لأن النبي ﷺ كان يتحرى صوم الإثنين والخميس وقال «**إنهما يومانِ تُعْرَضُ فيهما الأعمالُ فأُحِبُّ أن يُعْرَضَ عملي وأنا صائمٌ**»[٣٠٧] أي تُعرَض على الله فيهما أعمال الأسبوع إجمالًا فأحب أن يعرض عملي وأنا قريب من زمن الصوم لأن العرض بعد الغروب، وفائدة العرض إظهار العدل وإقامة الحجة إذ لا يخفى على الله شيء، وتعرض الأعمال على الأبناء والآباء والأمهات يوم الجمعة، وعلى النبي ﷺ سائر الأيام، وتعرض على الله أعمال العالم إجمالًا ليلة النصف من شعبان وليلة القدر، وأما عرضها تفصيلًا فبرفع الملائكة لها بالليل مرة وبالنهار مرة.

ويكره إفراد يوم الجمعة بالصوم بلا سبب بأن كان نفلًا مطلقًا وإنما نهي عن صومه مفردًا لأنه يوم عبادة وتبكير وذكر وغسل واجتماع فيسن فطره معاونة عليها كما نقله البجيرمي عن النووي، وفي الخبر الذي رواه البيهقي والحاكم «**إن يومَ الجمعةِ يومُ عيدٍ وذكرٍ فلا تجعلوا يومَ عيدِكُمْ يومَ صيامِكُمْ ولكن اجعلوه يومَ فِطْرٍ وذِكْرٍ إلا أنْ تخلطوه بأيامٍ**»[٣٠٨] (فتكفر ذنوب الأسبوع بصوم الإثنين والخميس والجمعة، وتكفر ذنوب الشهر باليوم الأول

(٣٠٧) أخرج الترمذي في كتاب الصوم باب: ما جاء في صوم يوم الإثنين والخميس (٧٤٧) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**» قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة في هذا الباب حديث حسن غريب.

(٣٠٨) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٠٣) (١٥٩٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩٤) (٣٨٦٧) عن أبي هريرة، واللفظ له.

الأولِ من الشهرِ واليومِ الأوسطِ واليومِ الآخِرِ والأيامِ البيضِ، وتُكفرُ ذنوبُ السنةِ بصيامِ هذه الأيامِ والأشهرِ المذكورةِ.

ولا تَظُنَّ إذا صُمْتَ أن الصومَ هو تركُ الطعامِ والشرابِ والوِقاعِ فقط؛ فقد قال ﷺ: **«كم من صائمٍ ليس له من صيامِهِ إلا الجُوعُ والعَطَشُ»** بل

من الشهر واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام) الثلاثة (البيض وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام) أي المذكورة (و) صيام (الأشهر المذكورة) أي التي تتكرر في السنة، وسكت المصنف عن صوم ستة من شوال فإنه يطلب صوم ستة أيام من شوال وإن لم يعلم بها أو نفلها أو صامها عن نذر أو نفل آخر أو قضاء عن رمضان أو غيره، نعم لو صام شوالًا قضاء عن رمضان وقصد تأخيرها عنه لم تحصل معه فيصومها من القعدة، وقال ﷺ: **«من صامَ رمضانَ ثم أتبَعَهُ سِتًّا من شوّالٍ كان كصيامِ الدّهرِ»**(٣٠٩) أي من صام رمضان في كل سنة وأتبعه ستًّا من شوال كذلك كان كصيام الدهر أي السنة فرضًا بلا مضاعفة، وأما من صام شهرًا وستة غيرها كل سنة يكون كصيام الدهر نفلًا بلا مضاعفة.

«تنبيه» قد يوجد للصوم سببان كوقوع عرفة وعاشوراء يوم إثنين أو خميس وكوقوعهما في ستة شوال فيتأكد صوم ما له سببان رعاية لكل منهما فإن نواهما حصلا؛ كالصدقة على القريب صدقة وصلة، وكذا لو نوى أحدهما كما أفاد ذلك كله البجيرمي.

المعنى الحقيقي للصوم

(ولا تظن) أيها المكلف (إذا صمت أن الصوم هو) كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وهو (ترك الطعام والشراب والوقاع فقط فقد قال ﷺ: **«كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»**(٣١٠)) أي بسبب عدم كف الجوارح

---

(٣٠٩) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب: استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعًا (١١٦٤) عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣١٠) أخرجه بلفظه القضاعي في مسند الشهاب (٣٠٩/٢) (١٤٢٤) عن ابن عمر،=

تمامُ الصومِ بكفِّ الجوارِحِ كُلِّها عما يَكْرَهُ اللهُ تعالى بل ينبغي أن تحفظَ العَيْنَ عن النظرِ إلى المكارِهِ واللسانَ عن النطقِ بما لا يَعْنيكَ والأذنَ عن الاستماعِ إلى ما حرَّمَهُ اللهُ تعالى فإن المُسْتَمِعَ شريكٌ للقائِلِ وهو أحد المُغْتابين. . . . .

عن المكاره.

وقال ﷺ: **«من لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به فليس للهِ حاجةٌ أن يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ»**(٣١١) أي في صيامه (بل تمام الصوم بكف الجوارح) كلها من السمع والبصر واللسان واليد والرجل وغيرهما (عما يكره الله تعالى) من الآثام، وذلك صوم الصالحين المسمى صوم الخصوص فيكون تمام الصيام بخمسة أمور: الأول: مذكور بقوله: (بل ينبغي أن تحفظ العين عن) الاتساع في (النظر إلى المكاره) وإلى كل ما يشغل القلب عن ذكر الله تعالى قال ﷺ: **«النَّظَرُ سهمٌ مسمومٌ من سِهَامِ إبليسَ -لعنه الله- فمن تركه خوفًا من اللهِ ﷻ آتاه اللهُ إيمانًا يجدُ حلاوتَهُ في قَلْبِهِ»**(٣١٢) والثاني مذكور بقوله: (واللسان عن النطق بما لا يعنيك) بفتح الياء وسكون العين أي لا يهمك، والذي يهم الإنسان ما يتعلق بسلامته في المعاد وبضرورة حياته في معاشه فيما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ واستمتاع.

والثالث مذكور بقوله: (والأذن عن الاستماع إلى ما حرمه الله تعالى فإن المستمع شريك للقائل) لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه؛ ولذلك سوّى الله تعالى بين السمع وأكل السحت فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: الآية ٤٢].

(وهو أحد المغتابين) لأن السكوت على الغيبة حرام؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ

=وأخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم (١٦٩٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤١) (٩٦٨٣) عن أبي هريرة بدون لفظ: «والعطش».

(٣١١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم (١٩٠٣) عن أبي هريرة.

(٣١٢) أخرجه بلفظه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٩) عن حذيفة ﷺ، وقال=

. . . وكذلك تكُفُّ جميعَ الجوارحِ كما تكُفُّ البطنَ والفَرْجَ؛ ففي الخبر: «خمسٌ يُفَطِّرْنَ الصائمَ: الكَذِبُ والغِيبةُ والنميمةُ واليمينُ الكاذبةُ والنظرُ بشهوةٍ»، وقال ﷺ: «إنَّما الصَّوْمُ جُنَّةٌ. . . . . . .

إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٠]، وقال ﷺ: «المغتابُ والمستمِعُ شريكانِ في الإثم»[٣١٣] (وكذلك تكف جميع الجوارح) عن كل ما يُذَمُّ شرعًا (كما تكف البطن والفَرج) عن قضاء شهوتهما (ففي الخبر) الذي رواه جابر عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «(خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة)» بكسر الغين (والنميمة) وهي السعي بين الناس بالإفساد (واليمين الكاذبة) وهو المسمى باليمين الغموس (والنظر بشهوة) أي إلى محرم، وقوله: «يفطرن» بتشديد الطاء أي المذكورات أي يبطلن الصوم حقيقة على ما ذهبت إليه السيدة عائشة والإمام أحمد، ومذهب الشافعي وأصحابه أن هذه تبطل ثواب الصوم لا نفس الصوم، ومعنى «يفطرن الصائم» يُذهبن ثوابَ الصائم كما يُذهب الفطرُ في النهار الصيامَ. وروى أبو الفتح الأزدي والديلمي[٣١٤] عن أنس بإسناد فيه كذاب هذا الخبر «خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء الكذب والغيبة والنميمة والنظر بشهوة واليمين الكاذبة» وهذا ورد على طريق الزجر عن فعل المذكورات وليس المراد الحقيقة كذا أفاده العزيزي (وقال ﷺ: «إنما الصوم جنة») بضم الجيم وتشديد النون أي

=الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٧٣) (١٠٣٦٢) عن عبد الله بن مسعود.

(٣١٣) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ٤٢٧): غريب، وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف: نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة.
وقال القاري في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (ص ١٧٣) : لا يعرف له أصل بهذا اللفظ.

(٣١٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ١٩٧) (٢٩٧٩) عن أنس بن مالك، قال الزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٨٣): رواه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: هذا حديث موضوع، وقال ابن معين: سعيد كذاب، ومن سعيد إلى أنس كلهم مطعون فيهم انتهى.

. . . فإذا كان أحدُكُمْ صائمًا فلا يَرْفَثْ ولا يَفْسُقْ ولا يَجْهَلْ فإنْ امْرُؤٌ قاتَلَهُ أو شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إنِّي صائمٌ» ثم اجتهدْ أن تُفْطِرَ على طعامٍ حلالٍ ولا تستكثِرْ فَتَزِيدَ على ما تأكلُه كلَّ ليلةٍ؛ فلا فَرْقَ إذا استوفيتَ ما تعتادُ أن تأكلَهُ دَفعتين في دَفعةٍ واحدةٍ، وإنما المقصودُ بالصيامِ كَسْرُ شهوتِكَ وتضعيفُ قُوَّتِكَ لِتَقْوَى بها على التقوى؛ فإذا أكلتَ عَشِيَّةً ما تداركْتَ به ما فاتَك ضَحْوَةً. . . . .

وقاية قيل: من المعاصي لكونه يكسر الشهوات ويضعفها، وقيل: من النار لأنه إمساك عن الشهوات (**فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث**) بالمثلثة وتثليث الفاء أي لا يفحش الصائم في الكلام (**ولا يفسق**) أي لا يخرج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات (**ولا يجهل**) أي لا يفعل فعل الجهال كالصياح والسخرية أو سفه على أحد (**فإن امرؤ قاتله**) أي أراد مقاتلته (**أو شاتمه فليقل**) بقلبه إن كان صيامه نفلاً وبلسانه وبقلبه إن كان في رمضان كذا أفاده العزيزي (**إني صائم**)[٣١٥] مرتين أو ثلاثًا ليكف نفسه عن المقاتلة والمشاتمة كذا أفاده العزيزي.

والرابع: مذكور بقوله: (ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال) فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال إذا أفطر بالطعام الحرام فهو مثل من يبني قصرًا ويهدم مصرًا.

والخامس: مذكور بقوله: (ولا تستكثر) أي من الطعام الحلال وقت الإفطار (فتزيد) في الأكل لأجل صيامك (على ما تأكله كل ليلة) أي في غير أيام الصيام (فلا فرق) بين كونك مفطرًا وكونك صائمًا (إذا استوفيت) أي أديت (ما تعتاد أن تأكله دفعتين) بفتح الدال أي مرتين مرة في النهار ومرة في الليل (في دفعة واحدة) وقت الإفطار (وإنما المقصود بالصيام كسر شهوتك وتضعيف قوتك) أي عن المعاصي (لتقوى بها) أي تقويك (على التقوى) لله تعالى (فإذا أكلت عشية) أي بعد الغروب (ما) أي طعامًا (تداركت به ما فاتك ضحوة) بأن جمعت ما كنت تأكل

---

(٣١٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: فضل الصوم (١٨٩٤) ومسلم في=

. . . فلا فائدةَ في صَوْمِكَ وقد ثَقُلَتْ عليك مَعِدَتُكَ، وما وِعاءٌ أَبْغَضَ إلى اللهِ تعالى من بطنٍ مُلِئَ من حلالٍ فكيف إذا مُلِئَ من حرامٍ. فإذا عَرَفْتَ معنى الصومِ فاستكثِرْ منه ما استطعْتَ فإنه أساسُ العباداتِ

ضحوة إلى ما كنت تأكل ليلاً (فلا فائدة في صومك) أي فلا تنتفع بصومك في كسر الشهوة، وهذا جواب «إذا» أي أن من آداب الصوم أن لا تشبع الشبع الكامل قط لاسيما في ليالي رمضان فإن الأَوْلى النقص فيها عن مقدار ما كنت تأكله في غيرها، وذلك لأنه شهر الجوع ومن شبع في عشائه وسحوره فكأنه لم يصم رمضان وحكمه حكم المفطر من حيث الأثر المشروع له الصوم وهو إضعاف الشهوة المُضيّقة لمجاري الشيطان في البدن، وهذا الأمر بعيد على من شبع من اللحم والمرق إلا إذا كان من يصوم شخصًا يتعاطى في النهار الأعمال الشاقة أو امرأة مرضعة فإن ذلك لا يضره إن شاء الله تعالى، وقد قالوا: من أحكم الجوع في رمضان حُفظ من الشيطان إلى رمضان الآتي؛ لأن الصوم جنة على بدن الصائم ما لم يخرقه شيء فإذا خرقه دخل الشيطانُ له من الخرق كذا نقله البجيرمي عن الشعراني[٣١٦] (وقد ثقلت عليك معدتك) بسبب تداركك عند فطرك ما فاتك من الطعام ضحوة النهار (وما وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن ملئ من حلال) كما في الحديث؛ لأن امتلاءه من الطعام يُفضي إلى فساد الدين والدنيا فغالب الأمراض تنشأ عن كثرة الأكل وإدخال الطعام في البدن قبل هضم الأول كذا قال العزيزي (فكيف) أي فما بالك (إذا ملئ) البطن (من حرام فإذا عرفت معنى الصوم) من تصفية القلب وقمع الشهوات (فاستكثر منه ما استطعت فإنه أساس العبادات) أي

=كتاب الصيام باب: حفظ اللسان للصائم (١١٥١) عن أبي هريرة.

(٣١٦) عبدالوهاب الشعراني (٨٩٨-٩٧٣هـ) عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني الشافعي الشاذلي المصري (أبو المواهب) فقيه أصولي محدث صوفي مشارك في أنواع من العلوم، ولد في قلقشندة بمصر ونشأ بساقية أبي شعرة بالمنوفية، وتوفي بالقاهرة، من تصانيفه: الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة، وشرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه (اهـ معجم المؤلفين ٦/ ٢١٨).

ومِفْتاحُ القُرُباتِ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «قال اللهُ تعالى: كُلُّ حسنةٍ بعَشْرِ أمثالِها إلى سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ إلا الصَّوْمَ فإنه لي وأنا أَجْزِي به»، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لَخُلُوفُ فَمِ الصائمِ أَطْيَبُ عند اللهِ من ريحِ المِسْكِ. . . . .

أصلها (ومفتاح القربات) كما قال ﷺ: **«لكلِّ شيءٍ بابٌ وبابُ العبادةِ الصومُ»**[٣١٧] (قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى)** في الحديث القدسي: **(كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»)** بكسر الضاد **(إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي)** بفتح الهمزة وسكون الياء **(به»)**[٣١٨] أي الصوم، والمعنى أن العبادات قد كشف مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإن الله تعالى تفرد بمقدار علم ثوابه وتضعيف حسناته؛ فقوله: «وأنا أجزي به» أي أجزي جزاء كثيرًا من غير تعيين لمقداره، وقيل: معناه أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي (وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده)** أي روحي بقدرته وتصريفه كذا أفاده العزيزي، وقال البركوي: «والذي» جار ومجرور متعلق بأقسم المقدر و«نفسي» مبتدأ و«بيده» ظرف مستقر خبره، والجملة صلة الموصول، واللام في «لخلوف» جوابية، والمعنى: والله الذي روحي في قبضة قدرته **(لخلوف)** بضم الخاء المعجمة واللام **(فم الصائم)** أي لرائحة فم الصائم لخلو معدته من الطعام **(أطيب عند الله من ريح المسك)** والمعنى أن الخلوف أكثر ثوابًا من المسك المندوب إليه في الجُمَع ومجالس الذكر، ورجَّح هذا المعنى النووي، ويحمل معنى الطيب على القبول والرضا. وقال الماوردي: المعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أي يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم. وقال بعضهم: إن للطاعات يوم القيامة

---

(٣١٧) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٣٣٠) (٤٩٩٢) عن أبي الدرداء.

وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ٤٢١): أخرجه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف.

(٣١٨) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب: فضل الصيام (١١٥١) عن أبي هريرة.

. . .يقولُ اللهُ تعالى عَزَّ مِنْ قائلٍ: إنما يَذَرُ شهوتَهُ وطعامَهُ وشَرابَهُ. .

ريحًا يفوح؛ فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك وهذا كما ورد في الحديث **«المُحْرِمُ يُبعثُ يومَ القيامةِ مُلَبِّيًا»**(٣١٩) وكما روي أنه يُبعث الزامرُ وتتعلق زَمَّارتُهُ في يده ويلقيها وتعود إليه فلا تفارقه(٣٢٠) **(يقول الله تعالى عز من قائل)** «من» زائدة و«قائل» حال من فاعل «عز» **(إنما يذر)** أي يترك كما في رواية **(شهوته وطعامه وشرابه)** قال بعضهم: قوله ﷺ: **«يقول الله تعالى»** عَجُز حديث للإمام أحمد(٣٢١)

---

(٣١٩) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب: الكفن في ثوبين (١٢٦٥) ومواضع أخرى، ومسلم في كتاب الحج باب: ما يفعل بالمحرم إذا مات (١٢٠٦) ومواضع أخرى، ولفظه عند البخاري: عن ابن عباس قال: بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته أو قال: فأوقصته قال النبي ﷺ: **«اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا»**.

(٣٢٠) لم أعثر عليه، وجاء في كشف الخفاء (١/ ٢٦٤) (٧٠١): إن الزامر يأتي يوم القيامة بمزماره وإن السكران يأتي بقدحه وإن المؤذن يأتي يؤذن، وهكذا كل من مات على شيء يأتي عليه قال ابن حجر الهيثمي في فتاويه: ورد في الحديث ما يقتضي ذلك، وورد التصريح بأفراد منه، ونص عليه العلماء.

أخرج مسلم: **«يبعث كل عبد على ما مات عليه»**، والبيهقي: **«من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة»**، وعليه حمل العلماء خبر : **«يبعث الميت في ثيابه التي مات فيها»**، أي الأعمال التي يموت عليها من خير وشر، وصح أن المجروح في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا وأن الميت محرمًا يبعث ملبيًا، وورد غير ذلك، وفي «الدرة الفاخرة» للغزالي: يبعث السكران سكران يوم القيامة والزامر زامرًا، وشارب الخمر والكوز معلق في عنقه، وكل أحد على الحال الذي صده في الدنيا عن سبيل الله. قال السيوطي بعد إيراده جميع ما مر: وفي هذا إشارة إلى تخصيص الحديث السابق بأن الحالة التي يأتي عليها في الآخرة ما كان عليه في الدنيا المراد بها حالة الطاعة أو المعصية بخلاف المباحات فلا يأتي النجار بآلته ولا البناء، ونحوهما إلا إن استعملوها فيما لا يجوز شرعًا. انتهى.

(٣٢١) لم أعثر على هذه الرواية.

. . .من أَجْلِي فالصَّوْمُ لي وأنا أَجْزِي به»، وقال ﷺ: «لِلْجَنَّةِ بابٌ يُقال له الرَّيَّانُ لا يَدْخُلُهُ إلا الصائمونَ» فهذا القَدْرُ من شرحِ الطاعاتِ يكفيك من بدايةِ الهدايةِ فإذا احْتَجْتَ إلى الزَّكاةِ والحَجِّ أو إلى مزيدٍ لشرحِ الصلاةِ والصيامِ فاطْلُبْهُ مما أوردناه في كتابِنا «إحياءِ علومِ الدينِ».

عن مالك ومبدؤه قوله ﷺ للرجل الذي سأله عن أفضل الأعمال: **«عليك بالصوم فإنه لا مِثْلَ له يقول الله تعالى: . . .»** إلى آخره **(من أجلي فالصوم لي)** أي خالص ليَ فلا يدخله رياء بمجرد فعله لأنه لا يطلع عليه ابن آدم وإلا فقد يدخله الرياء بأن يخبر بأنه صائم **(وأنا أجزي به)**[٣٢٢] ومن المعلوم أن الكريم إذا تولى الإعطاء بنفسه كان ذلك إشارة إلى تعظيم العطاء ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب، واتُّفق على أن الصائم هنا من سلم صيامه من المعاصي كذا نقل عن القَسْطَلَّانِي[٣٢٣] **(وقال ﷺ «للجنةِ بابٌ يقال له الريانُ لا يدخله إلا الصائمون»)**[٣٢٤] وهو موعود بلقاء الله تعالى في جزاء صومه **(فهذا القدر من شرح الطاعات)** أي بيانها **(يكفيك من بداية الهداية فإذا احتجت إلى الزكاة والحج أو إلى مزيد لشرح الصلاة والصيام فاطلبه)** أي خذ ما تحتاجه **(مما أوردناه)** أي ذكرناه **(في كتابنا «إحياء علوم الدين»)** وشرح الصلاة والصيام قد وجد في هذا الشرح بعضه من كتاب «الإحياء» وبعضه من كتب شتى.

---

(٣٢٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: فضل الصوم (١٨٩٤) عن أبي هريرة.

(٣٢٣) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني الأصل المصري الشافعي ولد في سنة ٨٥١ بمصر ونشأ بها فحفظ القرآن والشاطبيتين، ونصف الطيبة الجزرية، والوردية في النحو وأخذ القراءات عن جماعة، وسمع صحيح البخاري بتمامه في خمسة مجالس على الشاوي، وقرأ في الفنون على جماعة وجلس للوعظ بالجامع العمري، ومن مؤلفاته المشهورة: شرح البخاري المسمى إرشاد الساري على صحيح البخاري في أربع مجلدات، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ومات في ليلة الجمعة سابع المحرم سنة ٩٢٣ (اهـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٧٠).

(٣٢٤) سبق تخريجه انظر هامش رقم (٣٠٠).

القسم الثاني: القول في اجتناب المعاصي

اعلم أن للدِّين شَطْرين: أحدهما: تركُ المناهي، والآخر فعلُ الطاعاتِ، وتركُ المناهي هو الأشدُّ فإن الطاعاتِ يقدرُ عليها كلُّ أحدٍ، وتركُ الشهواتِ لا يقدرُ عليه إلا الصِّدِّيقونَ؛ فلذلك قال رسولُ اللهِ ﷺ: «المُهاجِرُ من هَجَرَ السُّوءَ والمُجاهِدُ من جَاهَدَ هَواهُ».

(القسم الثاني) من قسمي ظاهر علم التقوى هو (القول في اجتناب المعاصي) أي ظاهرًا وباطنًا (اعلم أن للدين شطرين) أي جزأين (أحدهما) ترك المناهي والآخر فعل الطاعات، وهو ما تقدم ذكره (وترك المناهي هو الأشد) أي أثقل وأصعب من فعل الطاعات، ولذلك كان أكثر ثوابًا منه (فإن الطاعات) الفاء للتعليل (يقدر عليها) أي على فعلها (كل أحد، وترك الشهوات) القلبية والبدنية والفرجية (لا يقدر عليه) أي ترك الشهوات (إلا الصديقون) وهم الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أَوْج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليه.

(فلذلك قال رسول الله ﷺ: «المهاجر من هجر السوء») أي تركه (والمجاهد من جاهد هواه»[٣٢٥]) أي من زجر نفسه عن اتباع شهواته بالصبر والتوطين على إيثار الخير، وفي رواية الترمذي وابن حبان[٣٢٦] «المجاهِدُ من جاهَدَ نفسَهُ» أي

---

(٣٢٥) لم أعثر على الحديث بهذا اللفظ، ولكن روى نحوه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤) (٢٤) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن: من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»، وأخرج الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٥٤) (١٢٥٨٣) عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه».

(٣٢٦) الترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب: ما جاء في فضل من مات مرابطًا (١٦٢١) وابن حبان (١٠/ ٤٨٤) (٤٦٢٤) كلاهما من حديث فضالة بن عبيد.

واعلمْ أنك إنما تعصي اللهَ بجوارِحِكَ وهي نِعْمةٌ من اللهِ وأمانةٌ لديك؛ فاستعانتُك بنعمةِ اللهِ على معصيتِه غايةُ الكُفْرانِ وخيانتُك في أمانةٍ اسْتَوْدَعَكَهَا اللهُ غايةُ الطغيانِ؛ فأعضاؤك رَعاياك فانظرْ كيف ترعاها «فكُلُّكُمْ راعٍ وكلُّكُمْ مسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ».

قهر نفسه الأمارة بالسوء على فعل الطاعة وتجنب المعصية، وجهادها أصل كل جهاد فإنه لو لم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدو كذا أفاده العزيزي.

وجنود النفس عشرة: الحرص والشهوة والشح والرغبة والزيغ والقسوة وسوء الخلق والأمل والطمع والكسل، وجنود الهوى عشرة أيضًا: الحسد والتجبر والعُجْب والكِبْر والغِل والمكر والوسوسة والمخالفة في الأمر وسوء الظن والجدال كذا أفاده الهَمْداني (واعلم أنك إنما تعصي الله بجوارحك) أي أعضائك التي تكتسب بها (وهي) أي الجوارح (نعمة من) نعم (الله) تعالى (عليك وأمانة) أي وديعة (لديك) لتحفظها عما نهى الله عنه (فاستعانتك بنعمة الله) أي التي هي الجوارح (على معصيته غاية الكفران) أي الجحود بالنعمة وهو ضد الشكر (وخيانتك في أمانة) حيث استعملتها في غير ما دون (استودعكها الله تعالى) أي جعلها الله تعالى وديعة عندك (غاية الطغيان) أي غاية مجاوزة في العصيان (فأعضاؤك رعاياك) أي تحت نظرك، والرعايا جمع رعية كخطايا جمع خطية (فانظر كيف ترعاها) أي تحفظها بقيام حقوقها (فكلكم) يا معشر بني آدم (راع) أي حافظ على ما عنده (وكلكم مسئول) يوم القيامة (عن رعيته) بتشديد الياء **«والإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته»** كذا في الزواجر، وما أحسن قول القائل من بَحر الوافر:

ولـــو أنَّـــا إذا مِـــتْـــنـــا تُـــرِكْـــنـــا ... لَـكـــان الـــمـــوتُ راحـــةَ كُـــلِّ حَـــيْ

ولَكِـــنَّـــا إذا مِـــتْـــنـــا بُـــعِـــثْـــنـــا ... ونُـــسْـــأَلُ بـــعـــدَ ذا عـــن كُـــلِّ شَـــيْ

واعلمْ أن جميعَ أعضائِك ستشهدُ عليك في عَرَصاتِ القيامةِ بلسانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ تفضحُك به على رءوس الخلائقِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: الآية ٢٤]، وقال اللهُ تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: الآية ٦٥]، فاحفظْ يا مسكينُ جميعَ بدنِك من المعاصي وخصوصًا أعضاءَك السبعةَ؛ فإن جهنمَ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحِجر: الآية ٤٤] ولا يتعينُ لتلك

شهود الأعضاء على الإنسان يوم القيامة

(واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة) أي أماكنها (بلسان طلق ذلق) أي فصيح عذب المنطق (تفضحك) أي تكشف الأعضاء مساويك (به) أي بذلك اللسان (على رءوس الخلائق) أي أعينهم، وفي نسخة: «على ملأ من الخلق» (قال الله تعالى) في سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: الآية ٢٤] أي من قول وفعل وهو يوم القيامة فإنه تعالى يوفيهم جزاءهم الحق (وقال الله تعالى) في سورة يس: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ﴾ أي نسد ﴿عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ أي بما عملوا إقرارًا هو أعظم شهادة ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ أي عليهم بكلام بَيِّن هو مع كونه شهادةً إقرارٌ ﴿بِمَا كَانُوا﴾ أي في الدنيا بجبلاتهم ﴿يَكْسِبُونَ﴾ [يس: الآية ٦٥] فكل عضو ينطق بما صدر منه، وفي كيفية هذا الختم وجهان: أقواهما أن الله تعالى يُسكِت ألسنتهم ويُنطِق جوارحهم فتشهد عليهم وإن ذلك في قدرة الله تعالى يسير؛ أما الإسكات فلا خفاء فيه وأما الإنطاق فإن اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره بمثلها والله تعالى قادر على كل الممكنات، والوجه الآخر أنهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع أعذارهم وانتهاك أستارهم فيقفون ناكسي الرءوس لا يجدون أعذارًا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون، وتكلُّم الأيدي هو ظهور الأمر بحيث لا يُسمع منه الإنكارُ، والصحيح الأول كذا في «السراج المنير».

(فاحفظ يا مسكين جميع بدنك من المعاصي وخصوصًا أعضاءك السبعة) التي سيأتي بيانها (فإن جهنم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾) بعضها فوق بعض أي سبع طبقات قال

الأبوابِ إلا مَنْ عصى اللهَ تعالى بهذه الأعضاءِ السبعةِ وهي: العينُ والأُذُنُ واللسانُ والبطنُ والفَرْجُ واليدُ والرِّجْلُ، . . . .

ابن جريج(٣٢٧): النار سبع دركات أولها جهنم ثم لَظَى ثم الحُطَمَة ثم السعير ثم سَقَر ثم الجحيم ثم الهاوية، وتخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع فرق وأيضًا أنه على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات فكانت مواردها الأبواب السبعة، ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية، والنية من أعمال القلب زادت الأعضاء واحدًا فجعلت أبواب الجنان ثمانية (﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾) من السبعة (﴿مِّنْهُمْ﴾) أي الغاوين خاصة لا يشاركهم فيه مخلص (﴿جُزْءٌ﴾) أي نصيب (﴿مَّقْسُومٌ﴾) [الحجر: الآية ٤٤] أي معلوم فلكل دركة قوم يسكنونها قال الضحاك(٣٢٨): في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، وفي الثانية النصارى، وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة الصابئون، وفي الخامسة المجوس، وفي السادسة أهل الشرك، وفي السابعة المنافقون، وروي عن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لِجهنَم سبعةُ أبوابٍ بابٌ منها لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ على أُمّتي»**(٣٢٩) كذا في «السراج المنير» (ولا يتعين لتلك الأبواب) السبعة (إلا من عصى الله تعالى بهذه الأعضاء السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل) وكل واحد من هذه نعمة يجب على صاحبها أداء شكره باستعماله

---

(٣٢٧) أبو الوليد عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي ثم المكي مولى بني أمية إمام الحجاز أخذ عن عطاء وطبقته، وهو أول من صنف الكتب بالحجاز كما أن سعيد بن أبي عروبة أول من صنف بالعراق قال أحمد: كان ابن جريج من أوعية العلم توفي في عام ١٥٠ هـ عن أكثر من تسعين سنة (اهـ العبر في خبر من غبر (١/ ١٦٣)).

(٣٢٨) الضحاك بن مزاحم أبو القاسم ويقال: أبو محمد الهلالي الخراساني، تابعي وردت عنه الرواية في حروف القرآن، سمع سعيد بن جبير وأخذ عنه التفسير، وثقه الإمام أحمد وغيره، وورد أنه كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي توفي سنة ١٠٥هـ (اهـ غاية النهاية في طبقات القراء (باب الضاد) والعبر في خبر من غبر (١/ ٩٤)).

(٣٢٩) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة الحجر (٣١٢٣) عن=

. . .أما العينُ فإنما خُلقت لك لتهتديَ بها في الظُّلُماتِ وتستعينَ بها في الحاجاتِ وتنظرَ بها إلى عجائبِ ملكوتِ الأرضِ والسمواتِ وتَعْتبرَ بما فيها من الآياتِ فاحفظْها عن أربعٍ: أن تنظرَ بها إلى غير مَحْرَمٍ،

في طاعة الله تعالى (أما العين فإنما خلقت لك لتهتدي بها في الظلمات وتستعين بها في الحاجات وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسموات وتعتبر) أي تتعظ وتتذكر (بما فيها) أي عجائب الملكوت (من الآيات) أي الدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٤]، أي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة.

ما يجب أن تحفظ العين عنه

(فاحفظها عن أربع: أن تنظر بها إلى غير محرم) من النساء الأجنبيات جميع بدنها حتى العين والشعر والظفر وغير ذلك، وكذا الالتذاذ بقدها، ولا بأس بالتأمل في جسدها وعليها ثياب ما لم يكن ثوب يبين حجمها وإلا فلا ينظر إليه لقوله عليه الصلاة والسلام: **«من تأمَّلَ خَلْفَ امرأةٍ ورأى ثيابَها حتى تبينَ له حَجْمُ عِظامِها لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ»**(٣٣٠) وإلى العورات ولو من محرم، ولا حرج على من سبق نظره إلى رؤيتها من غير قصد في المرة الأولى(٣٣١) بخلاف ما لو

=ابن عمر، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣٣٠) لم أعثر عليه، ولكن جاء في كتاب الموضوعات (٢/ ١٩٥) من رواية خراش بن عبد الله خادم أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تأمل امرأة حتى يتبين له حجم عظامها ورأى ثيابها وهو صائم فقد أفطر»** قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وفي إسناده كذابان أحدهما العدوي، والثاني خراش. (اهـ باختصار).

(٣٣١) للحديث الذي أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب: ما يؤمر به من غض=

أو إلى صورةٍ مليحةٍ ولا بشهوةِ نفسٍ، أو تنظرَ بها إلى مسلمٍ بعينِ الاحتقارِ، أو تَطَّلِعَ بها على عيبِ مسلمٍ.

أعادها، كما قاله الرملي (أو إلى صورة) أي صورة كانت من (مليحة ولا بشهوة نفس) وروي أن قومًا قَدِمُوا على النبي ﷺ وكان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال: **«إنما كانتْ فتنةُ داودَ من النَّظرِ»**(٣٣٢) وكان يقال: النظر بريد الزنا (أو تنظر بها) أي العين (إلى مسلم بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم) قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: الآية ٣٠] وقال بعضهم من بحر البسيط:

كُـلُّ الـحـوادثِ مَـبْـداهـا مـن الـنَّـظَـرِ
ومُـعْـظَـمُ النـارِ من مُـسْـتَـصْـغَـرِ الـشَّـرَرِ
والـمـرءُ مـادام ذا عـيـنٍ يُـقـلِّـبُـهـا
في أعْيُنِ الغِيدِ موقوفٌ على الخَطَرِ
كم نظرةً فعلتْ في قلبِ صاحبِها
فِـعْـلَ الـسِّـهـامِ بـلا قَـوْسٍ ولا وَتَـرِ
يَـسُـرُّ نـاظِـرَهُ مـا ضَـرَّ خـاطِـرَهُ
لا مـرحـبًـا بـسـرورٍ عـاد بـالـضَّـرَرِ

وقال بعضهم رحمه الله تعالى:

الـمـرءُ إنْ كـان عـاقـلًا ورِعَـا
أشْـغَـلَـهُ عـن عـيـوبِـهِـمْ وَرَعُـهْ
كـمـا الـعـلـيـلُ الـسـقـيـمُ أَشْـغَـلَـهُ
عـن وَجَـعِ الـنـاسِ كُـلِّـهِـمْ وَجَـعُـهْ

=البصر (٢١٤٩) عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: **«يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»**، وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٥١) (٢٣٠٢٤).

(٣٣٢) الحديث رواه الديلمي بسنده عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن الحسن عن سمرة قال: قدم على النبي ﷺ وفد عبد القيس وفيهم غلام ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره، وقال: الحديث، قال ابن الصلاح في مشكل الوسيط: لا=

وأما الأذنُ: فاحفظْها عن أن تُصغيَ بها إلى البدعةِ أو الغيبةِ أو الفُحْشِ أو الخوضِ في الباطلِ أو ذكرِ مَساوئِ الناسِ فإنما خُلقتْ لك لتسمعَ بها كلامَ اللهِ تعالى وسُنةَ رسولِ الله ﷺ وحكمةَ أوليائِهِ وتتوصلَ باستفادةِ العلمِ بها إلى المُلْكِ المُقيمِ والنعيمِ الدائمِ في جِوارِ رَبِّ العالمين؛ فإذا أصغيتَ بها إلى شيءٍ من المكارِهِ صار ما كان لك عليك، وانقلبَ ما كان سببَ فوزِكَ.........................

ما يجب أن تحفظ الأذن عنه

(وأما الأذن فاحفظها عن أن تُصغي بها إلى البدعة) كالغناء وآلة اللهو كالطُّنبور والعود والمزمار وغير ذلك (أو) إلى (الغيبة أو) إلى (الفحش) كإفشاء سر زوجته وهي سره؛ بأن يذكر كل منهما ما يقع بينهما من تفاصيل الجماع ونحوها مما يخفى (أو) إلى (الخوض في الباطل) أي إيجاد الكلام في غير مواقعه (أو إلى ذكر مساوئ الناس فإنما خلقت) أي الأذن (لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وحكمة أوليائه وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار) بكسر الجيم (رب العالمين فإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره صار ما كان) نافعًا (لك) ضارًا (عليك وانقلب ما كان سبب فوزك) بالثواب

=أصل لهذا الحديث.

وقال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح: هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع.

كذا في ذيل الأحاديث الموضوعة للسيوطي (ص ١٢٢. ١٢٣) وتنزيه الشريعة لابن عراق (٣٠٨/ ١-٢).

ولعل الحديث أصله من الإسرائيليات التي كان يرويها بعض أهل الكتاب تلقاها عنه بعض المسلمين؛ فوهم بعض الرواة فرفعه إلى النبي ﷺ، والحديث في «كتاب الورع» لابن أبي الدنيا (١٦٢/ ٢) موقوفًا على ابن جبير.

قال: كانت فتنة داود عليه السلام في النظر، وإسناده فيه ضعف، وهو مع ذلك أولى من المرفوع. (اهـ بتصرف من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١/ ٤٨٣)).

. . . سببَ هلاكِكَ وهذا غايةُ الخُسْرانِ ولا تَظُنَّ أن الإثْمَ يختصُّ به القائلُ دون المُستمِعِ ففي الخبر «أن المُسْتَمِعَ شريكَ القائلِ وهو أحدُ المُغْتابين».

وأما اللسانُ: فإنما خُلق لك لتُكْثَر به ذِكْرَ اللهِ تعالى وتلاوةَ

(سبب هلاكك) بحصول العقاب إن لم تَتُبْ (وهذا) أي الصيرورة والانقلاب (غاية الخسران ولا تظن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع ففي الخبر «أن المستمع شريك القائل) أي في الإثم (وهو أحد المغتابين»)[٣٣٣] وفي ذلك يقول القائل من بحر المتقارب:

وسَمْعَكَ صُنْ عن سماعِ القبيح كَصَوْنِ اللسانِ عن النطقِ بِهْ
فإنَّك عندَ سماعِ القبيح شريكٌ لِقائلِهِ فانْتَبِهْ

قال النووي: ولابد من كراهة نحو الغيبة بقوله إن خاف ضررًا ظاهرًا في نهيه باليد أو باللسان، ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه نحو الغيبة وعجز عن الإنكار أو أنكر فلم يقبل منه ولم يمكنه المفارقة بطريقٍ حرم عليه الاستماع والإصغاء له بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه أو بقلبه أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن استماعها ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة؛ فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة ونحوها وجب عليه المفارقة، وروي عن إبراهيم أنه دعي إلى وليمة فحضر فذكروا رجلًا لم يأتهم فقالوا: إنه ثقيل فقال إبراهيم: أنا قد فعلتُ هذا لنفسي حين حضرتُ موضعًا يُغتاب فيه الناسُ فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام انتهى.

التحذير من استعمال اللسان في غير ما خُلق له

(وأما اللسان فإنما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه) وفي نسخة:

---

(٣٣٣) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٩/ ١٦٠٣): حديث «المستمع أحد المغتابين» أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر: نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة، وهو ضعيف.

كتابِهِ وتُرشدَ به خلقَ اللهِ تعالى إلى طريقِهِ وتُظهرَ به ما في ضميرِكَ مِن حاجاتِ دينِكَ ودنياكَ فإذا استعملْتَهُ في غيرِ ما خُلق له فقد كفرتَ نعمةَ اللهِ تعالى فيه، وهو أغلبُ أعضائِكَ عليك وعلى سائرِ الخلقِ و«لا يَكُبُّ الناسَ في النارِ على مناخِرِهِمْ إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» . . . . .

«تلاوة القرآن» (وترشد به) أي اللسان (خلق الله تعالى إلى طريقه) أي دينه الحق الذي سلكه رسول الله وأصحابه (وتظهر به ما في ضميرك) أي باطنك (من حاجات دينك ودنياك فإذا استعملته) أي اللسان (في غير ما خلق) أي اللسان (له فقد كفرت) أي جحدت (نعمة الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق) قال بعضهم نظمًا من بحرِ الكامل:

احـفـظْ لـسـانَـكَ واسـتـعِـذْ مـن شَـرِّهِ ... إن الـلـسـانَ هـو الـعـدُوُّ الـذابـحُ

وَزِنِ الـكـلامَ إذا نـطـقـتَ بِـمَـجْـلِـسٍ ... وزنًـا يـلـوحُ بـه الـصـوابُ الـلائـحُ

فالصَّمْتُ من سَعْدِ السُّعودِ بِمَطْلَعٍ ... يحمِي الفتى والنطقُ سَعْدُ الذابحُ

وكان من دعاء داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللهم إني أسألك أربعة وأعوذ بك من أربعة فأما اللواتي أسألك فإني أسألك لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وبدنًا صابرًا وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي، وأما اللواتي أعوذ بك منهن فإني أعوذ بك من ولد يكون علي سيدًا ومن امرأة تشيبني قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابًا لي ووبالًا علي ومن جارٍ إن رأى مني حسنةً كتمها وإن رأى سيئةً أفشاها» («ولا يكب الناس) بضم الكاف- وهذا من النوادر فإن ثُلاثيه متعدٍ ورُباعيه لازم- أي لا يُلقي أكثرَ الناس (في النار) أي نار جهنم (على مناخرهم) جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها ثقبة الأنف (إلا حصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة (ألسنتهم)[٣٣٤] أي ما تكلمت الألسنة به من الإثم كالكذب والقذف والسب

---

(٣٣٤) أخرج الترمذي في كتاب الإيمان باب: ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٦) عن معاذ بن جبل حديثًا طويلًا جاء فيه: «فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم=

. . . فاستظْهِرْ عليه بغايةِ قُوَّتِكَ حتى لا يَكُبَّكَ في قَعْرِ جهنمَ؛ ففي الخبر «إنَّ الرجلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ ليُضْحِكَ بها أصحابَهُ فَيَهْوِي بها في قَعْرِ جهنمَ سبعين خريفًا».

والنميمة وغير ذلك، وإضافة «حصائد» إلى «الألسنة» من إضافة اسم المفعول إلى فاعله أي محصودات الألسنة، شبَّه ما تكتسبه الألسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع في أن كلًّا كسب وجمع، وشبَّه اللسان في تكلمه بذلك بحد المِنْجَل الذي يحصد به الناس الزرع، وقال الشافعي ﷺ من بحر الكامل:

احفظ لسانك أيُّها الإنسانُ ... لا يَلْدَغَنَّكَ إنهُ ثُعْبانُ

كم في المقابرِ من قتيلِ لسانِهِ ... كانت تَهابُ لِقاءَهُ الشُّجعانُ

(فاستظهر) أي اطلب الغلبة واستعن (عليه) أي اللسان (بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر) أي نهاية أسفل (جهنم ففي الخبر «إن الرجل) أي الإنسان ذكرًا كان أو أنثى (ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه) والمراد ما فيه إيذاء مسلم ونحوه دون مجرد المزاح المباح (فيهوي بها) أي يسقط بسببها (في قعر جهنم سبعين خريفًا)[٣٣٥] أي عامًا؛ لما فيها من الأوزار التي غفل عنها أو إذا لم يتب عنها، والمراد أنه يكون دائمًا في صُعود وهُوِي فالسبعين للتكثير لا للتحديد كذا

=به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣٣٥) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، لكن أخرج هناد في الزهد (٢/ ٥٥٢) حديث (١١٤٣) عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «الضحك ضحكان: ضحك يحبه الله وضحك يمقت الله عليه؛ فأما الضحك الذي يحبه الله فالرجل يكشر في وجه أخيه حداثة عهد به وشوقًا إلى رؤيته وأما الضحك الذي يمقت الله به عليه فالرجل يتكلم بكلمة الجفاء أو الباطل ليضحك أو يضحك فيهوي بها في جهنم سبعين خريفًا».

وأخرج ابن ماجه في كتاب الفتن باب: كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يرى=

ورُوي أنه قُتل شهيدٌ في المعركةِ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فقال قائل: هنيئًا له بالجنة فقال النبي ﷺ: «وما يُدْريكَ لَعَلَّهُ كان يتكلمُ فيما لا يَعْنِيه ويَبْخَلُ بما لا يُغْنِيه».

نقل العزيزي عن المناوي[٣٣٦] (وروي أنه) أي الشأن (قتل شهيد في المعركة) أي محل الحرب (على عهد رسول الله ﷺ) أي يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع (فقال قائل) أي شخص قائل وهو أم الفضل بعد أن مسحت التراب عن وجهه (هنيئًا له بالجنة) أي ثبت لهذا المقتول الظفر بالجنة حال كونه «هنيئًا» أي بلا مشقة في تحصيل الجنة (فقال النبي ﷺ: «وما يدريك) أي: أي شيء يجعلك دارية بمآله (لعله) أي هذا المقتول (كان يتكلم فيما لا يعنيه) بفتح الياء وسكون العين وكسر النون أي بما لا يهمه من أمر دنياه وعُقباه (ويبخل بما لا يغنيه»)[٣٣٧] بضم أوله وسكون المعجمة أي من أقوال وأفعال وطلب رياسة وحب محمدة وأمثال ذلك مما يجلب له شرًا ولا يذهب عنه ضرًا، وقوله: «ويبخل» لعل الواو بمعنى «أو» كذا في شرح الشفاء.

فضيلة الصمت

وذكر بعضهم أن الكلام أربعة أقسام: ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة

=بها بأسًا فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفًا»، وفي حاشية السندي على ابن ماجه: ومعنى (سبعين خريفًا) أي قدرًا من المسافة يقطع في خمسين سنة.

(٣٣٦) عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين القاهري الشافعي (٩٥٢-١٠٣١هـ) من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، كان قليل الطعام كثير السهر فمرض وضعفت أطرافه فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه، له نحو ثمانين مصنفًا، عاش في القاهرة وتوفي بها، ومن كتبه: التيسير في شرح الجامع الصغير مجلدان اختصره من شرحه الكبير فيض القدير، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الأعلام ٦/ ٢٠٤).

(٣٣٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٢٥) (١٠٨٣٦) عن أنس بن مالك، ولكن بلفظ: «لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يعنيه»، وأخرج نحوه الترمذي في كتاب الزهد باب: فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (٢٣١٦) بلفظ: «فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه».

فاحفْظ لسانَك من ثمانية: الأول: الكذب؛ فاحفظ منه لسانَك في الجِدِّ والهَزْلِ ولا تعوِّدْ لسانَك الكذبَ هَزْلًا فيتداعَى إلى الجِدِّ، والكذبُ من أمهاتِ الكبائرِ.

ولا ضرر ولا منفعة؛ فالضرر المحض لابد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة ولا تفي المنفعة بالضرر، وأما ما لا ضرر فيه ولا منفعة فهو فضول والاشتغال به تضييع زمن وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الواحد فيسقط ثلاثة أرباع الكلام، وفيه خطر إذا كان يجر ما فيه إثم من الرياء والتصنع ونحوهما.

وقال لقمان لابنه: «لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب»، ومعناه كما قال ابن المبارك: «لو كان الكلام في طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب»، وقال إبراهيم العتكي من بحر البسيط:

قالوا سُكوتُكَ حِرمانٌ فقلتُ لهمْ ... ما قدّرَ اللهُ يأتيني بلا نَصَبِ
ولو يكونُ كلامي حينَ أنشُرُهُ ... مِنَ اللُّجَيْنِ لكان الصَّمْتُ مِنْ ذَهَبِ

وقال بعضهم: في الصمت سبعة آلاف خير، وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها ألْف أولها أن الصمت عبادة من غير عناء، والثاني زينة من غير حلي، والثالث هيبة من غير سلطان، والرابع حصن من غير حافظ، والخامس استغناء عن الاعتذار إلى الناس، والسادس إراحة الكرام الكاتبين، والسابع ستر لعيوبه لأن الصمت زَيْن للعالم وَستْر للجاهل. وقيل: ثلاثة أشياء تُقسِّي القلبَ: الضحك من غير عَجَب والأكل من غير جوع والكلام من غير حاجة.

ما يجب حفظ اللسان عنه

(فاحفظ لسانك من ثمانية) أشياء (الأول الكذب) وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب (فاحفظ منه) أي الكذب (لسانك في الجد والهزل) أي المزاح (ولا تعود لسانك الكذب هزلًا) أي لا تصير الكذب بالهزل للسانك عادة (فيتداعى إلى الجد) وفي نسخة: «فيدعوك إلى الكذب في الجد» (والكذب من أمهات الكبائر) أي أصولها؛ قال رسول الله ﷺ: «عليكمْ بالصِّدْقِ فإن الصدقَ

ثم إنك إذا عُرِفْتَ بذلك سقطتْ عدالتُكَ والثقةُ بقولك وتَزْدَريكَ الأعينُ وتحتقرُكَ، وإذا أردتَ أن تعرفَ قُبْحَ الكذبِ من نفسِكَ فانظرْ إلى كذبِ غيرِك وإلى نَفْرَةِ نفسِكَ عنه واستحقارِك لصاحبِهِ واستقباحِكَ له، وكذلك فافعلْ في جميعِ عيوبِ نفسِكَ فإنك لا تدري قُبْحَ عيوبِكَ من نفسِكَ بل من غيرِكَ؛ فما اَسْتَقْبَحْتَهُ من غيرِكَ يستقبحُهُ غيرُكَ منك لا مَحَالَةَ..............

يهدي إلى البرّ والبرُّ يهدي إلى الجنةِ وما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ ويتحرى الصِّدْقَ حتى يُكتبَ عندَ اللهِ صِدِّيقًا وإياكُمْ والكذِبَ فإن الكذبَ يهدي إلى الفُجُورِ وإن الفُجُورَ يهدي إلى النارِ وما يزالُ العبدُ يكذبُ ويتحرى الكذبَ حتى يُكتبَ عندَ اللهِ كَذَّابًا»(٣٣٨) (ثم إنك إذا عُرِفْتَ) بين الناس (بذلك) أي الكذب (سقطت عدالتك) فلا تقبل شهادتك (والثقة بقولك) أي وسقط الائتمان بقولك (وتزدريك الأعين) أي ما تعدُّك شيئًا (وتحتقرك) وهذا عطف تفسير (وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر إلى كذب غيرك وإلى نفرة) أي إعراض (نفسك عنه واستحقارك لصاحبه) أي الكذب (واستقباحك له) وفي نسخة: «لما جاء به» أي من الكذب (وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك فإنك لا تدري قبح عيوبك من نفسك بل) إنك تدري ذلك من غيرك فما استقبحته (من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة) أي لابد.

واعلم أن الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يمكن بالصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا؛ فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذب بإخفائه وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة وسأل عنها ظالم يريد

---

(٣٣٨) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧) عن عبدالله بن مسعود.

. . . فلا تَرْضَ لنفسِكَ ذلك.

الثاني: الخُلْفُ في الوعِد؛ فإياك أن تَعِدَ بشيءٍ ولا تَفي به بل ينبغي أن يكونَ إحسانُكَ إلى الناسِ فعلاً بلا قولٍ؛ فإن اضْطُرِرْتَ إلى الوعدِ فإياك أن تُخلِفَ إلا لِعَجْزٍ أو ضرورةٍ فإن ذلك من أماراتِ النفاقِ وخبائثِ الأخلاقِ؛ قال النبيُّ ﷺ: **«ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فهو منافقٌ وإن صام وصلّى. . . . .**

أخذها وجب عليه الكذب بإخفائها حتى لو أخبره بوديعة عنده فأخذها ظالم قهرًا وجب ضمانها على المودع المخبر ولو استحلفه عليها لزمه أن يحلف ويوري في يمينه فإن حلف ولم يور حنث على الأصح ولزمته الكفارة، وقيل: لا يحنث، وكذلك لو كان المقصود تسكين حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية ولا يحصل إلا بكذب فالكذب ليس بحرام إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة؛ فيكون الكذب حرامًا في الأصل إلا لضرورة بأن لم يحصل الغرض إلا بالكذب، والاحتياط في هذا كله أن يوري، ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبة إليه وإن كان كاذبًا في ظاهر اللفظ، ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الموضع كذا في «الأذكار» و«الإحياء» (فلا ترض لنفسك ذلك) أي ما تقدم ذكره (الثاني: الخلف في الوعد فإياك أن تعد بشيء ولا تفي به بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى الناس فعلًا بلا قول؛ فإن اضطررت إلى الوعد فإياك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة فإن ذلك) أي الإخلاف من غير ضرورة (من أمارات النفاق وخبائث الأخلاق قال النبي ﷺ: **«ثلاث من كن)** أي اجتمعن **(فيه فهو منافق)** أي حاله يشبه حال المنافقين **(وإن صام)** أي رمضان **(وصلى)** الصلاة المفروضة، وزاد بعد ذلك في رواية أبي يعلى[٣٣٩]

---

(٣٣٩) مسند أبي يعلى (٧/ ١٣٦) (٤٠٩٨) عن أنس بن مالك.

. . .مَنْ إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا اؤْتُمِنَ خانَ».

الثالث: الغِيبةُ؛ فاحفظْ لسانَكَ عنها، والغيبةُ أشدُّ من ثلاثين زَنْيَةً في الإسلامِ. . . . .

ورسته[٣٤٠] بضم الراء «وحج واعتمر وقال إني مسلم» (من إذا حدث كذب) أي في حديثه (وإذا وعد أخلف) أي ما وعد به من غير عذر (وإذا اؤتمن خان)[٣٤١] فيما جعل أمينًا عليه.

وقال العزيزي: والكلام فيمن صارت هذه الصفات دَيْدَنه وشعاره لا ينفك عنها، وروى الشيخان عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خَصْلَةٌ منهن كانت فيه خَصْلَةٌ من النِّفاقِ حتى يَدَعَها: إذا اؤتُمن خانَ وإذا حدَّثَ كَذَبَ وإذا عاهدَ غَدَرَ وإذا خاصم فَجَرَ»[٣٤٢] أي مال في الخصومة عن الحق واقتحم الباطل، والمراد بالنفاق العمل لا الإيمان أو النفاق العرفي لا الشرعي لأن الخلوص بهذين المعنيين لا يستلزم الكفر المُلْقي في الدرك الأسفل من النار كذا أفاده العزيزي (الثالث: الغيبة فاحفظ لسانك عنها) أي وعن السكوت عليها رضًا وتقريرًا.

(والغيبة أشد من ثلاثين زنية) بفتح الزاي وهي المرة من الزنا (في الإسلام

---

(٣٤٠) عبد الرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير الزهري أبو الحسن الأصبهاني الأزرق المعروف برسته، روى عن أبي هدبة وابن عيينة وأبي داود الطيالسي ويحيى القطان وابن مهدي وجماعة. قال أحمد: ما ذهبت إلى ابن مهدي إلا وجدته عنده. وقال أبو حاتم الرازي: صدوق. وقال أبو الشيخ: يقال: كان عنده عن ابن مهدي ثلاثون ألف حديث. وقال أبو الشيخ: مات سنة ٢٤٦هـ ويقال سنة ٢٥٠هـ (تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/ ٢١٣).

(٣٤١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٣٦) (١٠٩٣٨) عن أبي هريرة والحسن.

(٣٤٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب: علامة المنافق (٣٤) وكتاب المظالم والغصب باب: إذا خاصم فجر (٢٤٥٩)، ومسلم في كتاب الإيمان باب: بيان خصال المنافق (٥٨).

...كذلك ورد في الخبرِ. ومعنى الغيبةِ أن تَذْكُرَ إنسانًا بما يكرهُهُ لو سَمِعَهُ فأنت مُغْتابٌ ظالمٌ وإن كنتَ صادقًا، وإياك وغيبة القُرَّاءِ المُرائينَ وهو أن تُفْهِمَ المقصودَ من غيرِ تصريحٍ فتقولَ: «أصلحه اللهُ فقد ساءني وغمَّني ما جرى عليه فنسأل اللهَ تعالى أن يُصْلِحَنا وإياه» فإن هذا جمعٌ بين خَبيثَيْنِ: أحدهما: الغيبة؛ إذ حصلَ به التفهُّمُ والآخَرُ: تزكيةُ النفسِ والثناءُ عليها بالتحرُّجِ

كذلك ورد في الخبر[٣٤٣]، ومعنى الغيبة أن تذكر إنسانًا بما يكرهه لو سمعه) سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يديك أو رأسك، وضابط الغيبة كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم في بدنه أو نسبه أو خلقه أو في فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته (فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقًا) أي في ذكرك ذلك كما قال ﷺ: **«إن كان فيه ما تقولُ فقد اغْتَبْتَهُ وإن لم يكن فيه ما تقولُ فقد بَهَتَّهُ»**[٣٤٤] رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم (وإياك) أي احذر تلاقيك (وغيبة القراء المرائين) وهو أخبث أنواع الغيبة (وهو أن تفهم المقصود) بطريق الصالحين إظهارًا من نفسك للتعفف عن الغيبة (من غير تصريح) بل بتعريض لشخص معين إما حي وإما ميت تعريضًا يُفهم به كما يفهم بالتصريح (فتقول) إذا قيل لك مثلاً: كيف حال فلان؟ (أصلحه الله فقد ساءني) أي أحزنني (وغمني ما جرى عليه) أي من الدخول على السلطان مثلاً أو من التبذل في طلب الحطام أو من قلة الحياء (فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه فإن هذا) أي القول (جمع بين خبيثين أحدهما الغيبة إذ حصل به) أي بهذا القول (التفهم) أما إذا لم يفهم عين الشخص جاز القول، وكان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئًا قال: **«ما بالُ أقوام يفعلون كذا وكذا»** فكان لا يعين.

(والآخر تزكية النفس) أي مدحها (والثناء عليها بالتحرج) أي بحكمك على

---

(٣٤٣) لم أعثر عليه.

(٣٤٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب: تحريم الغيبة (٢٥٨٩) وأبو=

والصلاحِ، ولكن إن كان مقصودُكَ من قولك: «أصلحه اللهُ تعالى» الدَعاءَ فادْعُ لَه في السرِّ وإن اغْتَمَمْتَ بسببِهِ فعلامتُهُ أنك لا تريد فضيحتَهُ وإظهارَ عيبه، وفي إظهارِكَ الغَمَّ بعيبه إظهارُ تعييبه، ويكفيك زاجرًا عن الغيبةِ قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرات: الآية ١٢]، فقد شبَّهك اللهُ بآكلِ لحمِ المَيْتَةِ..........................

الغير بالإثم (والصلاح) أي لنفسك فتذكر نفسك ومقصودك أن تذم غيرك في ضمن ذلك وتمدح نفسك بالصلاح في ذم غيرك فتجمع بين خبيثين الغيبة وتزكية النفس بل أربعة وهي أيضًا الرياء وظن صلاح نفسك فأنت ترائي وتظن بجهلك أنك من الصالحين المتعففين عن الغيبة، ومنشأ ذلك الجهل فإن من تعبد على جهل لعب به الشيطان، ومن ذلك أنه يذكر عيب إنسان يذكر الله تعالى ويستعمل اسمه تعالى آلة له في تحقيق خبثه، وأيضًا أنك تكون كاذبًا في دعوى الحزن والاهتمام وفي إظهار الدعاء (ولكن إن كان مقصودك من قولك. «أصلحه الله تعالى» الدعاء) لذلك الشخص (فادع له في السر) عقب صلاتك (وإن اغتممت بسببه) أي ذلك الشخص (فعلامته) أي الاغتمام (أنك لا تريد فضيحته) أي كشف مساويه (وإظهار عيبه) وهذا عطف تفسير بل تكره ذلك (وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار تعييبه) أي إظهار نسبته إلى العيب (ويكفيك زاجرًا عن الغيبة) «زاجرًا» تمييز (قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾) قال الشربيني أي ولا يتعمد أن يذكر بعضكم بعضًا أي في غيبته بما يكره (﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرات: الآية ١٢]) أي الأكل أو اللحم أو الميت (فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة) ففي هذا التشبيه إشارة إلى أن عِرْض الإنسان كدمه ولحمه لأن

=داود في كتاب الأدب باب: في الغيبة (٤٨٧٤)، والترمذي في كتاب البر والصلة باب: ما جاء في الغيبة (١٩٣٤) والنسائي في السنن الكبرى (٦/٤٦٧) (١١٥١٨) كلهم عن أبي هريرة.

. . .فما أجدرَكَ أن تحترزَ منها، ويمنعُك عن غِيبةِ المُسلمين أمرٌ لو تفكرتَ فيه، وهو أن تنظرَ في نفسِكَ هل فيك عيبٌ ظاهرٌ أو باطنٌ وهل أنت مقارِفٌ معصيةً سرًّا أو جهرًا فإذا عرفتَ ذلك من نفسك فاعلمْ أن عَجْزَهُ عن التنزُّهِ عما نَسَبْتَهُ إليه كعَجْزِكَ وعُذْرَهُ كعُذْرِكَ وكما تكْرهُ أن تُفْتضحَ وتُذْكرَ عيوبُكَ فهو أيضًا يكرهُهُ؛ فإن سترْتَه. . . . . . .

الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم (فما أجدرك) أي فأنت حقيق (أن تحترز منها) أي الغيبة (ويمنعك عن غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه) لأنصفت (وهو أن تنظر في نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن وهل أنت مقارف) أي فاعل (معصية سرًّا أو جهرًا فإذا عرفت ذلك) أي العيب والمعصية (من نفسك فاعلم أن عجزه) أي الشخص الذي اغتبته (عن التنزه) أي التباعد (عما) أي عن شيء (نسبته إليه) أي ذلك الشخص (كعجزك) عن ذلك (وعذره) أي كثرة عيوبه وذنوبه (كعذرك) أي ككثرة عيوبك وذنوبك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك»[(٣٤٥)]، وقال أبو هريرة: «يبصر أحدُكم القَذَى في عين أخيه ولا يبصر الجِذْع في عين نفسه»[(٣٤٦)] (وكما تكره) أنت (أن تفتضح) أي تكشف مساويك (وتذكر عيوبك) بحضرة غيرك (فهو) أي الشخص المغتاب (أيضًا يكرهه) أي الفضيحة وذكر العيوب (فإن سترته) أي ذلك

---

(٣٤٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣١١) (٦٧٥٨).

(٣٤٦) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٦) (٦١٠)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٧٣) (٥٧٦١) عن أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٠٧) (٥٩٢) موقوفًا على أبي هريرة. قال في فيض القدير (٦/ ٤٥٦): القذى جمع قذاة، وهي ما يقع في العين والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ، والجذع واحد جذوع النخل؛ كأن الإنسان لنقصه وحب نفسه يتوفر على تدقيق النظر في عيب أخيه فيدركه مع خفائه فيعمى به عن عيب في نفسه ظاهر لا خفاء به، مَثَلٌ ضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلى القذاة، وذلك من أقبح القبائح وأفضح الفضائح.

. . .سترَ اللهُ عليك عيوبَك وإن فضحتَه سلطَ اللهُ عليك ألسنةً حِدادًا يُمزقون عِرْضَك في الدنيا ثم يفضحُك اللهُ في الآخرةِ على رءوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، وإن نظرتَ إلى ظاهرِك وباطِنك فلم تَطَّلِعْ فيهما على عيبٍ ونقصٍ في دِينٍ ولا دنيا فاعلمْ أن جهلَك بعيوبِ نفسِك أقبحُ أنواعِ الحماقةِ ولا عَيْبَ أعظمُ من الحُمْقِ، ولو أراد اللهُ بك خيرًا لَبَصَّرَكَ بعيوبِ نفسِك؛ فرؤيتُك نفسَك بعينِ الرِّضا غايةُ غباوتِك وجهلِك. ثم إن كنتَ. . . . .

الشخص (ستر الله عليك عيوبك وإن فضيحه سلط الله عليك ألسنة حدادًا) بكسر الحاء (يمزقون عرضك) بكسر العين (في الدنيا ثم يفضحك الله في الآخرة على رءوس الخلائق يوم القيامة وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا) بضم الدال وكسرها (فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة) أي الفساد في العقل (ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك) الباء بمعنى اللام كما في بعض النسخ: «لك» باللام (خيرًا لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك) أي قلة فطنتك (وجهلك) وأكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه.

طريق معرفة عيوب النفس

فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق: الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويتبع إشارته في مجاهدته. الثاني: أن يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا فينصبه رقيبًا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه. الثالث: أن يستفيد معرفة نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساوي إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل قوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه. الرابع: أن يخالط الناس فكل ما رآه مذمومًا فيما بين الخلق فليطالب نفسه به فإن المؤمن مرآة المؤمن. (ثم إن كنت

...صادقًا في ظَنّك فاشْكُرِ اللهَ تعالى عليه ولا تُفْسِدْهُ بِثَلْبِ الناسِ والتمضمُضِ بأعراضِهِمْ فإن ذلك من أعظمِ العُيُوبِ.

صادقًا في ظنك) أنك لم تنقص في دينك ودنياك (فاشكر الله تعالى عليه) أي على كمالك في دين ودنيا (ولا تفسده) أي الدين والدنيا (بثلب الناس) أي بلومهم وتعييبهم وهو بالثاء المثلثة فاللام (والتمضمض) أي التصوت (بأعراضهم) أي بشتم نفوسهم، وهذا عطف مرادف (فإن ذلك من أعظم العيوب) وقال عمر رضي الله عنه : «عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم والغيبة وذكر الناس فإنه داء»(٣٤٧) . واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوئ إنسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به قال الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: الآية ١٢]، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والظَّنَّ فإن الظنَّ أكْذَبُ الحديثِ»**(٣٤٨) والمراد بالظن جزم القلب بسببه على غيرك بالسوء؛ فأما الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء لأنه لا اختيار له في وقوعه ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، وهو المراد بقول رسول الله ﷺ: **«إن اللهَ تعالى تجاوَزَ لأمتي ما حدَّثتْ به أنفُسَها ما لم تتكلمْ به أو تعملْ»**(٣٤٩) . قال العلماء: والمراد بذلك الخواطر التي لا تستقر سواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفرًا أو غيره؛ فمن خطر له الكفر مجرد خطور من غير تعمد لتحصيله ثم صرفه في الحال فليس بكافر ولا شيء عليه، وسبب العفو تعذر اجتنابه، وإنما الممكن اجتناب الاستمرار عليه فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب

---

(٣٤٧) أخرجه هناد في الزهد (٢/ ٥٣٧) (١١١٠).

(٣٤٨) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب : لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٤) ومواضع أخرى، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش (٢٥٦٣) عن أبي هريرة.

(٣٤٩) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب: إذا حنث ناسيًا في الأيمان (٦٦٦٤) ومسلم في كتاب الإيمان باب: يتجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب (١٢٧) عن أبي هريرة.

الرابع: المِراءُ والجِدالُ ومُناقشةُ الناسِ في الكلامِ؛ فذلك فيه إيذاءٌ للمخاطَبِ وتجهيلٌ له وطَعْنٌ فيه، وفيه ثناءٌ على النفسِ وتزكيةٌ لها بمزيد الفِطْنَةِ والعلمِ، ثم هو مُشوِّش للعيشِ فإنك لا تُماري سفيهًا إلا ويؤذيك، ولا تماري حليمًا إلا ويَقْليك ويحقدُ عليك؛ فقد قال ﷺ: «من تَرَكَ المِراءَ وهو مُبْطِلٌ بَنَى اللهُ له بيتًا في رَبَضِ الجنةِ، ومن

حرامًا، ومهما عرض لك هذا الخاطر بالغيبة وغيرها من المعاصي وجب عليك دفعه بالإعراض عنه وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره كذا في «أذكار النووي».

(الرابع) من الثمانية (المراء والجدال) هذا من عطف الأعم على الأخص؛ لأن المراء هو الطعن في القول والتزييف له والتصغير لقائله، وليس في ذلك غرض سوى ذلك، ولا يكون المراء إلا اعتراضًا على كلام سبق بخلاف الجدال فإنه يكون ابتداء واعتراضًا ويتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها (ومناقشة الناس في الكلام) أي الاستقصاء في الكلام مع الناس وهذا هو المسمى بالخصومة؛ فإنه لجاج في الكلام ليُستوفَى به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضًا (فذلك) أي المذكور (فيه إيذاء) أي إيصال المكروه (للمخاطب وتجهيل له وطعن) أي قدح (فيه) أي المخاطب، وفي الحديث **«لا يكونُ المؤمنُ طَعَّانًا»**(٣٥٠) أي في أعراض الناس (وفيه) أي المذكور (ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة) بكسر الفاء (والعلم ثم هو مشوش) أي مكدر (للعيش فإنك لا تماري سفيهًا) أي غير حليم (إلا ويؤذيك ولا تماري حليمًا) أي متأنيًا في الأمر (إلا ويقليك) أي يبغضك (ويحقد عليك) أي يمسك عداوتك في قلبه ويتربص لفرصتها، ومن بدأ بالخصومة فقد شوَّش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه (فقد قال ﷺ: **«من ترك المراء وهو مبطل)** أي مدع بطلانه **(بنى الله له بيتًا في ربض الجنة)** أي فيما حولها، والربض هو بفتح الراء والباء الموحدة **(ومن ترك**

---

(٣٥٠) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب: ما جاء في اللعن والطعن (٢٠١٩) عن ابن عمر.

ترك المِراءَ وهو مُحِقٌّ بَنَى اللهُ له بيتًا في أعلى الجنةِ» ولا ينبغي أن يخدعَك الشيطانُ ويقول لك: أَظْهِرِ الحقَّ ولا تُداهنْ فيه فإن الشيطانَ أبدًا يَسْتَجِرُّ الحَمْقَى إلى الشرِّ في مَعْرِضِ الخيرِ؛ فلا تكُنْ ضُحَكَةً للشيطانِ فيسخرَ منك؛ فإظهارُ الحقِّ حَسَنٌ مع من يقبلُهُ منك، وذلك بطريق النصيحةِ في الخُفْيةِ لا بطريقِ المماراةِ.

المراء وهو محق) أي مدع أنه على الحق (**بنى الله له بيتًا في أعلى الجنة**»)[٣٥١] أي لشدة ذلك على النفس ومحل جواز ترك المراء إذا لم يلزم على ذلك ضياع الحق الواجب وظهور المفسدة وفي رواية لأبي داود والترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ ترك المِراءَ وهو مُبْطِلٌ بني له بيتٌ في رَبَضِ الجنةِ ومن تركه وهو محقٌّ بُني له بيتٌ في وَسَطِها ومن حَسَّنَ خُلُقَهُ بُني له بيتٌ في أعلاها**»[٣٥٢] (ولا ينبغي) أي لا يليق (أن يخدعك الشيطان ويقول لك: أظهر الحق ولا تداهن) أي لا تَلِنْ (فيه) أي الحق (فإن الشيطان) الفاء للتعليل (أبدًا يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير) أي في مسلكه (فلا تكن ضحكة) بضم ففتح كثير الضحك (للشيطان فيسخر منك) وفي بعض النسخ: «بك» (فإظهار الحق حسن مع من يقبله منك وذلك) أي كون إظهار الحق حسنًا (بطريق النصيحة في الخفية لا بطريق المماراة) قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنةِ غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنِها وباطنُها من ظاهرِها أعدَّها اللهُ تعالى لمن أَطْعَمَ الطعامَ وألَانَ الكلامَ**»[٣٥٣]، وقال أيضًا: «**الكلمةُ الطيبةُ صَدَقَةٌ**»[٣٥٤].

---

(٣٥١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ.

(٣٥٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب: في حسن الخلق (٤٨٠٠) مع اختلاف، والترمذي في كتاب البر والصلة باب: ما جاء في المراء (١٩٩٣) عن أنس بن مالك، مع اختلاف أيضًا.

(٣٥٣) أخرجه بلفظه أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٣) (٢٢٩٥٦) عن أبي مالك الأشعري، وتتمة الحديث: «**وتابع الصيام وصلى والناس نيام**».

(٣٥٤) أخرجه بلفظه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٧٤) (٨٨٥٦) ، وابن حبان في=

وللنصيحةِ صفةٌ وهيئةٌ ويُحتاجُ فيه إلى تلطُّف وإلا صارت فضيحةً، وكان فسادُها أكثرَ من صلاحِها ومَنْ خالطَ متفقِّهةَ العصرِ غلبَ على طبعِه المراءُ والجدالُ وعَسُرَ عليه الصمتُ إذ ألقى إليه علماءُ السُّوءِ أن ذلك هو الفضلُ، والقدرةُ على المحاجَّةِ والمناقشةِ هو الذي يُمْتدحُ به فَفِرَّ منهم فِرارَكَ من الأسدِ، واعلمْ أن المِراءَ سببُ المَقْتِ عند اللهِ وعندَ الخلقِ.

(وللنصيحة صفة وهيئة) كتليين الكلام وخفية المكان (ويحتاج فيها) أي النصيحة (إلى تلطف) أي ترفق في الحال والمقال (وإلا صارت فضيحة) أي كشف عيب (وكان فسادها) أي الفضيحة (أكثر من صلاحها ومن خالط متفقهة العصر) أي من عاشر المتفقهة في هذا الزمان (غلب) أي كثر (على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت إذ ألقى إليه) أي لأنه علَّمه (علماء السوء أن ذلك) أي المراء والجدال (هو الفضل) أي الخير (و) أن (القدرة على المحاجة) أي المغالبة في الحجة (والمناقشة) أي استقصاء الكشف في الشيء (هو الذي يمتدح به ففر منهم) أي علماء السوء (فرارك من الأسد واعلم أن المراء سبب المقت) أي البغض (عند الله وعند الخلق) قال عليه الصلاة والسلام: «**ذَرُوا المِراءَ فإنه لا تُفهمُ حكمتُه ولا تُؤْمَنُ فتنتُه**»[٣٥٥] وقال أيضًا: «**لا يستكملُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتى يَدَعَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا**»[٣٥٦]، وقال مسلم بن يسار[٣٥٧]: «إياكم والمراء

=صحيحه (٢/ ٢١٩) وغيرهما عن أبي هريرة.

(٣٥٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٢٥) موقوفًا على عمر، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٩/ ١٥٥٢): أخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله: «لا تفهم حكمته»، ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفًا على ابن مسعود.

(٣٥٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣١٧) (٥٢٤٤) موقوفًا على علي، ولفظه كاملًا: «**لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق وحتى يدع الكذب في الممازحة ولو شاء لغلب**».

(٣٥٧) مسلم بن يسار البصري نزيل مكة أبو عبد الله الفقيه ويقال له: مسلم شكرة=

الخامس: تزكيةُ النفسِ فقد قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٣٢] ، وقيل لبعض الحكماء: ما الصدقُ القبيحُ؟ فقال: ثناءُ المرءِ على نفسه؛ فإياك أن تتعودَ ذلك.

فإنه ساعةُ جهلِ العالم وعندها يبغي الشيطانُ زَلَّتَهُ»(٣٥٨) وقال أبو الدرداء: «كفى بك إثمًا أن لا تزالَ مُماريًا»(٣٥٩)، وقال عمر رضي الله عنه: «لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث: لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به، ولا تتركه حياءً من طلبه ولا زَهادةً فيه ولا رضًا بالجهل به».

(الخامس تزكية النفس) أي مدحها بالطهارة عن الدناءة على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن لأن التحدث بها شكرها، وإنما جاز إذا قصد به الشكر وأن يقتدي به غيره وأمِن على نفسه الفتنة والستر أفضل كذا أفاده الشربيني (فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بأن يثني الإنسان على نفسه ﴿هُوَ﴾ أي الله تعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم ومن جميع الخلق ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٣٢] أي فإنه يعلم المتقي وغيره منكم قبل أن يُخرجكم من صلب أبيكم آدم عليه السلام (وقيل لبعض الحكماء) أي الواضعين الشيء في محله وهم الأولياء الصالحون، وليس المراد بالحكماء هنا الأطباء بل المراد بهم أطباء القلوب (ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه) وهو من علامات كونه محجوبًا عن الله تعالى كما نقله الشربيني عن القشيري(٣٦٠) (فإياك) أي احذر (أن تتعود ذلك) أي أن تصير تزكية النفس عادة لك

=ومسلم المصبح، ثقة عابد من الرابعة مات سنة مائة أو بعدها بقليل. (اهـ تقريب التهذيب ١/ ٥٣١).

(٣٥٨) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٢٠) (٣٩٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٩٤).

(٣٥٩) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٠٠) (٢٩٣).

(٣٦٠) عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك، الأستاذ أبو القاسم القشيري النيسابوري، أحد العلماء بالشريعة والحقيقة، أخذ الطريقة عن الشيخ أبي علي الدقاق وأبي عبد الرحمن السلمي، ودرس الفقه على أبي بكر الطوسي وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي، قال ابن خلكان: صنف أبو القاسم التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير، وصنف الرسالة في رجال الطريقة،=

واعلم أن ذلك يُنقص من قَدْرِك عند الناسِ ويُوجبُ مَقْتَك عند اللهِ تعالى فإذا أردتَ أن تعرفَ أن ثناءَك على نفسِك لا يَزيدُ في قَدْرِك عند غيرِك فانظرْ إلى أقرانِك إذا أَثْنَوْا على أنفسِهم بالفضلِ والجاهِ والمالِ كيف يستنكرُهُ قلبُك عليهم ويستثقِلُهُ طَبْعُك وكيف تَذُمُّهم عليه إذا فارقْتَهمْ فاعلمْ أنهم أيضًا في حالِ تزكيتِك لنفسِك يذمُّونَك في قلوبِهِم ناجِزًا وسَيُظهِرونَهُ بألسِنَتِهِمْ إذا فارقْتَهُمْ.

(واعلم أن ذلك) أي تزكية النفس (ينقص من قدرك) أي قيمتك (عند الناس ويوجب مقتك) أي بغضك (عند الله تعالى فإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك) بل ينقصه عنده (فانظر إلى أقرانك) جمع قرن وهم أهل زمان واحد (إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل) عند غيرهم (والجاه) أي المنزلة والمال وبالبركة والطهارة عن الدناءة (كيف يستنكره) أي الثناء (قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه) أي الثناء (إذا فارقتهم) من ذلك المجلس، وإذا كان الأمر كذلك (فاعلم أنهم) أي الأقران (أيضًا في حال تزكيتك نفسك يذمونك في قلوبهم ناجزًا) أي حاضرًا (وسيظهرونه) أي الذم عليك (بألسنتهم إذا فارقتهم) فإن المؤمن مرآة المؤمنين فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه لأن الطباع متقاربة في اتباع الهوى، وناهيك بهذا تأديبًا؛ فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب؛ قال النووي: اعلم أن ذكر المرء محاسن نفسه ضربان: مذموم ومحبوب؛ فالمذموم أن يذكره للافتخار وإظهار الارتفاع والتميز على الأقران وشبه ذلك، والمحبوب أن يكون فيه مصلحة دينية وذلك بأن يكون آمرًا بمعروف أو ناهيًا عن منكر أو ناصحًا أو مشيرًا بمصلحة أو معلمًا أو مؤدبًا أو واعظًا أو مذكرًا أو مصلحًا بين اثنين أو يدفع عن نفسه شرًا أو نحو ذلك فيذكر محاسنه ناويًا بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله واعتماد ما يذكره أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به أو نحو ذلك.

=ومصنفات أخرى، ولد في سنة ٣٧٦، وتوفي في سنة ٤٦٥هـ (اهـ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٤).

السادس: اللَّعْنُ؛ فإياك أن تلعنَ شيئًا مما خلقَ اللهُ تعالى من حيوانٍ أو طعامٍ أو إنسانٍ بعينِه ولا تقطعْ بشهادتِك على أحدٍ من أهلِ القِبْلَةِ بشركٍ أو كفرٍ أو نفاقٍ فإن المُطَّلِعَ على السرائرِ هو اللهُ تعالى فلا تدخلْ بين العبادِ وبين اللهِ تعالى. واعلمْ أنك يومَ القيامةِ لا يُقال لك: لِمَ لَمْ تلعنْ فلانًا وَلِمَ سَكَتَّ عنه؟! بل لو لمْ تلعنْ إبليسَ طُولَ عُمْرِك ولم تَشْغَلْ لسانَك بذكره لم تُسألْ عنه ولم تُطالَبْ به يـومَ القيـامةِ، وإذا لَعَنْتَ أحدًا من . . . .

(السادس) من الثمانية (اللعن) وهو الإبعاد عن رحمة الله تعالى (فإياك) أي احذر (أن تلعن شيئًا مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو إنسان بعينه) ولو كافرًا كقولك: زيد لعنه الله وهو يهودي مثلًا فذلك خطر لأنه ربما يُسْلم فيموت مقربًا عند الله تعالى، أما اللعن بالوصف الأعم فيجوز كقوله: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصوِّرين ونحو ذلك (ولا تقطع) أي لا تجزم (بشهادتك على أحد من أهل القبلة) أي المسلمين (بشرك أو كفر أو نفاق) فإن ذلك أمر صعب جدًّا (فإن المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى) قال ﷺ: **«ما شَهِدَ رجلٌ على رجلٍ بالكفرِ إلا باءَ به أحدُهما إن كان كافرًا فهو كما قال وإن لم يكن كافرًا فقد كَفَرَ بتكفيرِه إياه»**[٣٦١] فإن قيل: هل يجوز لعن اليزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلًا فلا يجوز أن يقال: إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلًا عن اللعنة لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، نعم يجوز أن يقال: قتل ابنُ ملجم عليًا وقتل أبو لؤلؤة عمر فإن ذلك ثبت متواترًا كما في «الإحياء» (واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك لِمَ لمْ تلعن فلانًا ولم سكت عنه بل لو لم تلعن إبليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره) أي إبليس (لم تسأل عنه ولم تطالب به يوم القيامة) وليس في السكوت خطر (وإذا لعنت أحدًا من

---

(٣٦١) أخرجه بهذا اللفظ الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤/ ١٠٧) (٦٣٣٧)=

. . .خَلْقِ اللهِ تعالى طُولِبْتَ به. ولا تَذُمَّنَّ شيئًا مما خلقَ اللهُ تعالى، فقد كان النبيُّ ﷺ لا يَذُمُّ الطعامَ الرديءَ قَطُّ بل كان إذا اشتهى شيئًا أكله وإلا تركه.

السابع: الدعاءُ على الخلقِ؛ فاحفظْ لسانَك عن الدعاءِ على أحدٍ من خلقِ اللهِ تعالى وإن ظلمَكَ فَكِلْ أمرَهُ إلى اللهِ تعالى؛ ففي الحديثِ: **«إن المظلومَ ليدعو على ظالِمِهِ حتى يُكافِئَهُ ثم يَبْقى للظالمِ فَضْلٌ عندَهُ** . . . .

خلق الله تعالى طولبت به) أي باللعن وسئلت عنه؛ فإذا لعنت ما لا يستحق اللعن فلتبادر بقولك: «إلا أن يكون لا يستحق» كذا في «أذكار النووي».

(ولا تذمن شيئًا مما خلق الله تعالى فقد كان النبي ﷺ لا يذم الطعام الرديء) أي الخسيس (قط) بضم الطاء مشددة (بل كان إذا اشتهى شيئًا) من الطعام (أكله وإلا تركه)[٣٦٢] من غير ذم، ومن الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة قوله لمن يخاصمه: يا حمار يا تيس يا كلب؛ فهذا قبيح لوجهين:

أحدهما أنه كذب، والآخر أنه إيذاء، وهذا بخلاف قوله: يا ظالم ونحوه؛ فإن ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه يصدق غالبًا فما من إنسان إلا وهو ظالم لنفسه ولغيره كذا في «أذكار النووي».

(السابع: الدعاء على الخلق) بالهلاك (فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وإن ظلمك) أي أحد (فَكِلْ) أي فوّض (أمره) أي الظالم (إلى الله تعالى) واكْتفِ به تعالى (ففي الحديث: **«إن المظلوم ليدعو على ظالمه**) بالهلاك **(حتى يكافئه)** أي يقابله في ثقل المظلمة **(ثم يبقى للظالم فضل)** أي زيادة **(عنده)**

=عن أبي سعيد ، وبنحوه أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤) (٥٠٣٥) عن ابن عمر.

(٣٦٢) أخرج البخاري في كتاب المناقب باب: صفة النبي ﷺ (٣٥٦٣) وكتاب الأطعمة باب: ما عاب النبي ﷺ طعامًا (٥٤٠٩)، ومسلم في كتاب الأشربة باب: لا يعيب الطعام (٢٠٦٤) عن أبي هريرة.

. . . **يطالبُه به يومَ القيامةِ»** وطوَّلَ بعضُ الناسِ لِسانَهُ على الحجَّاجِ فقال بعضُ السلف: إن الله لَيَنتقمُ لِلحَجَّاجِ ممن تعرَّض له بلسانه كما ينتقمُ من الحجاج لِمَنْ ظلمَهُ.

الثامن: المِزاحُ والسخريةُ والاستهزاءُ بالناسِ؛ . . . .

أي المظلوم (**يطالبه به**) أي يطلب الظالم من المظلوم ذلك الفضل (**يوم القيامة**»[٣٦٣] وطول بعض الناس لسانه على الحجاج) بن يوسف الثقفي وهو أمير عالم لكنه ظالم (**فقال بعض السلف**) الصالح وهو الإمام محمد بن سيرين إمام المعبِّرين نهيًا عن تطويل الكلام على الحجاج (إن الله لينتقم) أي ليعاقب (للحجاج) أي لأجله (ممن تعرض له) أي الحجاج (بلسانه) فقوله: «ممن» معمول «لينتقم» والضمير المجرور باللام يعود إليه كالضمير المستتر في «ظلم» (كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه) أي لأجل من ظلمه فإنه قتل وصلب سيدنا عبدالله بن الزبير وهو صحابي ثم لما قتل سعيد بن جبير أحد أكابر التابعين والعلماء العاملين لم يزل دمه يغلي حتى ملأ أثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره ولم يخمد في نفسه -ولم ير شيء أكثر دمًا من الإنسان- فلم يزل الحجاج بذلك فزعًا حتى منع منه النوم فيقول: «ما لي وما لك يا سعيد بن جبير» ستة أشهر ثم إن بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الأرض، وبقي بعد سعيد بن جبير ستة أشهر، ونُقل أن المسجونين قد وُجدوا بعد موته ثلاثة وثلاثين ألفًا من المظلومين، وقد أُحصي من قتله الحجاج صبرًا[٣٦٤] فوُجد مائة ألف وعشرين ألفًا كذا في «شرح الشفاء».

(الثامن) وهو يطلب تمام ما حفظ اللسان منه (المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس) والمراد بالمزاح هنا الهزل المذموم، ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحَك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة

---

(٣٦٣) لم أقف له على أصل.

(٣٦٤) صَبَرَهُ عنه يَصْبِرهُ حَبَسَهُ، وصَبْر الإنسان وغيره على القتل أن يُحبس ويُرمى حتى يموت (القاموس المحيط «فصل الصاد باب الراء»).

. . .فاحفظْ لسانَك منه في الجِدِّ والهَزْلِ فإنه يُريقُ ماء الوجهِ ويُسْقِطُ المهابةَ ويَسْتَجِرُّ الوَحْشَةَ ويُؤذي القلوبَ، وهو مبدأُ اللَّجاجِ والغضبِ والتصارُمِ ويغرسُ الحقدَ في القلوبِ فلا تُمازِحْ أحدًا فإن مازَحَك أحدٌ فلا تُجِبْهُ وأَعْرِضْ عنهم حتى يَخُوضوا في حديثٍ غيرِهِ وَكُنْ من الذين إذا مرُّوا باللغوِ مرُّوا كِرامًا؛. . . . . . .

بالفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزَأ به لم يُسَمَّ ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة (فاحفظ لسانك منه) أي المذكور من المزاح وما بعده (في الجد) بكسر الجيم (والهزل فإنه) أي المذكور (يريق ماء الوجه ويسقط المهابة) أي الإجلال والمخافة (ويستجر الوحشة) أي الهم والخوف والخلوة (ويؤذي القلوب) أي قلوب الأقران (وهو مبدأ اللجاج) أي الخصومة (والغضب والتصارم) أي التقاطع في الصحبة (ويغرس) بكسر الراء أي ينبت (الحقد) أي الاحتواء على العداوة (في القلوب فلا تمازح أحدًا) أبدًا (فإن مازحك أحد فلا تجبه) وفي بعض النسخ: «وإن مازحوك فلا تجبهم» (وأعرض) أي تولَّ (عنهم) أي الممازحين (حتى يخوضوا) أي يدخلوا (في حديث) أي خبر (غيره) أي المزاح (وكن من الذين إذا مروا باللغو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كرامًا) أي آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر إن تعلق بهم أمر أو نهي إشارة وعبارة على حسب ما يرونه نافعًا؛ فإن لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه، ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكف عما يستهجن التصريح به كذا في «السراج المنير» وقال عمر بن عبدالعزيز: «اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح، وتحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال»[٣٦٥] أي الصالحين.

---

(٣٦٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٣١٨) (٥٢٥٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٢٤٤) (٣٥٧١٦).

...فهذه مَجامِعُ آفاتِ اللسانِ ولا يُعينُك عليه إلا العُزْلَةُ أو ملازمةُ الصمتِ إلا بقدرِ الضرورة؛ فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضعُ حجرًا في فِيهِ ليمنَعَهُ ذلك من الكلامِ بغيرِ ضرورةٍ، ويشيرُ إلى لسانِهِ ويقولُ: «هذا الذي أَوْرَدَني المَوَارِدَ» فاحترزْ منه بِجَهْدِك فإنه أقوى أسبابِ هلاكِكَ في الدنيا والآخرةِ.

(فهذه) أي الثمانية المذكورة (مجامع آفات اللسان، ولا يعينك) أي لا يساعدك (عليه) أي اللسان (إلا العزلة) أي عن الناس (أو ملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة) أي الحاجة؛ قال ﷺ: «من سرَّه أن يَسْلَمَ فَلْيَلْزم الصَّمْتَ»[٣٦٦].

وفي الحكمة: «لسانك أسدك إن أطلقته فرسك وإن أمسكته حرسك» (فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضع حجرًا في فيه ليمنعه) أي أبا بكر (ذلك) أي الحجر (من الكلام بغير ضرورة) أي من غير ما ينفع في الدنيا والآخرة (ويشير إلى لسانه) وفي رواية: «يمسك لسانه» (ويقول) أي عند الإشارة (هذا) أي اللسان (الذي أوردني الموارد)[٣٦٧] أي أحضرني المحالّ؛ فلما مات رضي الله عنه رؤي في المنام فقيل له: ما الذي أوردك لسانك؟ قال: قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة. (فاحترز منه) أي آفات اللسان (بجهدك) بفتح الجيم أي طاقتك (فإنه) أي اللسان (أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة) وفي الحديث: «طُوبى لِمَنْ مَلَكَ لِسانَه ووَسِعَهُ بيتُهُ وبَكَى على خطيئتِه»[٣٦٨] وروي عن الأوزاعي أنه قال: «المؤمن يُقلُّ الكلامَ ويُكثر العملَ، والمنافقُ يُكثر الكلام ويُقلُّ

---

(٣٦٦) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٢٩٠) (٣٦٠٧)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٢٦٤) (١٩٣٤) وغيرهما عن أنس بن مالك، قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٧): وفيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، وهو متروك.

(٣٦٧) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/ ١٧) (٥) قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٢): ورجاله رجال موسى بن محمد بن حيان، وقد وثقه ابن حبان.

(٣٦٨) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢١) (٢٣٤٠)، والصغير (١/ ١٤٠) (٢١٢) وحسن إسناده، عن ثوبان مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

وأما البطنُ فاحفظْهُ من تناولِ الحرامِ والشُّبْهةِ، واحرصْ على طلبِ الحلالِ. . . . .

العملَ»[٣٦٩]، وقد قال أبو بكر بن خلف اللخمي نظمًا من بحر الطويل:

يموتُ الفتى من عَثْرةٍ من لسانِهِ
وليسَ يموتُ المرءُ من عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فيهِ ترمِي برأسِهِ
وعثرتُهُ بالرِّجْلِ تَبْرا على مَهْلِ

ما يجب حفظ البطن منه

(وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة) فالحرام المحض ما يكون به علم لك أو غالب ظن بكونه منهيًا عنه في الشرع، وإذا تساوت الأمارتان الدالتان على الحل والحرمة حتى تبقى شاكًا لا يكون لأحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة يشبه أنه حلال ويشبه أنه حرام فاشتبه أمره عليك كذا في «منهاج العابدين»، وقال إبراهيم الشبرخيتي[٣٧٠]: قد اختلفوا في الشبهة على أقوال؛ فقيل: هو ما اختلف فيه العلماء كالخيل فإنها محرمة عند مالك ومباحة عند غيره، وقيل: هو المكروه وبه قال الماوردي؛ لأنه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه، وقيل هو معاملة الإنسان من في ماله شبهة أو من خالط ماله حرام، وبه قال الخطابي، وقيل: هو ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف العرب هل هو مُضِرّ أم لا (واحرص) أي اجتهد (على طلب الحلال) فقد قال ﷺ: «**طلبُ الحلالِ فريضةٌ على كُلِّ مسلمٍ**»[٣٧١] رواه ابن مسعود، والحلال

---

(٣٦٩) أخرجه الفريابي في صفة المنافق (ص ٧٥) (٩٧).

(٣٧٠) إبراهيم بن مرعي بن عطية، برهان الدين الشبرخيتي، من أفاضل المالكية بمصر، توفي غريقًا في النيل وهو متوجه إلى رشيد سنة (١١٠٦هـ) من كتبه: شرح مختصر خليل، في الفروع المالكية، الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثًا النووية (اهـ الأعلام ١/ ٧٣، معجم المؤلفين ١/ ١١١).

(٣٧١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٧٤) من رواية ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**طلب الحلال فريضة بعد الفريضة**»، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٢) (٨٦١٠) من رواية أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**طلب**=

. . . فإذا وجدتَهُ فاحرص على أن تقتصرَ منه على ما دون الشِّبَعِ فإن الشبعَ يُقَسّي القلبَ ويُفسدُ الذِّهْنَ ويُبطلُ الحِفْظَ ويُثَقِّلُ الأعضاءَ

فسره الإمام مالك والشافعي بما لم يَرِدْ بتحريمه دليل، وأبو حنيفة بما دل دليل على حله، وتظهر ثمرة الخلاف في المسكوت عنه الذي جُهِل أصله فعند مالك والشافعي هو من الحلال إذ هو الأشبه بيسر الدين، وعند الحنفي هو من الحرام (فإذا وجدته) أي الحلال (فاحرص على أن تقتصر منه على ما دون الشبع).

مراتب الأكل وضرر الشبع

ومراتب الأكل سبعة: الأول: أن يأكل ما تحصل به الحياة فقط.

الثاني: أن يزيد على ذلك مقدار ما يحصل له به قوة على أداء الفرائض الخمس من قيام دون النوافل، وهذان واجبان، ومثلهما أكل ما يقويه على الصيام الواجب.

الثالث: أن يأكل ما تحصل له به قوة على صيام النفل وصلاة النافلة من قيام، وهذا مستحب.

الرابع: أن يأكل ما يقيم به صلبه للكسب والعمل، وهذا هو الشبع الشرعي.

الخامس: أن يملأ ثلث بطنه، وهو ستة أشبار؛ لأن مصران الإنسان طوله ثمانية عشر شبرًا، وهذا هو الشبع المعتاد، وهذا لا كراهة فيه إن أكل من طعام نفسه، وأما إن أكل على مائدة الغير فقال القرافي: إن ذلك حرام؛ فإن الزيادة على الشبع الشرعي لا تجوز إلا أن يعلم رضا الداعي بأكل الزائد فله أن يأكل ما شاء.

السادس: أن يأكل زيادة على قدر ثلث المصران، وهو مكروه وبه يحصل للإنسان الثقل والنوم، وعلى هذا القسم غالب عادة الناس.

السابع: أن يأكل زيادة على ذلك إلى أن يتضرر وهو البطنة، وهذا حرام كذا في «شرح المنظومة» لابن العماد (فإن الشبع) أي المعتاد (يقسي القلب) الفاء للتعليل (ويفسد الذهن) أي الفطنة (ويبطل الحفظ) أي التيقظ (ويثقل الأعضاء

=الحلال واجب على كل مسلم» قال الهيثمي: وإسناده حسن.

عن العبادةِ والعلمِ ويُقَوّي الشهواتِ وينصرُ جنودَ الشيطانِ، والشبعُ من الحلالِ مبدأُ كُلِّ شَرٍّ فكيفَ من الحرامِ؟! وطلبُ الحلالِ فريضةٌ على كُلِّ مسلمٍ، والعبادةُ والعلمُ مع أكلِ الحرامِ كالبناء على السِّرْجينِ؛ فإذا قَنِعْتَ في السنةِ بقميصٍ خَشِنٍ وفي اليومِ والليلةِ برغيفين من الخُشْكَارِ، . . . .

عن العبادة والعلم) أي الاشتغال بهما (ويقوي الشهوات) وهو اشتياق النفس إلى الشيء (وينصر جنود الشيطان) وهي عشرة: الظلم والخيانة والكفر وترك حفظ الأمانة والنميمة والنفاق والخديعة والشك في الواحد الخلّاق والمخالفة لما أمر به ذو الجلال والإكرام والتغافل عن سنة النبي ﷺ كذا أفاده الهمداني؛ قال لقمان لابنه: «يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة»، قال بعض الحكماء: «من كَثُر أكلُه كَثُر شُرْبُه ومن كَثُر شُرْبُه كَثُر نَوْمُه ومن كَثُر نَوْمُه كَثُر لَحْمُه ومن كَثُر لَحْمُه قسا قَلْبُه ومن قسا قلبُه غَرِقَ في الآثام» (والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام) قال الشعراني: فإنَّ أَكْلَ الحرام أو الشبهة يُظلم القلبَ ويحجُبُه عن دخول حضرة الله تعالى ويُخْلِق الثياب. (وطلب الحلال فريضة على كل مسلم) وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهمًا وأثقلها على الجوارح فعلًا إذ ظَنُّ الجهالِ أن الحلال مفقود وأن سبيل الوصول إليه مسدود، وهيهات هيهات فالحلال بَيِّن والحرام بَيِّن وبينهما أمور مشتبهات، ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلت الحالات كذا في «الإحياء».

(والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين) بكسر السين أي الزبل وقال إبراهيم بن أدهم: «طيِّب مطعمَك، وما عليك بعد ذلك أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليلَ»[٣٧٢] يعني نفلًا (فإذا قنعت) بكسر النون أي رضيت (في السنة بقميص خشن وفي اليوم والليلة برغيفين من الخشكار) أي الرديء من كل شيء

---

(٣٧٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣١).

. . .وتركت التلذُّذَ بأطْيبِ الأُدُمِ لم يُعْوِزْكَ من الحلالِ ما يَكفيك، والحلال كثير، وليس عليك أن تَتيقنَ بواطنَ الأمورِ بل عليكَ أن تحترزَ مما تَعلمُ أنه حرامٌ أو تظنُّ أنه حرامٌ ظنًّا حصلَ من علامةٍ ناجزةٍ مقرونةٍ بالمالِ، أما المعلومُ فظاهرٌ وأما المظنونُ

أو من شعير (وتركت التلذذ بأطيب الأدم) بضمتين جمع إدام ككتب وكتاب وهو ما يسيغ الطعام إلى الحلق كاللحم مثلاً فإنه إدام للخبز مثلاً (لم يعوزك) أي لم يعجزك (من الحلال ما يكفيك) أي من اللباس والقوت والإدام (والحلال كثير) فليس الأمر كما قال الجهال: لم يبق من الطيبات إلا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد أخبثته الأيدي العادِيَة وأفسدته المعاملات الفاسدة.

(وليس عليك أن تتيقن) وفي نسخة: «أن تنقب» أي تفتش (بواطن الأمور بل عليك) أي الزم (أن تحترز مما تعلم) أي تتيقن (أنه) أي هذا المال (حرام) وهو ما مُنع منه شرعًا إما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والخمر أو خفية كمُذَكّى المجوسي وإما لخلل في تحصيله كالربا والغصب والسرقة (أو تظن أنه) أي المال (حرام ظنًّا) غالبًا (حصل من علامة ناجزة) أي ظاهرة (مقرونة بالمال) وفي نسخة: «مقدرة بالمال» وهذا من الحرام المحض على ما حسنه الغزالي لأن غلبة الظن منا تجري مجرى العلم في كثير من الأحكام، وقيل: إن هذا من الشبهات لأنه لم يوجد منه يقين في الحرمة (أما) المال (المعلوم) أي المتيقن حرمته أو حله (فظاهر) أي متضح في الحرمة كالمذكور قريبًا ومنكشف في الحل كالمأخوذ من التراضي إما بعوض كالبيع والصداق والأجرة وإما بغير عوض كالهبة والصدقة والوصية، والمأخوذ كرهًا إما لسقوط عصمة المال كالغنائم وسائر أملاك الكفار الذين ليس لهم أمان وعهد وذمة فهذا حلال إذا أخرجوا منه الخمس وقسموه بين المستحقين بالعدل أو لاستحقاق الآخذ كالزكاة من الممتنعين والنفقات الواجبات؛ هذا كله مأخوذ من المالك، والمأخوذ من غير مالك كالأشياء المباحة التي لم يسبق عليها ملك لأحد كالاصطياد والاحتطاب والاحتشاش والاستقاء من الأنهار وإحياء الموات، وهذا كله مأخوذ بالاختيار، والمأخوذ بغير الاختيار كالإرث؛ فهذا كله حلال إذا روعيت شروط الشرع في تحصيله (وأما) المال (المظنون) في حرمته

بعلامةٍ فهو مالُ السلطانِ وعمالِهِ ومالُ مَنْ لا كَسْبَ له إلا من النياحةِ أو بيعِ الخمرِ أو الربا أو المزاميرِ وغيرِ ذلك من آلاتِ اللهوِ المحرَّمةِ؛ فإن مَنْ علمتَ أن أكثرَ مَالِهِ حرامٌ قطعًا فما تأخذُهُ من يدِهِ وإن أمكنَ أن يكونَ حلالًا نادرًا فهو حرام لأنه....

(بعلامة فهو مال السلطان و) مال (عماله) أي السلطان وهو جمع عامل وهو من يتولى على البلاد كالباشا والقائم مقامه؛ لعدم تيقن حرمته، واختلف العلماء في جوائزهم في هذا الزمان فقيل: يجوز لنا أخذها لعدم تيقن حرمتها وقيل: لا يحل لأن الأغلب في هذا الزمان على أموالهم الحرمة، وقيل: إن صِلاتهم تحل للغني والفقير إذا لم يتحقق أنها حرام وإنما التبعة على المعطي، وقيل: لا يحل من أموالهم شيء لغني ولا لفقير إذ هم موسومون بالظلم، والغالب على أموالهم الحرام، والحكم للغالب، وقيل: يحل ذلك للفقير فقط إلا أن يعلم أنه عين الغصب فليس له أن يأخذ مالًا إلا ليرده على مالكه، ولا حرج على الفقير أن يأخذ من أموال السلطان؛ لأنها إن كانت ملكه فلا ريب في حل أخذ الفقير وإن كانت من فيء عشر فللفقير فيه حق وكذلك لأهل العلم؛ قال علي بن أبي طالب: «من دخل الإسلام طائعًا وقرأ القرآن ظاهرًا فله في بيت مال المسلمين كل سنة مائة درهم إن لم يأخذها في الدنيا أخذها في الآخرة» وإذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذان حقهما قال العلماء: إذا كان المال مختلطًا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه أو غصبًا لا يمكن رده على صاحبه وذريته فلا مخلص للسلطان منه إلا بأن يتصدق به؛ فإذن للفقير أن يأخذ إلا عين الغصب والحرام فليس له أخذه، وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها إلا ببسط وتحقيق؛ هذا تلخيص ما في «منهاج العابدين» (ومال من لا كسب له إلا من النياحة) بكسر النون أي من أجرة البكاء على الميت.

(أو بيع الخمر) ونحوها من المحرمات (أو) من تحصيل (الربا أو) من لهو كـ(المزامير وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة فإن من علمت أن أكثر ماله) أي من لا كسب له إلا بتلك (حرام قطعًا) أي جزمًا بلا شك (فما تأخذه من يده وإن أمكن أن يكون) المأخوذ (حلالًا نادرًا) أي في النادر أي القليل (فهو حرام لأنه

. . .الغالبُ على الظنِ، ومن الحرامِ المحضِ ما يُؤكلُ من الأوقافِ من غيرِ شرطِ الواقفِ فَمَنْ لم يشتغلْ بالتفقُّهِ فما يأخذُهُ من المدارِسِ حرامٌ، ومن ارتكبَ معصيةً تُرَدُّ بها شَهَادَتُهُ فما يأخذُهُ باسمِ الصوفيةِ من وَقْفٍ أو غيرِهِ فهو حرامٌ، وقد ذكرنا مداخلَ الشبهاتِ والحلالِ والحرامِ في كتابِ. . . . .

الغالب على الظن) قال الشبرخيتي في «الفتوحات الوهبية» نقلًا عن «مختصر إحياء علوم الدين»: ومن جملة المتشابه أن يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام إلا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالإجماع ولا ينقلب بأداء المال في مقابلته من الحرام حرامًا بل غايته أنه لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقض الثمن فلا يحرم ما أكله (ومن الحرام المحض) أي الخالص الذي لا يخالطه حلال (ما يؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف) لقوله ﷺ: «المُسلمون عند شروطِهم»[٣٧٣] (فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس) أي من الأموال الموقوفة على من اشتغل بحال درس العلم (حرام) لأنه لم يستحق المأخوذ لأن الموقوف على مشتغل بالعلم يحمل على المشتغل بالفقه لأن العلم الشرعي ثلاثة: الفقه والحديث والتفسير (ومن ارتكب) أي أتى (معصية ترد بها الشهادة) كقتل وزنا وقذف وشهادة زور وكإصرار على صغيرة (فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره) كصدقة معينة على الصوفية (فهو حرام) لأنه لم يستحق ذلك لأن الصوفية هم الذين وقفوا مع الآداب الشرعية ظاهرًا وباطنًا.

(وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام) وأصنافها ودرجاتها (في كتاب

---

(٣٧٣) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧) (٢٣٠٩) عن أنس، وتتمة الحديث عنده: «ما وافق الحق من ذلك» والطبراني في الكبير (٤/ ٢٧٥) عن رافع بن خديج ، وتتمة الحديث عنده: «فيما أحل»، وأخرجه الترمذي وغيره في كتاب الأحكام باب: ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح (١٣٥٢) بلفظ: «المسلمون على شروطهم إلا شرطًا حرم حلالًا أو أحل حرامًا».

. . .مفرَدٍ من كتب «إحياء علوم الدين» فعليك بطلبِه فإن معرفةَ الحلالِ وطلبَهُ فريضةٌ على كُلِّ مسلمٍ كالصلواتِ الخمسِ.

وأما الفَرْجُ فاحفظْهُ عن كُلِّ ما حرَّمَ اللهُ تعالى وكُنْ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا

مفرد) وهو كتاب «الحلال والحرام» (من كتب «إحياء علوم الدين» فعليك بطلبه) أي الكتاب المفرد لكن تلخيصه مسطور في هذا الشرح (فإن معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس) لقوله ﷺ: «طلبُ الحلالِ واجبٌ على كُلِّ مسلمٍ» رواه الديلمي[٣٧٤] عن أنس أي طلب معرفة الحلال من الحرام واجب أو المعنى طلب الكسب الحلال واجب كذا نقل العزيزي عن المناوي، وقوله ﷺ: «طلبُ الحلالِ فريضةٌ بعد الفريضةِ» رواه الطبراني[٣٧٥] عن ابن مسعود أي الكسب الحلال لمؤنة النفس والعيال فرض بعد الإيمان والصلاة أو بعد جميع ما فرض الله؛ فطلب ما يحتاجه لنفسه وعياله واجب دون ما زاد على الكفاية كما قاله العزيزي، وقوله ﷺ: «طلبُ الحلالِ جهادٌ» رواه القضاعي[٣٧٦] عن ابن عباس أي ثوابه كثواب الجهاد.

ما يجب حفظ الفرج عنه

(وأما الفرج فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى) كالزنا واللواط والمساحقة للمرأة مع مثلها، والمفاخذة للرجل مع مثله، والاستمناء باليد والوطء في الحيض وفي الطهر قبل الغسل منه وإتيان البهيمة (وكن كما قال الله تعالى: (﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ﴾) في الجماع ومقدماته (﴿حَافِظُونَ﴾) أي دائمًا لا يتبعونها شهوتها، والفرج اسم لسَوْأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾) اللاتي استحقوا مباضعتهن بعقد النكاح (﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ

---

(٣٧٤) الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ٤٤٠) (٣٩١٤).

(٣٧٥) انظر هامش رقم (٣٧١).

(٣٧٦) مسند الشهاب (١/ ٨٣) (٨٢).

مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾، ولا تصلُ إلى حفظِ الفرجِ إلا بحفظِ العينِ عن النظرِ وحفظِ القلبِ عن التفكرِ وحفظِ البطنِ عن الشبهةِ وعن الشبعِ؛ فإن هذه محرِّكاتٌ للشهوةِ ومغارسِها.

وأما اليدانِ فاحفظْهما عن أن تضربَ بهما مسلمًا أو تتناول بهما مالًا حرامًا أو تؤذي بهما أحدًا من الخلقِ أو تخونَ بهما في أمانةٍ أو وديعة أو تكتبَ بهما ما لا يجوزُ النطقُ به فإن القلمَ أحدُ اللسانين؛ فاحفظِ القلمَ

أَيْمَـٰنُهُمْ﴾) رقابهن من الإماء (﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦]) على ذلك إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأتي، وفي حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الأمة قبل الاستبراء فإنه حرام ومن فعله فإنه ملوم (ولا تصل إلى) حقيقة (حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر) فيما لا يجوز شرعًا (وحفظ القلب عن التفكر) في محاسن ما يُشتهى (وحفظ البطن عن الشبهة) وعن الحرام بطريق الأولى (وعن الشبع) كما مر تفصيله (فإن هذه) أي الأربعة التي هي النظر والتفكر والشبهة والشبع (محركات للشهوة ومغارسها) أي أصولها.

ما يجب حفظ اليدين عنه

(وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلمًا) أو ذميًا بغير مسوغ شرعي كالضرب في الوجه أو تقتله بهما بمباشرة أو بسبب كحفر البئر عدوانًا؛ قال ﷺ: **«لوَ أنَّ أهلَ السماءِ وأهلَ الأرضِ اشتركوا في دَمِ مُؤمنٍ لَكَبَّهُمُ اللهُ في النارِ»**[٣٧٧] (أو تتناول بهما مالاً حرامًا) كالحاصل بتطفيف الكيل والوزن بالسرقة (أو تؤذي بهما أحدًا من الخلق) كالدعة والدفع (أو تخون بهما في أمانة أو وديعة) فالأمانة هي ما يُستحفظ عند الأمين، والوديعة ما يكون عندك من مال الغير.

(أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به فإن القلم أحد اللسانين فاحفظ القلم عما

---

(٣٧٧) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في كتاب الديات باب: الحكم في الدماء (١٣٩٨) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

عما يجبُ حفظُ اللسانِ عنه. وأما الرجلانِ فاحفظْهما عن أن تمشيَ بهما إلى حرامٍ أو تسعى بهما إلى بابِ سلطانٍ ظالمٍ فإن المشيَ إلى السلاطينِ الظلمةِ من غير ضرورةٍ وإرهاقٍ معصيةٌ كبيرةٌ فإنه تواضعٌ وإكرامٌ لهم على ظلمِهم، وقد أمر اللهُ تعالى بالإعراضِ عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ ... الآية [هُود: الآية ١١٣]، وهو تكثيرٌ لسوادهم..................

يجب حفظ اللسان عنه) كما قال ذو النون المصري نظمًا من بحر الوافر:

وما من كاتبٍ إلا سَيَبْلَى ... ويُبْقي الدَّهْرُ ما كتبتْ يداه

فلا تكتبْ بِكفِّكَ غيرَ شيءٍ ... يَسُرُّك في القيامةِ أن تراه

ما يجب حفظ الرجلين عنه

(وأما الرجلان فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلى حرام) كالمشي لأجل غيبة أو لتجسس عورات المسلمين (أو تسعى) أي تذهب (بهما إلى باب سلطان ظالم) مع الرضا بظلمه كذا قاله ابن حجر (فإن المشي إلى السلاطين الظلمة) بفتحات (من غير ضرورة) أي حاجة شرعية (وإرهاق) بالراء أي إتيان (معصية كبيرة) قوله: «فإن المشي» تعليل للنهي عن السعي إلى باب السلطان، وفي نسخة: «فالمشي» وقوله: «كبيرة» خبره (فإنه) أي المشي إليهم (تواضع وإكرام لهم على ظلمهم وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم) أي الظلمة (في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾) أي لا تميلوا ولا تسكنوا (﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هُود: الآية ١١٣] الآية وهو) أي المشي إليهم (تكثير لسوادهم) أي لجماعتهم وإعانة لهم على ظلمهم، وفي الخبر: «خَيْرُ الأمراءِ الذين يأتون العلماءَ، وشرُّ العلماءِ الذين يأتون الأمراءَ»[٣٧٨] وفي الخبر: «العلماءُ أمناءُ الرسلِ على عبادِ اللهِ ما لم يخالطوا

---

(٣٧٨) لم أعثر عليه، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه ابن ماجه بالشطر الثاني نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

. . . وإن كان ذلك لسببِ طلبِ مالِهِمْ فهو سعيٌ إلى حرامٍ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ تواضعَ لِغَنيٍّ صالحٍ لِغِناهُ ذهبَ ثُلُثا دِينِهِ» وهذا في غنيٍّ صالحٍ فما ظنُّك بالغنيِّ الظالمِ؟!

وعلى الجملةِ فحركاتُك. . . . .

السلطانَ فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسلَ فاحذروهم واعتزلوهم»[٣٧٩]، وقال أبو ذر: «من كثَّر سَوَادَ قوم فهو منهم»[٣٨٠]، ومثل السلاطين عمالهم؛ قال الأوزاعي: «ما من شيء أبغَضُ إلى اللهِ من عالِمٍ يزورُ عاملًا» (وإن كان ذلك) أي المشي إليهم (لسبب طلب ما لهم فهو سعي إلَى حرام وقد قال النبي ﷺ: «من تواضع لغني صالح لغناه ذهب ثلثا دينه»[٣٨١]) قيل: والمراد بالدين هنا الأدب، والمعنى أن الآداب ثلاثة: أدب مع الله وأدب مع رسول الله وأدب مع عامة الناس؛ فإذا تواضع لغني ذهب الأدبان وهما الأدب مع الله والأدب مع رسوله وبقي أدب واحد (وهذا) أي حصول ذهاب ثلثي الدين (في غني صالح فما ظنك بالغني الظالم وعلى الجملة) أي أقول قولًا كائنًا على الجملة (فحركاتك

---

(٣٧٩) أخرجه الديلمي في الفردوس (٣/ ٧٥) (٤٢١٠).

وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٣٧) وقال: قال أبي: هذا حديث منكر يشبه أن يكون في الإسناد رجل لم يسم وأسقط ذلك الرجل، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٦٣)، وقال السيوطي في الجامع الكبير: قوله «موضوع» ممنوع، وله شواهد فوق الأربعين فنحكم له عن مقتضى صناعة الحديث بالحسن.

(٣٨٠) قال في كشف الخفاء (٢/ ٢٧٤): رواه أبو يعلى وعلي بن معبد في كتاب الطاعة أن رجلًا دعا ابن مسعود إلى وليمة فلما جاء ليدخل سمع لهوًا فلم يدخل فقيل له فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول، وذكره، وزاد: «ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به»، وهكذا عند الديلمي بهذه الزيادة، ولابن المبارك في الزهد عن أبي ذر نحوه موقوفًا، وشاهده حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»، ومعنى «كثر سواد قوم» بأن ساكنهم وعاشرهم وناصرهم فهو منهم وإن لم يكن من قبيلتهم أو بلدهم.

(٣٨١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢١٣) (١٠٠٤٥) عن ابن مسعود بنحوه=

. . . وسكناتُك بأعضائِك نعمةٌ من نِعَمِ اللهِ تعالى عليك فلا تحركْ شيئًا منها في معصيةِ اللهِ تعالى أصلًا واستعملها في طاعةِ اللهِ تعالى، واعلمْ أنك إن قصَّرتَ فعليك وبالُهُ وإن شمَّرتَ فإليك تعودُ ثَمَرَتُهُ واللهُ غنيٌّ عنك وعن عَمَلِكَ وإنما ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: الآية ٣٨] وإياك أن تقول: إن اللهَ كريمٌ رحيمٌ يغفرُ الذنوبَ للعُصاةِ، فإن هذه كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ، وصاحبُها ملقَّبٌ بالحماقةِ بتلقيبِ رسولِ اللهِ ﷺ حيث

وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيئًا) أي جزءًا (منها) أي الأعضاء (في معصية الله تعالى أصلًا) أي بالكلية (واستعملها) أي الأعضاء (في طاعة الله تعالى) أي لتؤدي شكرها.

التحذير من التقصير في الطاعة وترك العمل مع الطمع في المغفرة

(واعلم أنك إن قصرت) أي توانيت في الطاعة (فعليك وباله) أي شدة تقصيرك (وإن شمرت) أي اجتهدت وأسرعت فيها (فإليك تعود ثمرته) أي فائدة تشميرك (والله غني عنك وعن عملك) فلا ينتفع الله بذلك (وإنما ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾) أي تصرفت وتحملت (﴿رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾) [المدثر: الآية ٣٨] عند الله تعالى، وقال علي رضي الله عنه: «من ظن أنه بدون الجهد يصل إلى الجنة فهو مُتَمَنٍّ، ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو مُتَعنٍّ» (وإياك أن) تترك العمل فقد قال الحسن البصري: «طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب»[٣٨٢] واحذر أن (تقول: إن الله كريم) أي متفضل يعطي من غير مسألة ولا وسيلة (رحيم يغفر الذنوب للعصاة) أي بكرمه ورحمته (فإن هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها) أي هذه الكلمة (ملقب بالحماقة) أي الفساد في العقل (بتلقيب رسول الله ﷺ حيث

=مرفوعًا، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٣٣).

(٣٨٢) عزاه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٦٧) إلى معروف الكرخي.

قال: «الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لما بعدَ المَوْتِ والأَحْمَقُ من أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواها وتَمَنَّى على اللهِ الأَمَانِيَّ».

واعلَمْ أن قولَكَ هذا يُضاهِئُ قولَ مَن يريدُ أن يصيرَ فقيهًا في علومِ الدينِ من غيرِ أن يَدْرُسَ علمًا واشتغلَ بالبطالةِ وقال: إن اللهَ كريمٌ رحيمٌ قادرٌ على أن يُفيضَ على قلبي من العلومِ ما أفاضَهُ على قلوبِ أنبيائِهِ وأوليائِهِ من غيرِ جُهْدٍ وتَكْرارٍ وتَعَلُّمٍ،

قال: «**الكيس**» أي الظريف (**من دان**) أي أذل وقهر (**نفسه**) أي الأمارة أو اللوامة (**وعمل لما بعد الموت**) من أنواع الطاعات (**والأحمق من أتبع نفسه هواها**) أي ميلها (**وتمنى على الله الأماني**»[٣٨٣]) أي الأكاذيب؛ فقوله: «**نفسه**» مفعول أول، و«**هواها**» مفعول ثان، وفي ذلك قال الحسن البصري: «إن أقوامًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس وليست لهم حسنة فيقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب إنه لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له»[٣٨٤].

(**واعلم أن قولك هذا يضاهئ**) بالهمز وتركه أي يشابه (**قول من يريد أن يصير فقيهًا في علوم الدين من غير أن يدرس**) بضم الراء أي يقرأ (**علمًا**) من علوم الدين (**واشتغل بالبطالة**) أي التعطل (**وقال: إن الله كريم رحيم قادر على أن يفيض**) أي يظهر (**على قلبي من العلوم ما أفاضه**) أي أظهره (**على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد**) أي مشقة (**وتكرار**) أي للدرس (**وتعلم**) وفي بعض النسخ: «**وتعلق**» أي استمساك للعلوم؛ قال يحيى بن معاذ[٣٨٥]: «مِنْ أعظمِ

---

(٣٨٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب: منه (٢٤٥٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب: ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٦٠) عن شداد بن أوس، دون قوله: «الأماني»، وبلفظ: «العاجز» بدلًا عن «الأحمق»، وأخرجه الحاكم (١/ ١٢٥) (١٩١) وقال: صحيح على شرط البخاري.

(٣٨٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الوجل والتوثق بالعمل (ص٢٨) (٢).

(٣٨٥) يحيى بن معاذ الرازي أبو زكريا، الواعظ، أحد الأوتاد، وكان أوحد وقته في=

وهو كقولِ من يُريدُ مالًا فتركَ الحِراثةَ والتجارةَ والكسبَ ويتعطلُ وقال: إن اللهَ كريمٌ رحيمٌ وله خزائنُ السمواتِ والأرضِ وهو قادرٌ على أن يُطْلِعَني على كَنْزٍ من الكُنُوزِ أستغني به عن الكَسْبِ فقد فعلَ ذلك لبعض عبادِهِ فأنت إذا سمعتَ كلامَ هذين الرجلينِ اسْتَحْمَقْتَهُما وَسَخِرْتَ منهما، وإن كان ما وصفاه من كرمِ اللهِ تعالى وقدرتِهِ صدقًا وحقًّا. . . . . .

الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله مع الإفراط»، وقد نُظم هذا المعنى من بحر البسيط:

ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مَسَالِكَها
إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ

(وهو كقول من يريد مالًا فترك الحراثة) أي الزراعة (والتجارة) أي التصرف في البيع والشراء (والكسب) أي طلب الرزق بصناعة ونحوها (ويتعطل) أي يبقى بلا عمل (وقال: إن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يطلعني على كنز من الكنوز) التي في الأرض (أستغني به) أي بذلك الكنز (عن الكسب فقد فعل) أي الله ﷻ (ذلك) أي الإطلاع على الكنز (لبعض عباده) ممن يشاء الله تعالى (فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين) من يريد علمًا ومن يريد مالًا (استحمقتهما) أي عددتهما أحمقين (وسخرت) بكسر الخاء أي هزأت (منهما وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقًا) أي غير كذب (وحقًّا) أي صحيحًا ثابتًا في نفس الأمر، وذلك لأن الله تعالى أجرى لكل شيء يحتاج إليه الشخص سببًا وطريقًا يوصل لمراده، ولولا ذلك لما قال الله تعالى لسيدتنا مريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥﴾ [مريم: الآية ٢٥]

=فنه، مات سنة ٢٥٨هـ، وقبره بنيسابور يستسقى به ويتبرك بزيارته. وكانوا ثلاثة إخوة: يحيى وإسماعيل وإبراهيم، وكلهم زهاد (اهـ طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٢١-٣٢٦).

. . . فكذلك يضحكُ عليك أربابُ البصائرِ في الدِّينِ إذا طلبتَ المغفرةَ بغيرِ سعيٍ لها، والله تعالى يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: الآية ٣٩] ويقول ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: الآية ١٦] ويقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: الآية ١٣، ١٤]، فإذا لم تتركِ السعيَ في طلبِ العلمِ والمالِ اعتمادًا على كرمِهِ فكذلك لا تتركِ التزوُّدَ للآخرةِ ولا تَفْتُرْ فإن رَبَّ الدُّنْيا والآخرةِ واحدٌ وهو فيهما كريمٌ رحيمٌ وليس يزيدُ له . . . .

فإن الله تعالى قادر أن يُسقط رطبًا على سيدتنا مريم من غير تحريك الجذع من مريم إلا أن الله تعالى أجرى كل شيء على طريقة، ولذا قال بعضهم من بحر الطويل:

أَلَمْ تَـرَ أن الـلـهَ قـال لِمَـرْيَـمِ ... وهُزِّيْ إليكِ الجِذْعَ يسَّاقط الرُّطَبْ

ولو شاءَ أَجْنَى الجِذْعَ من غيرِ هَزِّها ... ولكِنَّ هَزَّ الجِذْعِ كان هو السَّبَبْ

(فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر) أي أصحابُ المعارف (في الدين إذا طلبت المغفرة) من الله تعالى (بغير سعي) أي كسب (لها) أي المغفرة، وذلك خطأ وضلال (والله تعالى يقول) في سورة النجم (﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: الآية ٣٩])، أي عمل (ويقول: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: الآية ١٦] ويقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾) أي المؤمنين الصادقين في إيمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾) أي محيط بهم أبد الآبدين (﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾) أي الذين من شأنهم الخروج عن رضا الله تعالى إلى سخطه (﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: الآية ١٤]) أي نار محرقة تتوقد غاية التوقد (فإذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال اعتمادًا على كرمه) ﷺ (فكذلك لا تترك التزود للآخرة) من الأعمال الصالحات (ولا تفتر) بضم التاء بعد الفاء أي لا تَلِنْ في العمل بعد شدتك، وفي بعض النسخ: «ولا تغتر» أي لا تغفل عن العمل (فإن رب الدنيا والآخرة واحد وهو) أي الرب (فيهما كريم رحيم وليس يزيد له

. . .كرمٌ بطاعتِكَ وإنما كرمُهُ في أن يُيسِّرَ لك طريقَ الوصولِ إلى المُلْكِ المُقيمِ والنَّعِيمِ الدائمِ المخلَّدِ بالصبرِ على تركِ الشهواتِ أيامًا قلائلَ وهذا نهايةُ الكَرَمِ؛ فلا تحدِّثْ نفسَك بتهويساتِ البطَّالينَ واقْتَدِ بأُولي العَزْمِ والنُّهَى من الأنبياءِ والصالحينَ، ولا تطمعْ في أن تحصُدَ ما لَمْ تزرعْ ولَيْتَ مَنْ صامَ وصلَّى وجاهدَ واتَّقى غُفر له.

فهذه جُمَلٌ مما ينبغي أن تحفظَ عنه جوارحَكَ الظاهرةَ، وأعمالُ هذه الجوارحِ إنما تترشحُ من صفاتِ القلبِ فإن أردتَ حفظَ الجوارحِ. . . .

كرم بطاعتك) وفي نسخة: «بتمنيك» (وإنما كرمه) ﷻ (في أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أيامًا قلائل) أي مدة حياتك في الدنيا (وهذا) أي التيسير (نهاية الكرم فلا تحدث نفسك) أي قلبك (بتهويسات البطالين) أي باعتمادات من لا عمل لهم (واقتد) في إكثار العبادات (بأولي العزم) أي العزيمة في الأمر (والنُّهى) أي العقول، وهو بضم النون وفتح الهاء جمع نُهية وسمي العقل بها (من الأنبياء والصالحين ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع) فإن ذلك أمنية وليس برجاء قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فُصِّلَت: الآية ٢٣].

(وليت من صام وصلى وجاهد واتقى) الله تعالى بترك المعاصي (غفر له) قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ [الكهف: الآية ١١٠] أي فمن كان يخاف المصير إليه تعالى أو من كان يأمل رؤية ربه فليعمل عملًا يرتضيه الله تعالى ولو قليلًا (فهذه) أي المذكورات في القسم الثاني (جمل مما ينبغي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة) أي السبعة المتقدمة وغيرها (وأعمال هذه الجوارح إنما تترشح) أي تنشأ (من صفات القلب فإن أردت حفظ الجوارح) أي الظاهرة

. . . فعليك بتطهير القلبِ فهو تَقْوى الباطنِ، والقلبُ هو المُضْغَةُ التي إذا صَلَحَتْ صَلَحَ بها سائرُ الجسدِ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ بها سائرُ الجسدِ فاشتغلْ بإصلاحِهِ لِتُصْلِحَ به جوارِحَكَ، وصلاحُهُ يكونُ بمُلازمةِ المراقبةِ.

(فعليك بتطهير القلب فهو تقوى الباطن)قال أحمدُ بن خَضْرَوَيْه[٣٨٦]: «القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح وإذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح»[٣٨٧] (والقلب هو المضغة) أي قطعة لحم قدر ما يُمْضغ في الفم لكنها وإن صغرت في الصورة عظمت في الرتبة (التي إذا صلحت) أي بالإيمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها، والفتح أفصح وأشهر (صلح بها) أي بالمضغة (سائر الجسد) بالأعمال والأحوال (وإذا فسدت) أي بالجحود والكفران، وهو بفتح السين وضمها، والفتح أفصح وأشهر (فسد بها سائر الجسد) بالفجور والعصيان ومن ثَمَّ قيل: إن القلب كالملك والجسد والأعضاء كالرعية، ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده، وأيضًا هو كالأرض وحركات الجسد كالنبات ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: الآية ٥٨] وأيضًا هو كالعين والجسد كالزرع إن عَذُبَ ماء العين عَذُبَ الزرع وإن مَلُحَ مَلُحَ، ولما سأل عمرُ بن عبدالعزيز رجلًا من رعيته: «كيف حال أميركم؟ فقال له: يا أمير المؤمنين إذا طابت العين عذبت الأنهار» وإذا كان الأمر كذلك (فاشتغل بإصلاحه) أي القلب (لتصلح به جوارحك) أي الظاهرة (وصلاحه يكون بملازمة المراقبة) وهي استحضار القلب مع الله تعالى وانصراف الهمم إليه، وقال بعضهم: صلاح القلب في خمسة أشياء: كثرة الجوع وقراءة القرآن بتدبر المعنى والتضرع بالبكاء

---

(٣٨٦) أحمد بن خضرويه البلخي، كنيته: أبو حامد، وهو من كبار مشايخ خراسان، صحب أبا تراب النخشبي، وحاتمًا الأصم ، ورحل إلى أبي يزيد البسطامي، توفي سنة أربعين ومائتين. اهـ (طبقات الصوفية للسلمي، ص٩٥).

(٣٨٧) أخرجه ابن الجوزي في ذم الهوى (ص٦٦).

. . . .

عند السحر والصلاة في الليل ومجالسة الصالحين، ونظمها بعضهم من «بحر البسيط» فقال:

دواءُ قلبِك خَمْسٌ عندَ قَسْوَتِهِ
فاقدِمْ عليها تَفُزْ بالخيرِ والظَّفَرِ
خَلاءُ بَطْنٍ وقرآنٌ تدبُّرُهُ
كذا تضرُّعُ باكٍ ساعةَ السَّحَرِ
كذا قِيَامُك جُنْحَ الليلِ أَوْسَطَهُ
وأن تُجالِسَ أَهْلَ الخَيْرِ والخَبَرِ

وزاد بعضهم أشياء أخر، ونظمتُها من البسيط بقولي:

أكلُ الحلالِ وصمتٌ عزلةٌ وكذا
تركٌ لخَوْضٍ بما للناسِ من سِيَرِ

القول في معاصي القلب

اعلمْ أن الصفاتِ المذمومةَ في القلبِ كثيرةٌ، وطريقُ تطهيرِ القلبِ من رذائِلها طويلةٌ وسبيلُ العلاجِ فيها غامضٌ، وقد اندرسَ بالكليةِ علمُهُ وعملُهُ لغَفْلةِ الخلقِ عن أنفسِهم..........

(القول في معاصي القلب)

الخصال المذكورة تحت هذه الترجمة داخلة تحت القسم الثاني الذي هو اجتناب المعاصي لأنها ظاهرة وباطنة؛ فالمذكورة هنا الباطنة.

الصفات المذمومة في القلب

(اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة) لأن الإنسان اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف: وهي السَّبْعية والبهيمية والشيطانية والربانية، وكل ذلك مجموع في القلب؛ فيجتمع في الإنسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم؛ فالخنزير هو الشهوة، والكلب هو الغضب، والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع، والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان؛ فطاعة خنزير الشهوة يصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملك والحسد والحقد والشماتة وغيرها، وطاعة كلب الغضب ينتشر منها إلى القلب صفة الظهور والبذاءة والبَذَخ والصَّلَف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها، وطاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب يحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخِبّ والخَنا وأمثالها، ولو قهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه.

طريق تطهير القلب من رذائلها

(وطريق تطهير القلب من رذائلها) أي خسائسها أي الصفات المذمومة (طويلة وسبيل العلاج) أي المداواة (فيها) أي تلك الصفة (غامض) أي صعب (وقد اندرس) أي انمحى (بالكلية علمه) أي العلاج (وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم

. . . واشتغالِهِمْ بزخارفِ الدنيا، وقد استقصينا ذلك كُلَّهُ في كتابِ «إحياء علوم الدين» في رُبْعِ المهلكاتِ وربع المُنْجِياتِ، ولكنا نحذرُكَ الآن ثلاثًا من خبائثِ القلبِ -وهي الغالبةُ على متفقِّهةِ العصر- لتأخذَ منها حِذْرَكَ فإنها مهلِكاتٌ في أنفسِها وهي أمهاتٌ لجملةٍ من الخبائثِ سواها وهي الحسدُ والرياءُ والعُجْبُ؛ فاجتهدْ في تطهيرِ قلبِكَ منها فإن قَدَرْتَ عليها فَتَعَلَّمْ كيفيةَ الحذرِ من بقيتِها من رُبْعِ المهلكاتِ؛ فإن عَجَزْتَ عن هذا فأنت عن غيرِه أعجزُ، ولا تظنن أنك تَسْلَمُ بِنِيَّةٍ صالحةٍ في تعلُّمِ العلمِ وفي قلبِك شيءٌ من الحسدِ والرياءِ والعُجْبِ، وقد قال ﷺ «ثلاثٌ. . . . .

واشتغالهم بزخارف الدنيا) أي بزينتها، وهذا من عطف السبب على المسبب (وقد استقصينا ذلك) أي المذكور (كله) من الصفات المذمومة، وطريق تطهير القلب منها أي ذكرنا ذلك حتى بلغ أبعده (في كتاب «إحياء علوم الدين» في ربع المهلكات وربع المنجيات) فالمهلكات هي في الربع الثالث، والمنجيات هي في الربع الرابع.

(ولكنا نحذرك) أي نخوفك (الآن ثلاثًا من خبائث القلب وهي الغالبة على متفقهة العصر) أي هذا الزمن (لتأخذ منها حذرك) أي لتبعد عنها بتيقظك (فإنها) أي الثلاث (مهلكات في أنفسها وهي) أي الثلاث (أمهات) أي أصول (لجملة من الخبائث سواها وهي) أي الثلاث (الحسد والرياء والعجب فاجتهد في تطهير قلبك منها) أي من هذه الثلاث (فإن قدرت عليها) أي على تطهيرها (فتعلم كيفية الحذر) أي الاحتراز (من بقيتها) أي الخبائث (من ربع المهلكات) أي الذي هو الربع الثالث (فإن عجزت عن هذا) أي تطهير القلب من هذه الثلاث (فأنت عن غيره) أي عن غير هذا من تطهير القلب عن جميع الخبائث (أعجز) أي أشد عجزًا (ولا تظنن أنك تسلم) أي من الإثم (بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعجب، وقد قال ﷺ: «ثلاث) أي من الخصال مُنْجيات:

. . . مهلِكاتٌ شُحٌّ مُطاعٌ وهوًى مُتَّبَعٌ وإعجابُ المرءِ بِنَفْسِهِ».

أما الحسدُ فهو متشعِّبٌ من الشُّحِّ فإن البخيلَ . . . .

خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى، وثلاث (مهلكات شح مطاع) أي بخل يطيعه الإنسان فلا يؤدي ما عليه من حق الحق وحق الخلق (وهوى) بالقصر (متبع) أي بأن يتبع ما يأمره به هواه (وإعجاب المرء بنفسه)(٣٨٨) أي تحسينه فعل نفسه على غيره وإن كان قبيحًا، وهو فتنة العلماء فأَعْظِمْ بها من فتنة. وقال أيضًا: «ثلاثٌ مهلكاتٌ وثلاث منجياتٌ وثلاث كفَّاراتٌ وثلاث درجاتٌ فأما المهلكاتُ فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات فالعدلُ في الغضب والرضا والقَصْدُ في الفقر والغنى وخشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ، وأما الكفارات فانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاة وإسباغُ الوضوءِ في السَّبَراتِ -أي شدة البرد- ونقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ، وأما الدرجات فإطعامُ الطعامِ وإفشاءُ السلام والصلاةُ بالليلِ والناسُ نِيام»(٣٨٩) وقال أيضًا: «ثلاث لم تَسْلَمْ منها هذه الأُمَّةُ الحَسدُ والظنُّ والطِّيَرةُ ألا أنبئكم بالمَخْرَجِ منها؟ قالوا: أنبئنا، قال: إذا ظننتَ فلا تُحقِّق وإذا حسدتَ فلا تبغِ وإذا تطيرتَ فَامْضِ متوكلًا على اللهِ»(٣٩٠).

معنى الحسد ومراتبه

(أما الحسد فهو متشعب) أي متفرع (من الشح) والحقد والغضب (فإن البخيل

---

(٣٨٨) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٣٢٨) (٥٤٥٢) قال الهيثمي (١/ ٩١): فيه زائدة بن أبي الرقاد، وزياد النميري وكلاهما مختلف في الاحتجاج به، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧١) (٧٤٥)، والقضاعي في الشهاب (١/ ٢١٥) (٣٢٦) وغيرهم عن أنس.

(٣٨٩) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر (٦/ ٤٧) (٥٧٥٤) قال الهيثمي (١/ ٩١): فيه ابن لهيعة ومن لا يعرف، وأخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (١/ ٩١) قال الهيثمي: فيه زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به.

(٣٩٠) قال المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٦/ ٢٧) (٤٣٧٨٩): رواه رسته في=

. . .هو الذي يبخلُ بما في يدِهِ على غيرِهِ، والشحيحُ هو الذي يبخلُ بنعمةِ اللهِ تعالى وهي في خزائنِ قدرتِهِ تعالى لا في خزائِنِهِ على عبادِ الله تعالى فَشُحُّهُ أَعْظَمُ، والحَسودُ هو الذي يَشُقُّ عليه إنعامُ اللهِ تعالى من خزائنِ قدرتِهِ على عبدٍ من عبادِهِ بعلمٍ أو مالٍ أو محبّةٍ في قلوبِ الناسِ أو حَظٍّ من الحُظوظِ حتى إنه لَيُحِبُّ زوالَها عنه، وإن لم يحصلْ له بذلك شيءٌ من تلك النعمةِ فهذا منتهى الخُبْثِ. . . . .

هو الذي يبخل بما في يده) من مال طُلِب بالشرع وبالمروءة إنفاقُه (على غيره) وكان ذلك الغير محتاجًا (والشحيح هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى وهي في خزائن قدرته تعالى لا في خزائنه على عباد الله تعالى فشحه أعظم) أي من البخل لأن الشح هو أن يمنع أحدًا عن إعطاء شخص كما يمنع نفسه عن الإعطاء (والحسود هو الذي يشق عليه) أي على نفسه (إنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس) ككثرة الأتباع (أو حظ من الحظوظ) كحصول المنصب ككونه واليًا أو قاضيًا أو مفتيًا (حتى إنه) أي الحسود (ليحب زوالها) أي تلك النعمة (عنه) أي ذلك العبد (وإن لم يحصل له) أي للحسود (بذلك) أي الحب والتمني (شيء من تلك النعمة) أي لم ينتقل إليه شيء من المحبوب زواله والمتمنى حصوله (فهذا) أي حب زوال النعمة عن العبد (منتهى الخبث) أي غاية القبح، وهذا أحد مراتب الحسد، والمرتبة الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة من الرزق نالها غيره، وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها، والمرتبة الثالثة: أن لا يشتهي عين تلك النعمة لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها عن المنعم عليه كي لا يظهر التفاوت بينه وبين غيره؛ فالشق الأول غير

=الإيمان عن الحسن مرسلاً.

...فلذلك قال النبيُّ ﷺ: **«الحَسَدُ يأكلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»**. والحسودُ هو المعذَّبُ الذي لا يُرحم ولا يزالُ في عذابٍ دائمٍ في الدنيا فإن الدنيا لا تخلو قَطُّ من خَلْقٍ كثيرٍ من أقرانهِ ومعارفهِ ممن أنعمَ اللهُ عليهم بعلمٍ أو مالٍ أو جاهٍ؛ فلا يزالُ في عذابٍ دائمٍ في الدنيا إلى موتهِ ولَعَذابُ الآخرةِ أشدُ وأكبرُ بل لا يصلُ العبدُ إلى حقيقةِ الإيمانِ ما لم يُحبَّ لسائرِ

مذموم وهو المسمى غبطة ومنافسة، والشق الثاني مذموم، والمرتبة الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثل تلك النعمة فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عن المنعم عليه، وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين (فلذلك) أي لأجل كون الحسد غاية الخبث (قال النبي ﷺ: **«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»**) رواه ابن ماجه[٣٩١] أي لما فيه من نسبة الرب إلى الجهل والسفه ووضع الشيء في غير محله (والحسود هو المعذب) أي في قلبه (الذي لا يرحم ولا يزال) أي الحسود (في عذاب دائم في الدنيا) والحسد يُهيج خمسة أشياء:

أحدها: فساد الطاعات، والثاني: فعل المعاصي والشرور، والثالث: التعب والهم من غير فائدة، والرابع: عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكمًا من أحكام الله تعالى، والخامس: الحرمان، ولا يكاد يظفر بمراده (فإن الدنيا) أي دارها (لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه) أي قدر (فلا يزال) أي الحسود (في عذاب دائم في الدنيا) وهو حصول الهم والهيام في العقل والوزر (إلى موته، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر) من العذاب الحاصل في الدنيا (بل لا يصل العبد إلى حقيقة) كمال (الإيمان ما لم يحب لسائر

---

(٣٩١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب: الحسد (٤٢١٠) عن أنس، وتتمة الحديث: **«والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن والصيام جنة من النار»**.

المسلمينَ ما يحبُّ لنفسِه بل ينبغي أن يُسَاهِمَ المسلمين في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ؛ فالمسلمون كالبُنْيانِ الواحدِ يَشُدُّ بعضُه بعضًا وكالجسدِ الواحدِ إذا اشْتكى منه عُضْوٌ اشتكى سائرُ الجسدِ؛ فإن كُنْتَ لا تصادفُ هذا من قلبِك فاشتغالُك بطلبِ التخلصِ من الهلاكِ أهمُّ من اشتغالِك بنوادرِ الفروعِ وعلمِ الخصوماتِ.

المسلمين ما يحب لنفسه) من الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك في الأمور الحسية كالغنى أو المعنوية كالعلم (بل ينبغي أن يساهم) أي يشارك (المسلمين في السراء والضراء) أي في حال الخصب والجدب (فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضًا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد) كما قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنون كالجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهَرِ»**[٣٩٢]، قال ابن بطال وغيره: المحبة على ثلاثة أقسام: محبة إجلال وتعظيم كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس (فإن كنت لا تصادف) أي لا تجد (هذا) أي الحب (من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم) أي أحق بالاعتناء (من اشتغالك بنوادر الفروع) وهي الزائدة من الفرائض (وعلم الخصومات) أي علم ما يقطعها.

---

(٣٩٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

وأما الرياء فهو الشِّرْكُ الخفيُّ، وهو أحد الشِّرْكَيْنِ، وذلك طلبُك المنزلةَ في قلوبِ الخَلْقِ لِتنالَ بها الجاهَ والحِشْمَةَ، وحُبُّ الجاهِ من الهوى المتَّبَعِ وفيه هَلَكَ أكثرُ الناسِ فما أَهْلَكَ الناسَ إلا الناسُ، ولو أنصفَ الناسُ حقيقةً لَعَلِمُوا أن أكثرَ ما هُمْ فيه من العلومِ والعباداتِ فضلاً عن أعمالِ العاداتِ ليس يحملُهم عليها إلا مُراءاةُ الناسِ، وهي مُحْبِطَةٌ للأعمالِ..........

الرياء وخطره

(وأما الرياء فهو الشرك الخفي) قال ﷺ: **«اتقوا الشِّرْكَ الأصغرَ»** قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: **«الرياء»**[٣٩٣] (وهو أحد الشركين) أي الخفي والجلي (وذلك) أي أصل الرياء (طلبك المنزلة في قلوب الخلق) بإيرائهم خصال الخير (لتنال بها) أي المنزلة (الجاه) أي القدر (والحشمة) أي الاستحياء أي لتكون معظمًا بينهم (وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه) أي بسبب حب الرياسة (هلك أكثر الناس فما أهلك الناس إلا الناس) أي بسبب طلبهم القدر من الناس (ولو أنصف) أي عدل (الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن أعمال العادات ليس يحملهم) أي يبعثهم (عليها) أي العلوم والعبادات وأعمال العادات (إلا مراءاة الناس وهي) أي المراءاة (محبطة للأعمال) أي لثوابها كما روي عن النبي ﷺ قال: **«إن المرائيَ يُنادَى يومَ القيامةِ بأربعةِ أسماءٍ يا كافرُ يا فاجرُ يا غادرُ يا خاسرُ ضَلَّ سَعْيُكَ وبَطَلَ أَجْرُكَ فلا خَلاقَ لك اليومَ التمسْ الأجرَ**

(٣٩٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨) (٢٣٦٨٠)، (٥/ ٤٢٩) (٢٣٦٨٦) من حديث محمود بن لبيد، وأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٥٣) (٤٣٠١) من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج. قال الهيثمي (١٠/ ٢٢٢): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد، وهو ثقة. ولفظه عند الطبراني: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقال لمن يفعل ذلك إذا جاء الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فاطلبوا ذلك عندهم»**.

. . .كما ورد في الخبر «أن الشهيدَ يُؤْمَرُ به يومَ القيامةِ إلى النارِ فيقول: يا ربِّ اسْتُشهدتُ في سبيلِك فيقولُ اللهُ تعالى: بل أَرَدْتَ أن يُقال: إنك شُجاعٌ وقد قِيلَ ذلك، وذلك أَجْرُكَ، وكذلك يُقال للعالِمِ والحاجِّ والقارئِ.

ممن كنتَ تعملُ له»(٣٩٤).

(كما ورد في الخبر «أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار فيقول: يا رب استشهدت) بالبناء للمفعول أي قُتلت شهيدًا (في سبيلك) أي لإعلاء دينك (فيقول الله تعالى) كذبت (بل أردت أن يقال: إنك) وفي بعض النسخ: «فلان» (شجاع وقد قيل ذلك) لك (وذلك) أي المقول (أجرك، وكذلك يقال للعالم والحاج والقارئ) كما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: أنه قال: **«أوّلُ من يُدْعَى يومَ القيامةِ رجلٌ قد جَمَعَ القرآنَ ورجلٌ قد قاتلَ في سبيلِ اللهِ ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقول اللهُ تعالى للقارئ: ألم أعلِّمْكَ ما أنزلتُ على رسولي فيقول: بلى يا رب فيقول: ماذا عملتَ فيما علمتَ؟ فيقول: يا رب قمتُ به آناءَ الليل وأطرافَ النهارِ فيقول اللهُ: كَذَبْتَ، وتقول الملائكةُ: كَذَبْتَ فيقول اللهُ سبحانه: بل أَردتَ أن يقال: فلانٌ قارئٌ فقد قيل ذلك، ويُؤْتَى بصاحبِ المالِ فيقول اللهُ له: ألم أوسِّعْ عليك حتى لم أَدَعْكَ تحتاجُ إلى أحدٍ فيقول: بلى يا رب، فيقول: فما عملتَ فيما آتيتُك؟ فيقول: كنت أَصِلُ الرحمَ وأتصدقُ فيقول الله: كذبتَ وتقول الملائكةُ كذبتَ فيقول الله سبحانه: بل أردتَ أن يقال: إنك جَوَادٌ فقد قيل ذلك، ويُؤْتَى بالذي قُتِل في سبيلِ اللهِ فيقول اللهُ: ما فعلتَ؟ فيقول: أُمِرْتُ بالجهادِ في سبيلِك فقاتلتُ حتى قُتِلْتُ فيقول اللهُ تعالى: كذبتَ وتقول الملائكةُ كذبتَ، ويقول اللهُ: بل أردتَ أن يقال: فلانٌ جريءٌ وشجاعٌ فقد قيل ذلك»**(٣٩٥).

---

(٣٩٤) الفردوس بمأثور الخطاب (٤/ ٢٠٣) (٦٦١٩) باختلاف يسير.

(٣٩٥) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب: ما جاء في الرياء والسمعة (٢٣٨٢) وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٩) (١٥٢٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٣٥) (٤٠٨).

. . . .

واعلم أن المراءَى به كثير يجمعه خمسة أقسام:

الأول: الرياء في الدين بالبدن كإظهار النحول والصفار وتشعيث الشعر ليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وعظيم الحزن على الدين، وبالتشعث على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر.

والثاني: الرياء بالهيئة والزي كإطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب وترك تنظيف الثوب وتركه مُخرَّقًا ولبس المرقَّعة.

والثالث: الرياء بالقول كالنطق بالحكمة وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن.

والرابع: الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام والسجود والركوع وترك الالتفات وإظهار السكون وتسوية القدمين واليدين، وكذلك في الصوم أو الحج والصدقة وإطعام الطعام.

والخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا أو ملكًا أو عاملاً من عمال السلطان ليقال: إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين، وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخًا كثيرة واستفاد منهم فيتباهى بشيوخه.

وأما العُجْبُ والكِبْرُ والفَخْرُ فهو الدَّاءُ العُضَالُ وهو نظرُ العبدِ إلى نفسِه بعينِ العِزِّ والاستعظامِ وإلى غيرِهِ بعينِ الاحتقارِ والذُّلِّ ونتيجتُهُ على اللسانِ أن يقول: أنا وأنا كما قال إبليسُ اللعينُ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٢] وثمرتُهُ في المجالِسِ الترفُّعُ والتقدُّمُ وطلبُ التصدُّرِ فيها، وفي المحاوَرَةِ الاستنكافُ من أَنْ يُرَدَّ كلامُهُ عليه. والمتكبرُ هو الذي إنْ وُعِظَ . . . .

العجب والكبر والفخر وخطرها

(وأما العجب والكبر والفخر) أي التعاظم (فهو الداء العضال) بضم العين أي الشديد الذي أعيا الأطباء، والعُجْب هو استعظام العمل الصالح، والكِبْر ينقسم إلى: باطن وظاهر؛ فالباطن هو خُلُق في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح، وإذا ظهر خُلُق الكبر على الجوارح يقال: تكبَّر، وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كِبْر، والكبر يستدعي متكبرًا عليه ومتكبرًا به، وأما العجب فلا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبًا، ولا يتصور أن يكون متكبرًا إلا أن يكون مع غيره (وهو) أي الكبر (نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام وإلى غيره بعين الاحتقار والذل) ولذلك يسمى الكبر أيضًا عزة وتعظمًا، أما لو استعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يكون مستكبرًا عليه، ولو استحقر غيره ومع ذلك رأى أن نفسه أحقر لم يتكبر، ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل المتكبر أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره (ونتيجته) أي الكبر (على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال إبليس اللعين ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾) أي آدم (﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ﴾) أي آدم (﴿مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٢]) ومن قال أنا وقع في العنا.

(وثمرته) أي الكبر (في المجالس الترفع والتقدم) على عباد الله تعالى (وطلب التصدر) أي الارتفاع (فيها) أي المجالس (وفي المحاورة) أي المجاوبة (الاستنكاف) أي الامتناع (من أن يرد كلامه عليه، والمتكبر هو الذي إن وعظ)

. . . أَنِفَ أو وَعَظَ عَنَّفَ؛ فكُلُّ من رَأَى نفسَهُ خيرًا من أحدٍ من خَلْقِ اللهِ تعالى فهو متكبرٌ بل ينبغي لك أن تعلمَ أن الخيِّرَ من هو خيِّرٌ عند اللهِ في دارِ الآخرةِ وذلك غَيْبٌ، وهو مَوْقوفٌ على الخاتمةِ فاعتقادُك في نفسِك أنك خَيْرٌ من غيرِك جهلٌ مَحْضٌ بل ينبغي أن لا تنظُرَ إلى أحدٍ إلا وتَرَى أنه خَيْرٌ منك وأن الفَضْلَ له على نفسِك. . . . .

بالبناء للمفعول أُمر بالطاعة (أنف) بكسر النون أي استنكف من القبول (وإن وعظ) بالبناء للفاعل (عنف) بفتح النون أي في النصح، وإن رُدَّ عليه بشيء من قوله غضب وإن عَلَّم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالًا واستحقارًا.

(فكل من رأى) أي ظن (نفسه خيرًا من أحد من خلق الله فهو متكبر بل ينبغي) أي يجب (لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله في دار الآخرة وذلك غيب) عن الخلق (وهو موقوف على الخاتمة) أي خاتمة الأمر حالة الموت وهو موت السعادة (فاعتقادك في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض بل ينبغي) أي يندب (أن لا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك وأن الفضل له على نفسك).

السبيل في اكتساب التواضع

فسبيلك في اكتساب التواضع أن تتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليك التواضع في محاسن العادات ليزول به الكبر عنك؛ فإن خف عليك ذلك فقد حصل لك خُلُق التواضع، وإن كان يثقل عليك ذلك وأنت تفعل ذلك فأنت متكلف لا متواضع بل الخلق ما يُصدر عنك الفعلَ بسهولة من غير ثقل.

واعلم أن الخُلُق له طرفان وواسطة؛ فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرًا، وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسؤًا ومذلة، والوسط يسمى تواضعًا، والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسؤ؛ فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها؛ فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر، ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئًا من قدره الذي يستحقه، والعالم إذا دخل عليه سوقي مثلًا فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه فقد تخاسأ أو

. . .فإن رأيتَ صغيرًا قُلْتَ: هذا لم يَعْصِ اللهَ وأنا عصيتُه فلا شَكَّ أنه خَيْرٌ مِنِّي وإن رأيتَ كبيرًا قُلْتَ: هذا قد عبَدَ اللهَ قبلي فلا شَكَّ أنه خَيْرٌ مِنِّي، وإن كان عالمًا قلت هذا قد أُعْطِيَ ما لم أُعْطَ وبَلَغَ ما لم أَبْلُغْ وعَلِمَ ما جَهِلْتُ فكيف أكونُ مِثْلَه، وإن كان جاهلاً قُلْتَ: هذا قد عصَى اللهَ بجهلٍ وأنا عصيتُه بعلمٍ فَحُجَّةُ اللهِ عليَّ آكَدُ وما أدري بِمَ يُخْتَمُ لي وبم يُخْتَمُ له؟ وإن كان كافرًا قُلْتَ: لا أدري. . . . .

تذلل وهو غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يُعطي كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته؛ فأما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك، وأن لا يرى نفسه خيرًا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره (فإن رأيت صغيرًا قلت) في قلبك (هذا) أي الصغير (لم يعص الله تعالى وأنا عصيته فلا شك أنه خير مني وإن رأيت كبيرًا) أي شخصًا أكبر سنك في السن وهو متعبد (قلت: قد عبدالله تعالى قبلي فلا شك أنه خير مني) لأن العبادة المتوالية تتضاعف فإن الصلاة الأولى مثلًا لها أجر واحد والثانية لها أجران والثالثة لها ثلاثة أجور. . . وهكذا، أفاده بعضهم (وإن كان) أي الشخص الكبير (عالمًا قلت: هذا أعطي ما لم أعط) من العلم (وبلغ ما لم أبلغ) من الرتبة العالية (وعلم ما جهلت) من الأحكام (فكيف أكون مثله) في الدرجة، وأفاد بعضهم أن من انتسب إلى رسول الله ﷺ وهو من أولاد سيدنا الحسن أو الحسين وهو غير عالم يفوق على غيره ممن يساويه في الرتبة بستين درجة، وأن العالم الذي لم يُنسب إليه ﷺ يفوق على غير العالم ممن انتسب إليه ﷺ بستين درجة (وإن كان) أي الشخص الكبير في السن (جاهلًا) وعاصيًا (قلت) في قلبك (هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله علي آكد) أي أشد وأقوى (وما أدري بم يختم لي وبم يختم له) أي الجاهل من السعادة أو الشقاوة (وإن كان) أي الشخص الكبير في السن (كافرًا قلت) في نفسك (لا أدري) ما يفعل به

. . .عسى أن يُسْلِمَ ويُخْتَمَ له بخيرِ العملِ ويَنْسَلَّ بإسلامِهِ من الذنوبِ كما تَنْسَلُّ الشعرةُ من العجينِ، وأما أنا -والعياذُ باللهِ- فعسى أن يُضلَّنِيَ اللهُ فَأَكْفُرَ فَيُخْتَمَ لي بِشَرِّ العملِ فيكونُ غدًا هو من المقرَّبين وأنا أكونُ من المُبْعَدينَ؛ فلا يَخْرُجُ الكِبْرُ من قلبِك إلا بأن تعرفَ أن الكبيرَ مَنْ هو كبيرٌ عندَ اللهِ تعالى، وذلك مَوْقوفٌ على الخاتمةِ وهي مشكوكٌ فيها فيُشغِلُكَ خَوْفُ الخاتمةِ عن أن تتكبرَ مع الشَّكِّ فيها على عبادِ اللهِ تعالى؛ فَيَقِينُكَ وإيمانُكَ في الحالِ لا يُناقضُ تجويزَكَ التغيُّرَ في الاستقبالِ فإن اللهَ مُقَلِّبُ القلوبِ يَهْدي من يشاءُ ويُضلُّ من يشاءُ . . . .

في المستقبل (عسى أن يسلم) أي الكافر غدًا (ويختم له) أي الكافر (بخير العمل وينسل) أي يخرج (بإسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلني الله) عن دين الإسلام (فأكفر فيختم لي بشر العمل فيكون هو) أي الكافر (غدًا) أي في الآخرة عند الله خيرًا مني ويكون (من المقربين) قربًا معنويًا فيكون في أعلى الدرجات (وأكون) أنا (من المبعدين) من رحمة الله تعالى، وفي نسخة: «من المعذبين» (فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك) أي هذا العرفان (موقوف على الخاتمة) الحسنى (وهي مشكوك فيها) عندك (فيشغلك خوف الخاتمة) السوء (عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى) والجار والمجرور الأول متعلق بيشغلك والثاني متعلق بتتكبر، والظرف متعلق بمحذوف حال من «خوف الخاتمة» أي مصحوبًا بالشك فيها (فيقينك) في نفسك وفي غيرك بالخير أو الشر (وإيمانك في الحال لا يناقض تجويزك التغير في الاستقبال) أي في آخر العمر (فإن الله تعالى مقلب القلوب يهدي من يشاء) فيختم له بخاتمة السعادة (ويضل من يشاء) فيختم له بخاتمة الشقاوة. قال بعضهم في شرح وصية الشيخ الكامل

. . . .

إبراهيم المتبولي[٣٩٦]: وكمال مقام التواضع لا يحصل إلا بشهود العبد في نفسه أنه دون كل أحد من المسلمين وأنه ليس على وجه الأرض أحد أكثر عصيانًا ولا أقل أدبًا وحياء منه على سبيل اليقين لا على سبيل الظن فإن من رأى نفسه فوق أحد من العصاة على غير وجه الشكر لله تعالى فقد شرع في درجات الكبر، وقد أجمع العارفون على أن من عنده شيء من الكبر لا يصح له المداومة على دخول حضرة الله تعالى أبدًا ولو عبد الله تعالى في الظاهر عبادة الثقلين انتهى.

أسباب الكبر سبعة

واعلم أن الإنسان لا يستعظم نفسه إلا وهو يعتقد أن لها صفة من صفات الكمال دينية أو دنيوية؛ فأسباب الكبر سبعة: الأول: العلم قال ﷺ: «آفَةُ العلم الخُيَلاءُ»[٣٩٧] والعلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطرَ الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم. والثاني: العمل والعبادة؛ فالعلماء والعُبّاد في آفة الكبر على ثلاث درجات: الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلبه يرى نفسه خيرًا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرًا من نفسه، وهذا قد رسَّخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية، الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الإنكار على من يقصر في حقه، وأدنى ذلك في العالم أن يصعِّر خده للناس كأنه معرض عنهم، وفي العابد أن يعبس وجهه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم، الثالثة: أن يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعوى والمفاخرة وتزكية النفس وكأن يقول العابد لغيره: من هو؟ وما عمله؟ ومن أين زهده؟ ويقول: إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل، وكأن يقول

---

(٣٩٦) إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي الأحمدي، أبو إسحاق ، صوفي توفي عام ٨٨٠هـ له: الوصية المتبولية (معجم المؤلفين ١/ ٦٦).

(٣٩٧) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦/ ١٠٦٥): المعروف ما رواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف: «آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء».

...والأخبارُ في الحسدِ والكبرِ والرياءِ والعُجْبِ كثيرةٌ ويكفيك فيها حديثٌ واحدٌ جامعٌ فقد روى ابنُ المبارَكِ بإسنادِهِ عن رجل أنه قال لمعاذ حدِّثْني حديثًا سمعْتَهُ من..................

العالم: أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانًا وفلانًا، من أنت وما فضلك؟ ومن لقيت؟ وما الذي سمعت من الحديث؟

والسبب الثالث: النسب؛ فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً وعلمًا، والرابع: الجمال، وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى الغيبة وذكر عيوب الناس.

والخامس: المال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم.

والسادس: القوة والتكبر بها على أهل الضعف.

والسابع: الأتباع والتلامذة والأقارب، ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين فكل ما هو نعمة وأمكن أن يُعتقد كمالًا وإن لم يكن في نفسه كمالًا أمكن أن يُتكبَّر به حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة الفجور بالنسوان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئًا فيه (والأخبار في الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة ويكفيك فيها) أي هذه الأربعة (حديث واحد جامع) لتلك الأربعة (فقد روى) القاضي المروزي وعبدالله (بن المبارك) رحمهما الله تعالى (بإسناده) أي ابن المبارك (عن رجل) وهو خالد بن معدان[٣٩٨] (أنه قال لمعاذ) بن جبل رضي الله عنه الذي قال في حقه رسول الله ﷺ: «أَعْلَمُكُمْ بالحَلالِ والحرام مُعاذُ بنُ جَبَلٍ»[٣٩٩] يا معاذ (حدثني حديثًا سمعته من

---

(٣٩٨) خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، الفقيه العابد، سمعه صفوان يقول: لقيت سبعين من الصحابة، وقال الثوري: ما أقدم عليه أحدًا، وروي عنه أنه كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة توفي عام (١٠٤)هـ. (اهـ العبر في خبر من غبر ١/ ٩٦).

(٣٩٩) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت=

. . . رسولِ اللهِ ﷺ قال: فبكى مُعَاذٌ حتى ظننتُ أنه لا يسكتُ ثم سكتَ ثم قال: واشَوْقاه إلى رسولِ اللهِ ﷺ وإلى لقائِه ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لي: «يا معاذُ إني محدِّثُك بحديثٍ إن أنت حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ عند اللهِ وإن أنت ضيَّعْتَه ولم تحفظْهُ انقطعتْ حُجَّتُك عند اللهِ تعالى يومَ القيامةِ، يا معاذُ إن اللهَ تبارك وتعالى خلقَ سبعةَ أَمْلاكٍ قبل أن يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ فجعلَ لكل سماءٍ من السبعِ مَلَكًا بَوَّابًا عليها فتصعدُ الحَفَظَةُ بعملِ العبدِ من حينِ يصبحُ إلى حينِ يُمْسي، له نورٌ كنورِ الشمسِ حتى إذا صعدتْ به إلى السماءِ الدنيا زكَّتْه وكثَّرتْهُ فيقولُ المَلَكُ الموكَّلُ

رسول الله ﷺ) فحفظته وذكرته في كل يوم من شدته ودقته (قال) أي ذلك الرجل (فبكى معاذ) بكاءً طويلاً (حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال) أي معاذ تلهفًا (واشوقاه إلى رسول الله ﷺ وإلى لقائه ثم قال) أي معاذ (سمعت رسول الله ﷺ) يقول: «الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما يشاء» وهو راكب، وقد أردفني خلفه رافعًا بصره إلى السماء ثم (يقول لي: «يا معاذ إني محدثك بحديث) أي واحد (إن أنت حفظته نفعك عند الله) أي في الدارين (وإن أنت ضيعته) أي نسيته (ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة يا معاذ إن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض) ثم خلق السموات (فجعل لكل سماء من السبع ملكًا بوابًا) خازنًا (عليها) أي كل سماء فكان كل ملك على قدر الباب وجلالته (فتصعد الحفظة بعمل العبد) الكائن (من حين يصبح إلى حين يمسي له) أي لذلك العمل (نور كنور الشمس حتى إذا صعدت) أي الحفظة (به) أي بذلك العمل (إلى السماء الدنيا) أي القربى من الأرض وانتهى إلى الباب وله مصراعان من ذهب ومغاليقها من نور ومفاتيحها اسم الله الأعظم.

(زكته) أي مدحته (وكثرته) أي عدته كثيرًا (فيقول الملك الموكل بها) أي

=وأبي بن كعب (٣٧٩٠)، وابن ماجه في المقدمة باب: فضائل خباب ﷺ (١٥٥) عن أنس بن مالك.

بها للحَفَظَةِ اضربوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِه، أنا صاحبُ الغيبةِ أمرني ربي أن لا أَدَعَ عملَ من اغتابَ الناسَ يجاوزُني إلى غيري. قال: ثم تأتي الحفظةُ بعملٍ صالحٍ من أعمالِ العبدِ له نورٌ فتزكِّيه وتكثِّره حتى تَبْلُغَ به إلى السماءِ الثانيةِ فيقول لهم المَلَكُ الموكَّلُ بها: قِفُوا واضرِبُوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِه إنه أراد بعملِهِ عَرَضَ الدنيا، أنا مَلَكُ الفَخْرِ أمرني ربي أن لا أدعَ عملَه يجاوزُني إلى غيري إنه كان يفتخرُ على الناسِ في مجالِسِهم. قال: وتصعد الحفظةُ بعملِ العبدِ يبتهجُ نورًا من صدقةٍ وصلاةٍ وصيامٍ قد أَعْجَبَ الحفظةَ فيُجاوزون به إلى السماءِ الثالثةِ فيقول لهم الملكُ الموكل بها: ....

السماء الدنيا (للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا) ملك (صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع) أي أترك (عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري) من بوّاب آخر (قال) ﷺ (ثم تأتي الحفظة) من الغد (بعمل صالح) أي خالٍ من إثم الغيبة (من أعمال العبد له نور فتزكيه وتكثره حتى) يجاوز السماء الأولى و(تبلغ به) أي بذلك العمل (إلى السماء الثانية) واسمها الماعون، وهي من حديد أو مرمرة بيضاء (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الثانية واسمه روبائيل (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه) أي صاحب هذا العمل (أراد بعمله عرض الدنيا) أي منفعتها (أنا ملك الفخر) أي أنا الملك الموكل باحتراز الفخر (أمرني ربي أن لا أدع عمله) أي هذا المفتخر (يجاوزني إلى غيري) من بوّاب آخر (إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم) فتلعنه الملائكة حتى يمسي (قال) ﷺ (وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج) أي يضيء (نورًا من صدقة وصلاة وصيام) وكثير من البر (قد أعجب) أي ذلك العمل (الحفظة فيجاوزون به) أي العمل السماء الأولى والثانية وانتهوا به (إلى السماء الثالثة) وهي من نحاس، وقيل: من حديد، ويقال لها: هاربوت، وتسبيح أهلها: سبحان الحي الذي لا يموت، ومن قالها كان له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء

. . . قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا مَلَكُ الكِبْرِ أمرني ربي أن لا أدعَ عَمَلَهُ يجاوزُني إلى غيري؛ إنه كان يتكبرُ على الناسِ في مجالِسِهم. قال: وتصعدُ الحفظةُ بعملِ العبدِ يزهو كما يزهو الكوكبُ الدُّرِّيُّ وله دَوِي من تسبيحٍ وصلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وعمرةٍ حتى يُجاوزوا به إلى السماءِ الرابعةِ فيقولُ لهم الملكُ الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِه وظهرَه وبطنَه، أنا صاحِبُ العُجْبِ أمرني ربي أن لا أدعَ عملَه يُجاوزُني إلى غيري؛ إنه كان إذا عَمِلَ عملاً أَدْخَلَ العُجْبَ فيه. قال: وتصعدُ الحفظةُ بعملِ العبدِ حتى يُجاوزوا به إلى السماءِ الخامسةِ كأنه العروسُ المزفوفةُ إلى بَعْلِها فيقولُ لهم

الثالثة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر) أي ملك صاحب الكبر (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري) أي من بوّاب بعدي (إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال) ﷺ (وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو) أي يضيء (كما يزهو الكوكب الدري) بضم الدال وكسرها أي المضيء (وله دوي) أي حفيف كحفيف النحل وحفيف جناح الطائر وحفيف الريح (من تسبيح وصلاة وصيام وحج وعمرة حتى يجاوزوا به) السماء الثالثة وانتهوا به (إلى السماء الرابعة) وهي من نحاس، وقيل: من فضة ويقال لها: الزاهر وتسبيح أهلها: سبحان الملك القدوس، من قالها كتب له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الرابعة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه أنا) ملك (صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري) من بوّاب بعدي (إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب فيه) أي في ذلك العمل (قال) ﷺ (وتصعد الحفظة بعمل العبد) من جهاد وحج وعمرة له ضوء كضوء الشمس (حتى يجاوزوا به) من السماء الرابعة (إلى السماء الخامسة) وهي من فضة، وقيل: من ذهب، ويقال لها: المسهرة، وذلك العمل يزف (كأنه العروس المزفوفة إلى بعلها) أي زوجها (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي السماء

الملكُ الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقِه أنا مَلَكُ الحَسَدِ إنه كان يَحْسُدُ من يتعلَّمُ ويعملُ بمثلِ عملِهِ وكُلُّ من كان يأخذُ فضلاً من العبادةِ كان يَحْسُدُهم ويقعُ فيهم، أمرني ربي أن لا أدعَ عملَه يجاوزني إلى غيري. قال وتصعد الحفظةُ بعملِ العبدِ له ضوءٌ كضوءِ الشمسِ من صلاةٍ وزكاةٍ وحجٍّ وعمرةٍ وجهادٍ وصيامٍ فيُجاوزُون به إلى السماءِ السادسةِ فيقولُ لهم الملكُ الموكَّلُ بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يَرْحَمُ إنسانًا قط من عبادِ الله أصابه بلاءٌ أو مرضٌ بل كان يَشْمَتُ به، أنا مَلَكُ الرحمةِ أمرني ربي أن لا أدعَ عملَهُ يُجاوزني إلى غيري. قال: وتصعد الحفظةُ بعملِ..........

الخامسة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه) وهو محل الرداء وهو ما بين المنكب والعنق (أنا ملك الحسد إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ) أي يفعل (فضلاً من العبادة كان يحسدهم ويقع) أي يغتاب (فيهم) وفي «منهاج العابدين» «فيقول الملك: أنا ملك صاحب الحسد إنه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله».

(أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري) من بعد هذه السماء (قال) ﷺ (وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء الشمس من) وضوء تام و(صلاة) كثيرة (وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به) أي بذلك العمل من السموات الخمس (إلى السماء السادسة) وهي من ذهب، وقيل: من جوهر، ويقال لها: الخالصة (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء السادسة، واسمه طوطئيل (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانًا قط من عباد الله أصابه بلاء أو مرض بل كان يشمت به) بفتح الميم أي يفرح بمصيبة نزلت بالإنسان (أنا ملك الرحمة) أي أنا ملك صاحب الرحمة (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري) من خازن بعدي (قال) ﷺ (وتصعد الحفظة بعمل

. . .العبدِ من صومٍ وصلاةٍ ونفقةٍ وجهادٍ وورعٍ له دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النحلِ وضوءٌ كضوءِ الشمسِ ومعه ثلاثةُ آلافِ مَلَكٍ فيُجاوزون به إلى السماءِ السابعةِ فيقولُ لهم الملكُ الموكلُ بها: قفوا واضربوا بهذا العملِ وجه صاحبه واضربوا جوارحَهُ واقفلوا به على قلبِه أنا صاحبُ الذِّكْرِ فإني أَحْجُبُ عن ربي كُلَّ عملٍ لم يُرَدْ به وجهُ ربي إنه إنما أراد بعملهِ غيرَ اللهِ تعالى إنه أراد به رِفْعَةً عند الفُقَهاءِ وذكرًا عند العلماءِ وصِيتًا في المدائنِ، أمرني ربي أن لا أدعَ عملَه يُجاوزُني إلى غيري، وكُلُّ عملٍ لم يكن للهِ تعالى خالصًا فهو رِياءٌ، ولا يقبلُ اللهُ عملَ المُرَائي. قال: وتصعدُ. . . . .

العبد من صوم وصلاة ونفقة) أي كثيرة في سبيل الله (وجهاد) لإعلاء دين الله (وورع) أي نقاء من الحرام والشبهة (له) أي لذلك العمل (دوي) أي صوت خفي (كدوي النحل وضوء كضوء الشمس) وفي «منهاج العابدين»: «له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق» (ومعه) أي ذلك العمل (ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به) من السموات الستة (إلى السماء السابعة) وهي من ياقوتة حمراء ويقال لها: اللابية، وتسبيح أهلها: سبحان خالق النور، ومن قالها كان له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بتلك السماء السابعة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه) أي أعضاءه التي يكتسب بها (واقفلوا) أي أغلقوا واضربوا (به) أي بذلك العمل (على قلبه أنا صاحب الذكر) أي السمعة والصيت في الناس (فإني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد) أي لم يقصد (به وجه ربي إنه إنما أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد به) أي بذلك العمل (رفعة عند الفقهاء) وعند القرناء (وذكرًا) في المجالس (عند العلماء) وجاهًا عند الكبراء (وصيتًا) بكسر الصاد أي ذكرًا جميلًا بين الناس منتشرًا (في المدائن) أي البلدان (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري) من الحجب التي بعد هذا الباب (وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصًا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال) ﷺ (وتصعد

. . .الحفظةُ بعملِ العبدِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحَجٍّ وعمرةٍ وخُلُقٍ حسنٍ وصَمْتٍ وذِكْرٍ للهِ تعالى؛ فَتُشَيِّعُهُ ملائكةُ السمواتِ السبعِ حتى يقطعوا به الحُجُبَ كُلَّها إلى اللهِ تعالى فَيَقِفُونَ بين يَدَيْهِ ويشهدون له بالعملِ الصالحِ المُخْلَصِ للهِ تعالى فيقولُ اللهُ تعالى: أنتم الحفظةُ على عملِ عبدي وأنا الرقيبُ على ما في قلبِه إنه لم يُرِدْني بهذا العملِ وإنما أراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكةُ كُلُّها: عليه لعنتُك ولعنتُنا فتلعنُهُ السمواتُ السبعُ ومن فيهنَّ».

ثم بكى معاذ وانتحبَ انتحابًا شديدًا، وقال معاذ: قُلْتُ: . . .

الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت) أي سكوت عما لا ينفع في الدنيا والآخرة (وذكر لله تعالى) في السر والجهر (فتشيعه) أي تتبعه (ملائكة السموات السبع حتى يقطعوا) أي يجاوزوا (به) أي بذلك العمل (الحجب كلها إلى الله تعالى فيقفون بين يديه) جل جلاله (ويشهدون له) أي ذلك العبد (بالعمل الصالح المخلص لله تعالى) أي بحسب علمهم (فيقول الله تعالى) لهم (أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب) أي الحافظ (على ما في قلبه إنه لم يردني بهذا العمل وإنما أراد به غيري) وما أخلصه لي، وأنا أعلم بما أراد من عمله، عليه لعنتي غرَّ الآدميين وغرَّكم ولم يغرني وأنا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا تخفى علي خافية ولا تعزب عني عازبة، علمي بما كان كعلمي بما يكون، وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي، وعلمي بالأولين كعلمي بالآخرين، أعلم السر وأخفى فكيف يغرني عبدي بعمله إنما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون الغيب وأنا علام الغيوب.

(فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها) أي ملائكة السموات السبع المشيعون: يا ربنا (عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن» ثم بكى معاذ) رحمه الله (وانتحب) أي رفع صوته بالبكاء (انتحابًا شديدًا وقال معاذ: قلت:

. . .يا رسولَ اللهِ أنت رسولُ اللهِ وأنا معاذ فكيفَ لي بالنجاةِ والخلاصِ من ذلك قال: «اقْتَدِ بي وإن كان في عملِك نقصٌ؛ يا معاذُ حافظْ على لسانِك من الوقيعةِ في إخوانِك من حَمَلَةِ القرآنِ خاصَّةً واحملْ ذنوبَك عليك ولا تحملْها عليهم، ولا تُزَكِّ نفسَك بِذَمِّهم ولا ترفعْ نفسَك عليهم بوضعِهم، ولا تُدْخِلْ عملَ الدنيا في عملِ الآخرةِ، ولا تُرَاءِ بعملِك ولا تتكبرْ في مجلسِك لكي يحذرَ الناسُ من سوءِ خُلُقِكَ، ولا تُناجِ رجلاً وعندكَ آخرُ، ولا تتعظمْ على الناسِ فتنقطعَ عنك خيراتُ الدنيا والآخرةِ ولا تُمزقِ الناسَ بلسانِك فتمزِّقَكَ كلابُ

يا رسول الله أنت رسول الله) أي أنت معصوم من الذنوب (وأنا معاذ) بن جبل أي لست بمعصوم (فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك) أي المذكور من الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمعة والرياء (قال) ﷺ يا معاذ («اقتد بي) أي في اليقين (وإن كان في عملك نقص) أي قصور (يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة) أي الغيبة (في إخوانك من حملة القرآن خاصة) أي وفي الناس عامة (واحمل ذنوبك عليك) وفي نسخة: «على عاتقك» (ولا تحملها) أي الذنوب (عليهم) أي الإخوان (ولا تزك نفسك) متلبسًا (بذمهم) أي الإخوان (ولا ترفع نفسك عليهم بوضعهم) على سبيل التكبر (ولا تدخل عمل الدنيا) كطلب منفعتها (في عمل الآخرة) من نحو طلب العلم (ولا تراء بعملك) كي تعرف في الناس بل أَرِهِ ليُقتدى بك ولا تدخل في الدنيا دخولاً ينسيك أمر الآخرة (ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك) وفي «منهاج العابدين»: «ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمن على الناس» (ولا تناج رجلاً) وفي نسخة «خِلًّا» بكسر الخاء أي صديقًا (وعندك آخر) أي رجل واحد فقط (ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة) من نحو المال والعلم لتجنبهم عنك ولعدم تواضعك (ولا تمزق الناس بلسانك) أي لا تغتب ولا تشتم (فتمزقك كلاب

النارِ يومَ القيامةِ في النارِ قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطًا ۝٢﴾ [النَّازعَات: الآية ٢] هل تدري ما هُنَّ يا معاذُ؟» قلت: ما هي بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللهِ؟ قال: «كلابٌ في النارِ تَنْشِطُ اللَّحْمَ من العَظْمِ» قُلْتُ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللهِ من يُطيقُ هذه الخِصالَ ومن ينجو منها؟ قال: «يا معاذُ إنه لَيَسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تعالى عليه إنما يكفيك من ذلك أن تحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِك وتكرهُ لهم ما تكرهُ لنفسِك فإذنْ أنت يا معاذُ قد سَلِمْتَ».

قال خالدُ بنُ مَعْدَانَ: فما رأيتُ أحدًا أكثرَ تلاوةً للقرآنِ العظيمِ من مُعاذٍ لهذا الحديثِ العظيم.

النار) أي جهنم («يوم القيامة في النار قال الله تعالى: والناشطات نشطًا هل تدري ما هن؟) أي الناشطات (يا معاذ» قلت: ما هي بأبي أنت وأمي) أي أنت مفدي بأبي وأمي فالباء للتعدية (يا رسول الله قال) ﷺ: هن («كلاب في النار تنشط اللحم) أي تنزعه (من العظم قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال) ﷺ: («يا معاذ إنه) أي الذي وصفت لك («ليسير على من يسره الله تعالى عليه إنما يكفيك من ذلك») أي المذكور (أن تحب للناس) من الأمور الأخروية (ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فإذن أنت يا معاذ قد سلمت») ونجوت (قال خالد بن معدان) رحمه الله (فما رأيت أحدًا أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم)[٤٠٠] نبؤه الكبير خطره الأليم أثره الذي تطير له القلوب وتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع لهوله النفوس.

---

(٤٠٠) قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٩): رواه ابن المبارك في كتاب الزهد عن رجل لم يسمه عن معاذ، ورواه ابن حبان في غير الصحيح، والحاكم، وغيرهما. وروي عن علي وغيره، وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وبجميع ألفاظه، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٥٤).

فتأملْ أيها الراغبُ في العلمِ هذه الخِصالَ واعلمْ أن أعظمَ الأسبابِ في رسوخِ هذه الخبائثِ في القلبِ طلبُ العلمِ لأجلِ المُباهاةِ والمنافسةِ؛ فالعاميُّ بمَعْزِلٍ عن أكثرِ هذهِ الخصالِ، والمُتَفَقِّهُ مستهدَفٌ لها وهو متعرِّضٌ للهلاكِ بسببِها؛ فانظرْ: أيُّ أمورِك أهمُّ؟ أتتعلمُ كيفيةَ الحذرِ من هذه المهلكاتِ وتشتغلُ بإصلاحِ قلبِك وعمارةِ آخرتِك أم الأهمُّ أن تخوضَ مع الخائضينَ فتطلبَ من العلمِ ما هو سببُ زيادةِ الكبرِ والرياءِ والحسدِ والعُجْبِ حتى تهْلِكَ مع الهالكينَ.

واعلم أن هذه الخصالَ الثلاثَ من أمهاتِ خبائثِ القلوبِ، . . . .

(فتأمل أيها الراغب في العلم هذه الخصال) واعتصم بمولاك إله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين؛ فإنه لا نجاة من هذا الأمر إلا برحمته، ولا سلامة من هذا البحر إلا بعنايته؛ فجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين (واعلم أن أعظم الأسباب في رسوخ) أي ثبوت (هذه الخبائث) أي التي هي الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمعة والرياء (في القلب طلب العلم لأجل المباهاة) أي المفاخرة (والمنافسة) بالسين المهملة أي الرغبة في كون العلم لنفسه خاصة دون غيره لأنه نفيس (فالعاصي) أي الذي لم يتفقه (بمعزل) أي تبعُّد (عن أكثر هذه الخصال والمتفقه مستهدف) أي منتصب (لها) أي هذه الخصال (وهو متعرض) أي مقبل (للهلاك بسببها) أي هذه الخصال (فانظر) أي تفكر (أي أمورك أهم أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الأهم أن تخوض) أي تُوجِد الكلام الذي هو في غير موقعه (مع الخائضين) أي مع المتكلمين بما لا ينفع (فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين، واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلوب) وعدَّ المصنف الكبر والعجب خصلة واحدة

. . . ولها مَغْرَسٌ واحدٌ وهو حبُّ الدنيا، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «حبُّ الدنيا رَأْسُ كُلِّ خَطيئةٍ» ومع هذا فالدنيا مزرعةٌ للآخرةِ فمن أخذَ من الدنيا بقدرِ الضرورةِ ليستعينَ بها على الآخرةِ فالدنيا مزرعتُهُ ومن أرادَ الدنيا ليتنعمَ بها فالدنيا مَهْلَكَتُهُ؛ فهذه نُبْذَةٌ يسيرةٌ من ظاهرِ علمِ التقوى، وهي بدايةُ الهدايةِ فإن جَرَّبْتَ بها نفسَك وطاوعَتْك عليها فعليك بكتابِ «إحياء علوم الدين» لتعرفَ كيفيةَ

لما بينهما من التلازم والتقارب، ولذلك لم يذكرا في أول الباب (ولها) أي هذه الثلاثة (مغرس) أي أصل (واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال النبي ﷺ: **«حب الدنيا رأس كل خطيئة»**) فإنه يوقع في الشبهات ثم في المكروهات ثم في المحرمات وكما أن حبها رأس كل خطيئة فبغضها رأس كل حسنة، روى هذا الحديث البيهقي عن الحسن البصري مرسلاً كذا في «الجامع الصغير» وشرحه وقال الزرقاني: وهذا من كلام مالك بن دينار كما رواه ابن أبي الدنيا أو من كلام عيسى عليه السلام كما رواه البيهقي في الزهد، وقال في «شعب الإيمان»: هذا لا أصل له عن النبي ﷺ إنه من مراسيل الحسن البصري (ومع هذا فالدنيا) أي دار الدنيا (مزرعة) لدار (الآخرة فمن أخذ من الدنيا) شيئًا (بقدر الضرورة) أي الحاجة (ليستعين بها) أي بالدنيا، وفي بعض النسخ «به» أي بالقدر المأخوذ (على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته) قال بعضهم: طلب الكسب لازم، وهو أربعة أنواع: فرض وهو كسب أقل الكفاية لنفسه وعياله ودينه، ومستحب وهو الزائد على ذلك ليواسي به فقيرًا أو يصل به رحمًا وهو أفضل من نفل العبادة، ومباح وهو كسب الزائد على ذلك للتنعم والتجمل، وحرام وهو كسب ما أمكن للتكاثر والتفاخر أي ادعاء العظم والشرف (فهذه) أي المذكورات من أول الكتاب (نبذة يسيرة) أي شيء قليل (من ظاهر علم التقوى وهي بداية الهداية فإن جربت) أي اختبرت مرة بعد أخرى (بها) أي بهذه البداية (نفسك) أي الأمارة وغيرها (وطاوعتك) أي انقادت لك (عليها) أي على أداء مقتضاها (فعليك) أي الزم وتمسك (بكتاب «إحياء علوم الدين» لتعرف كيفية

الوصولِ إلى باطنِ التقوى؛ . . . .

الوصول إلى باطن التقوى).

ما ينبغي استحضاره في القلب
عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

وأنقل منه الآن شيئًا مما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة، وهو: فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر؛ فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءًا بالاستبشار مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى، وإذا أتيت بالطهارة فلا تغفل عن قلبك فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت.

وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك بعورات باطنك وفضائح سرائرك؛ فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها ولا يكفرها إلا الندم والحياء والخوف. وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات عن جهة بيت الله تعالى فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك؛ فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفرغ عما سواه.

أما الاعتدال قائمًا فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله ﷻ فليكن رأسك مطرقًا تنبيهًا على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك هاهنا خطر القيام بين يدي الله تعالى في هول القيامة عند العرض للسؤال.

وأما النية فاعزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن مفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقربة منه.

وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء أكبر من الله فالله يشهد إنك لكاذب.

. . . .

وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض» وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة، والله يتقدس عن أن تحده الجهات، وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه إلى همه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل إلى فاطر السموات.

وإذا قلت: «حنيفًا مسلمًا» فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبًا. وإذا قلت: «وما أنا من المشركين» فأخطر ببالك الشرك الخفي وكن حذرًا من هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه. وإذا قلت: «محياي ومماتي لله» فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده.

وإذا قلت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله تعالى حسدًا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له، واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ؛ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها. وإذا قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم» فانْوِ بها التبرك لابتداء القراءة بكلام الله وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله وأن المراد بالاسم هنا المسمى.

ومعنى الحمد أن الشكر لله إذ النعم من الله.

وإذا قلت: «الرحمن الرحيم» فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته ثم استثر من قلبك التعظيم لله والخوف لهول يوم الحساب بقولك: «مالك يوم الدين» ثم جدد الإخلاص بقولك: «إياك نعبد»، وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك: «وإياك نستعين» ثم اطلب أهم حاجتك وقل: «اهدنا الصراط المستقيم» ثم التمس الإجابة وقل: «آمين» فإذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: «قَسَمْتُ الصلاةَ- أي قراءتها- بيني وبين عبدي نصفين -أي نصفها لي ونصفها لعبدي- ولعبدي ما سأل فإذا قال العبدُ: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمين» قال

. . . فإذا عَمَرْتَ بالتقوى باطنَ قلبِك فعند ذلك ترتفعُ الحُجُبُ بينك وبين ربِّك وتنكشفُ لك أنوارُ المعارفِ وتنفجرُ من قلبِك ينابيعُ الحِكَمِ

اللهُ تعالى: حَمِدَني عبدي؛ فإذا قال العبدُ: «الرحمن الرحيم» قال اللهُ تعالى: أثنى عليّ عبدي؛ فإذا قال العبدُ: «مالك يوم الدين» قال: مجّدني عبدي؛ فإذا قال العبدُ: «إياك نعبدُ وإياك نستعينُ» قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال العبدُ: «اهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين» قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[٤٠١] وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور، وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله تعالى وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله تعالى من عقابه، وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدبًا وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ثم تأمل أن الله يرد عليك سلامًا وافيًا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجددًا عهد الله تعالى بإعادة كلمتي الشهادة. ثم ادْعُ في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع وصدق الرجاء بالإجابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به، وأضمر في قلبك شكر الله تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطاعة، وتوهم أنك مودِّع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها وخَفْ أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتًا بذلك ظاهرًا وباطنًا فترد صلاتك في وجهك، وارْجُ مع ذلك أن يقبلها الله تعالى بكرمه وفضله. وكان بعضهم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتلهف، وفي مداومة ذلك ينبغي أن يجتهد (فإذا عمرت) أي ملأت (بالتقوى باطن قلبك) كما وصف لك (فعند ذلك ترتفع الحجب) أي الموانع للشهود (بينك وبين ربك) تعالى (وتنكشف لك أنوار المعارف وتنفجر) أي تنبجس (من قلبك ينابيع الحكم) أي عيون العلوم النافعة

(٤٠١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٣٩٥) عن أبي هريرة.

وتتضحُ لك أسرارُ المُلْكِ والملكوتِ ويتيسرُ لك من العلومِ ما تستحقرُ به هذه العلومَ المُحْدَثَةَ التي لم يكن لها ذِكْرٌ في زمنِ الصحابةِ ﷺ والتابعينَ، وإن كُنْتَ تطلبُ العِلْمَ من القيلِ والقالِ والمراءِ والجدالِ فما

(وتتضح لك أسرار الملك والملكوت) الملك ما تشهده بعين بصرك، والملكوت ما تدركه بعين بصيرتك (ويتيسر لك من) حصول (العلوم) اللدنية من الأسرار والمكاشفات والمعارف من غير كسب وتعب، والجار والمجرور بيان لما بعده (ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة) أي المؤلفات للعلماء (التي لم يكن لها) أي لهذه المحدثة (ذكر في زمن الصحابة ﷺ والتابعين) كالفقه والنحو واللغة وغيرها من المؤلفات؛ حكي أن الإمام الغزالي صار إمامًا في مسجده وله أخ اسمه أحمد لم يقتد به فقال الإمام لأمه: يا أمي مُري أخي أحمد بالاقتداء بي في الصلاة لئلا يتهمني الناس على سوء فعلي فأمرته بذلك فاقتدى به فرأى أن في بطن الإمام دمًا ففارقه ثم لما فرغ من الصلاة سأله الإمام عن سبب مفارقته في الصلاة فقال له أخوه: إني رأيت بطنك مملوءًا بالدم، وقد كان الإمام حالة الصلاة يتذكر مسألة المتحيرة فقال له الإمام: من أين أخذت العلم؟ فقال: أخذته من الشيخ العُتَقي -بضم العين وفتح التاء- وهو الذي يخيط النعال القديمة ويصلحها -فذهب الإمام إلى الشيخ الخرازي فقال له: يا سيدي أريد أن آخذ العلم منك فقال: لعلك لا تطيق إطاعة أمري فقال: إن شاء الله تعالى أطيق ذلك فقال اكنس: هذه الأرض فلما أراد الإمام أن يكنسها بالمكنس أمره بكنسها باليد فكنسها بيده ثم رأى عذرة كثيرة جدًا في الأرض فقال ذلك الشيخ: اكنس هذه العذرة فلما أراد الإمام أن يفسخ ثيابه قال له الشيخ: اكنسها مع ما أنت عليه من اللباس؛ فلما أراد أن يكنسها برضا قلب نهاه الشيخ عن الكنس وأمره بالرجوع إلى بيته فلما رجع الإمام وتعدى إلى مدرسته وهو محل تعليم العلوم للطلبة فقال للناس: في هذا محل تلاعبنا مع الصبيان، وقد أعطاه الله تعالى العلوم اللدنية وصار حينئذ يرى أن جميع العلوم التي علّمها للناس حقيرة بالنسبة لهذه العلوم التي أفاضها الله تعالى على قلبه من غير كسب وتعب منه ﷺ (وإن كنت تطلب العلم من القيل والقال) أي المخاصمة (والمراء والجدال فما أعظم

أعظمَ مصيبتَك وما أطولَ تعبَك وما أعظمَ حرمانَك وخُسْرانَك.

فاعملْ ما شِئْتَ فإن الدنيا التي تطلبُها بالدِّين لا تَسْلَمُ لك والآخرةُ تُسْلَبُ منك؛ فمن طلبَ الدنيا بالدينِ خَسَّرَهُما جميعًا ومن تركَ الدنيا للدينِ رَبِحَهُما جميعًا؛ فهذه جُمَلُ الهدايةِ إلى بدايةِ الطريقِ في معاملتِك مع اللهِ تعالى بأداءِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه، وأشيرُ عليك الآن بجُمَلٍ من الآدابِ لِتُؤاخِذَ نفسَك بها في مخالطتِك مع عبادِ اللهِ تعالى وصُحْبَتِك معهم في الدنيا.

مصيبتك) أي شدتك النازلة عليك (وما أطول تعبك وما أعظم حرمانك) أي امتناعك من الخير (وخسرانك فاعمل ما شئت) من المنهيات إن لم تخف الهلاك (فإن الدنيا) أي متاعها (التي تطلبها بالدين لا تسلم) أي تلك الدنيا (لك والآخرة تسلب) أي تذهب (منك فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما) بتشديد السين أي أهلكهما (جميعًا ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعًا) أي استشفّ فيهما؛ فإن الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة لأوليائه وعدوة لأعدائه: أما عداوتها لله تعالى فإنها تقطع الطريق عن أوليائه، وأما عداوتها لأوليائه تعالى فلأنها تزينت لهم بزينتها وأعمتهم بزهرتها فتجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وأما عداوتها لأعداء الله تعالى فلاستدراجها لهم بمكرها حتى عوّلوا عليها (فهذه) أي المذكورات كلها.

(جمل الهداية إلى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى بأداء أوامره واجتناب نواهيه) وفي بعض النسخ: «مناهيه» وهو أولى (وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ) أي لتحاسب وتداوي (نفسك) القبيحة (بها) أي بتلك الجمل (في مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم في الدنيا) فالأدب هو استعمال ما يحمد قولًا وفعلًا أي بحسن الأحوال والأخلاق واجتماع الخصال المحمودة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والأخذ. وقال ابن عطاء الله: الأدب الوقوف مع المستحسنات، وقيل: الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: هو تعظيم من

. . . .

فوقه والرفق بمن دونه. قال بعض المتقدمين: كما أن قوت الأجساد بالأطعمة المصنوعة كذا قوت العقل بالآداب المسموعة. وقال بعضهم من بحر المتقارب:

وما كُلّ وقتٍ تَرَى مُسْعِفًا ... فكن حافظًا لطريقِ الأدب

تَرَى اللهَ يكشفُ ما قَدْ خَفِي ... فَتَحْظَى بأجرٍ ونَيْلِ الرُّتَب

القول في آداب الصُحبَةِ والمُعاشرة مع الخالقِ عز وجل ومع الخَلْقِ

اعلمْ أن صاحبَك الذي لا يفارقُك في حَضَرِك وسَفَرِك ونَوْمِك ويَقَظَتِك بل في حياتِك وموتِك هو ربُّك وسيدُك ومولاك وخالقُك ومهما ذكرتَه فهو جليسُك؛ إذ قال اللهُ تعالى: «أنا جليسُ مَنْ ذَكَرني»

(القول في آداب الصحبة والمعاشرة
مع الخالق عز وجل ومع الخلق)

وهذه الترجمة بيان للقسم الثالث الذي وعد المصنف بذكره في قوله: «وألحق قسمًا ثالثًا» (اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك) أي بلدك (وسفرك ونومك ويقظتك بل في حياتك وموتك هو ربك) أي مصلحك (وسيدك) أي مالكك (ومولاك) أي ناصرك (وخالقك ومهما) أي في أي وقت (ذكرته) بلسانك أو بقلبك أو بهما (فهو جليسك) أي مجالسك فلا ينساك (إذ قال الله تعالى) في الحديث القدسي («أنا جليس من ذكرني»)(٤٠٢) وقال الله تعالى: «عبدي أنا عند ظنك بي وأنا معك- أي بالتوفيق أو أنا معك بعلمي- إذا ذكرتني»(٤٠٣) أي إذا دعوتني فأسمع ما تقول فأجيبك، هذا وما أشبهه في ذكر عن يقظة لا عن غفلة، وقال الله تعالى: «يا ابنَ آدمَ إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتُك في ملأ خَيرٍ منه، وإن دَنَوْتَ مني ذِراعًا دنوتُ منك بَاعًا، وإن

---

(٤٠٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٥١) (٦٨٠) عن كعب، والحديث بتمامه: قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. قال: إني أكون على حال أجلك عنها قال: ما هي يا موسى؟ قال: الغائط والجنابة قال: اذكرني على كل حال.

(٤٠٣) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٤) (١٨٢٨) عن أنس بن مالك.

ومهما انكسَر قلبُك حزنًا على تقصيرك في حقِّ دينِك فهو صاحبُك ومُلازِمُك إذ قال اللهُ تعالى: «أنا عند المُنْكَسِرَةِ قلوبُهُمْ من أجلي» فلو عرفتَه حقَّ معرفتِه لاتخذتَه صاحبًا وتركتَ الناسَ جانبًا؛ فإن لم تقدرْ على ذلك في جميعِ أوقاتك فإياك أن تُخَلِّي لَيْلَك ونهارك عن وقتٍ تخلو فيه. . . . .

أتيتَني تمشي أتيتُ إليك أُهَرْوِلُ»(٤٠٤) والمعنى إن ذكرتني سرًّا إخلاصًا وتجنبًا للرياء أُسرع بثوابك على منوال عملك، وإن ذكرتني في جماعة افتخارًا بي وإجلالًا لي بين خلقي ذكرتُك في الملائكة المقربين وأرواح المرسلين مباهاةً بك وإعظامًا لقدرك، وإن تقربت مني بالاجتهاد والإخلاص في طاعتي قربتُك بالهداية والتوفيق، وإن زدتَ زدتُ كذا أفاده العزيزي (ومهما انكسر قلبك) أي ذل (حزنًا على تقصيرك في حق) أي جنب (دينك فهو صاحبك وملازمك إذ قال الله تعالى) في الحديث القدسي (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي)(٤٠٥) أي أنا مع الخاشعين بالتوفيق من أجل التقصير في الطاعة، ومن أجل حصول المعصية (فلو عرفته) تعالى أيها العاقل (حق معرفته لاتخذته صاحبًا وتركت الناس جانبًا) كما قال الشاعر من بحر الخفيف:

مُـذْ عـرفـتُ الإلـهَ لـم أرَ غَـيْـرًا ... وكـذا الـغَـيْـرُ عـنـدنـا مـمـنـوعُ
مُـذْ تجـمَّـعـتُ مـا خَـشِـيـتُ افـتـراقًـا ... وأنـا الـيـومَ واصِـلٌ مـجـمـوعُ

وكما قال الشاعر من بحر البسيط:

لِكُـلِّ شـيءٍ إذا فـارقْـتَـهُ عِـوَضٌ ... ولـيـس لـلـهِ إن فـارقْـتَ مِـنْ عِـوَضِ

(فإن لم تقدر على ذلك) أي اتخاذ الله صاحبًا وترك الناس جانبًا بملازمة الطاعة وإكثار الذكر واجتناب المعاصي (في جميع أوقاتك فإياك) أي احذر (أن تخلي) بتشديد اللام أي تترك (ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه) أي تنفرد في ذلك

---

(٤٠٤) أخرجه بلفظه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٣٨) (١٢٤٢٨) عن أنس.

(٤٠٥) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٣٤): قال في المقاصد: ذكره في البداية=

. . .لِمَوْلاكَ وتتلذذُ معه بمناجاتِك له، وعند ذلك فعليك أن تتعلمَ آدابَ الصحبةِ مع اللهِ تعالى، وآدابُها: إطراقُ الرأسِ وغضُّ الطَّرْفِ وجَمْعُ الهَمِّ ودوامُ الصَّمْتِ وسكونُ الجوارحِ ومبادرةُ الأمرِ واجتنابُ النهيِ وقلةُ الاعتراضِ على القَدَرِ. . . . .

الوقت (لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له) بصلاة النفل وغيرها (وعند ذلك) أي الخلوة (فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى) فإن الله تعالى أمرنا بالآداب.

آداب الصحبة مع الله تعالى

(وآدابها) أي الصحبة مع الله تعالى أربعة عشر: الأول (إطراق الرأس وغض الطَرف) أي خفضه (و) الثاني (جمع الهم) أي القصد مع الاعتماد على الله (و) الثالث (دوام الصمت) أي عما لا يفيد في الدين لقوله ﷺ: «**عليكَ بِطُولِ الصَّمْتِ فإنه مَطْرَدَةٌ للشيطانِ**»[٤٠٦].

(و) الرابع (سكون الجوارح) عن الملاغاة لأنه يستلزم الخشوع والخضوع وحضور القلب مع الله تعالى (و) الخامس (مبادرة) امتثال (الأمر) أي من الواجب والمندوب (و) السادس (اجتناب النهي) أي المحرم والمكروه (و) السابع (قلة الاعتراض) أي عدم الاعتراض (على القدر) بتحريك الدال أي على تقدير الله الأمور؛ قال النبي ﷺ: «**اعبدِ اللهَ بالرضا فإن لم تستطعْ ففي الصبرِ على ما تكرهُ خَيْرٌ كَثيرٌ**»[٤٠٧] وقال أيضًا: «**قال اللهُ تعالى: أنا اللهُ لا إله إلا أنا**

=للغزالي، وقال القاري عقبه: ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية قلت: وتمامه: «**وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي**»، ولا أصل لهما في المرفوع انتهى. وقال محمد الأمير المالكي في النخبة البهية (ص٣٧): كلام الغزالي في بدايته، وليس بحديث قدسي بل من كلام الإمام الشافعي.

(٤٠٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٤٢) (٤٩٤٢)، وأخرجه كذلك ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) (٣٦١) ضمن حديث طويل عن أبي ذر.

(٤٠٧) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكنه طرف من حديث ابن عباس المعروف الذي=

...ودوامُ الذكرِ وملازمةُ الفِكْرِ وإيثارُ الحقِّ على الباطلِ والإياسُ عن الخلقِ والخضوعُ تحت الهيبةِ والانكسارُ تحت الحياءِ والسكونُ عن حِيَلِ الكسبِ ثقةً بالضَّمانِ..............

فمن لم يصبِرْ على بلائي ولم يشكرْ لِنَعْمائي ولم يَرْضَ بقضائي فليطلبْ ربًّا سِوائي»[٤٠٨] وقال أبو علي الدَّقَّاق رحمه الله تعالى: «ليس الرضا أن لا يُحسَّ بالبلاء إنما الرضا أن لا يعترضَ على الحكم والقضاء» وحكي عن الشيخ عفيف الدين الزاهد أنه كان بمصر فبلغه ما وقع ببغداد من قتل التتار أهلها فأنكره وقال :يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فرأى في المنام رجلاً في يده كتاب فإذا فيه بيتان من بحر المتقارب وهما:

دَعْ الاعْـتـراضَ فـمـا الأمـرُ لَكْ ... ولا الـحُـكْـمُ فـي حَـركـاتِ الـفَـلَكْ
ولا تـسـألِ الـلـهَ عَـنْ فِـعْـلِهِ ... فـمـن خـاضَ لُجَّـةَ بـحـرٍ هَـلَكْ

(و) الثامن (دوام الذكر) أي باللسان والقلب (و) التاسع (ملازمة الفكر) في نعمة الله تعالى وفي جلاله تعالى (و) العاشر (إيثار الحق) أي اختياره وتقديمه (على الباطل) وفي بعض النسخ سقوط هذا الجار والمجرور، والمعنى تقديم الله تعالى في الرجوع إليه على الخلق وعلى كل ما سواه، والمراد بالحق على هذا هو الله تعالى (و) الحادي عشر (الإياس) أي قطع الرجاء (عن الخلق) أي عدم الاعتماد على الخلق في حاجتك في السفر والحضر لأن الخلق لا تنفع ولا تضر (و) الثاني عشر (الخضوع) أي التواضع بالقلب (تحت الهيبة) مع الله تعالى (و) الثالث عشر (الانكسار) أي في القلب (تحت الحياء) من الله تعالى لتقصيرك في العبادة (و) الرابع عشر (السكون عن حيل الكسب ثقة) أي ائتمانًا (بالضمان) أي

=أوله: يا غلام احفظ الله يحفظك. الحديث، ولفظه : «فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل؛ فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»، وهذا الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧) (١٠٧٤)، وهناد في الزهد (١/ ٣٠٤) (٥٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٤).

(٤٠٨) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٤/ ٢٦٥٦): أخرجه الطبراني=

. . .والتوكلُ على فضلِ اللهِ تعالى معرفةً بحسنِ الاختيارِ. وهذا كُلُّه ينبغي أن يكونَ شعارَك في جميعِ لَيْلِك ونهارِك فإنها آدابُ الصحبةِ مع صاحبٍ لا يفارقُك والخَلْقُ كلُّهم يفارقونك في بعضِ أوقاتِك. وإن كنتَ عالمًا فآدابُ العالِمِ: الاحتمالُ ولزومُ الحِلْمِ والجلوسُ بالهيبةِ على سَمْتِ الوقارِ مع إطراقِ الرأسِ وتركُ التكبرِ على جميعِ العبادِ إلا على الظَّلَمَةِ زجرًا لهم عن الظلم. . . . .

بضمان الله تعالى لك في رزقك؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: الآية ٦] (والتوكل) أي الاعتماد (على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار) أي اختياره تعالى فإن الله تعالى هو المدبر لعبده (وهذا) الأدب (كله ينبغي) أي يطلب (أن يكون) أي يصير هو (شعارك) أي ثيابك لأنها الملاصقة ببدنك (في جميع ليلك ونهارك فإنها) أي هذه الآداب المذكورة (آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك) أي بعلمه وتوفيقه في جميع أوقاتك (والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك) قال الله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَديد: الآية ٤].

آداب العـــالِم

(وإن كنت عالمًا فآداب العالم) سبعة عشر: الأول (الاحتمال) أي قبول ما جاء به تلامذته من المسألة وما يتبعه أي الصبر على ذلك (و) الثاني (لزوم الحلم) بكسر الحاء أي الأناة؛ في الأمور (و) الثالث (الجلوس بالهيبة) أي إجلال جلسائه (على سمت الوقار) أي صفة الضعف (مع إطراق الرأس) أي استرخاء العين (و) الرابع (ترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة) المتجاهرين بظلمهم (زجرًا لهم عن الظلم) فإن التكبر على المتكبرين صدقة كالتواضع مع

=في الكبير (٢٢/ ٣٢٠) (٨٠٧)، وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الداري مقتصرًا على قوله: «ومن لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس ربًا سواي». وإسناده ضعيف.

. . . وإيثارُ التواضُعِ في المحافلِ والمجالسِ وتركُ الهَزْلِ والدُّعابةِ والرفقُ بالمتعلِّمِ والتأني بالمُتَعَجْرِفِ وإصلاحُ البَليدِ بحُسنِ الإرشادِ وتركُ الحَرَدِ عليه وتركُ الأَنَفَةِ من قولِ «لا أدري» وصرفُ الهِمَّةِ إلى السائلِ وتَفَهُّمُ سُؤَالِه وقَبُولُ الحجةِ والانقيادُ للحقِّ بالرجوعِ إليه عند الهَفْوَةِ ومنعُ المتعلِّم عن كُلِّ علمٍ يضرُّه وزَجْرُهُ عن أنَ يُريدَ بالعلمِ النافعِ غيرَ وجهِ اللهِ تعالى وصَدُّ . . . . . .

المتواضعين (و) الخامس (إيثار التواضع) أي تقديمه (في المحافل) أي مجامع الناس (والمجالس و) السادس (ترك الهزل) أي اللعب (والدعابة) بالدال المهملة ثم الباء الموحدة أي المزاح (و) السابع (الرفق بالمتعلم) في تعليمه (والتأني بالمتعجرف) أي الذي لا يحسن السؤال ويدعي العلم ولا يعلمه؛ بأن تحسن عليه بأحوالك وأقوالك (و) الثامن (إصلاح البليد) أي غير الفطن (بحسن الإرشاد) أي التعليم (و) التاسع (ترك الحرد) أي الغضب والتعريض (عليه) أي البليد (و) العاشر (ترك الأنفة) أي الاستكبار والامتناع والاستحياء (من قول لا أدري) أو من قول: «والله أعلم» إذا لم تظهر لك المسألة أو لم تعلم؛ لما روي في الحديث أن رجلًا سأل النبي ﷺ: أي البلاد أشرُّ؟ فقال النبي ﷺ: «لا أدري حتى أسألَ جبريلَ» فسأله فقال: «لا أدري حتى أسألَ رَبَّ العزةِ»[٤٠٩] (و) الحادي عشر (صرف الهمة) أي القلب (إلى السائل) لأجل إخلاصه (وتفهم سؤاله) لتجيب مسألته (و) الثاني عشر (قبول الحجة) أي الدليل المصدق للقائل، واستماعها وإن كانت من الخصم لأن اتباع الحق واجب (و) الثالث عشر (الانقياد للحق بالرجوع إليه) أي الحق (عند الهفوة) أي الزلة في القول والاعتقاد، وإن صدر ممن هو أسفل منك (و) الرابع عشر (منع المتعلم عن كل علم يضره) في الدين كعلم السحر والنجوم والرمل (و) الخامس عشر (زجره) أي نهي المتعلم (عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى) وغير الدار الآخرة (و) السادس عشر (صد

---

(٤٠٩) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٦٦) (٣٠٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٨) (١٥٤٥)، وغيرهما عن جبير بن مطعم.

. . .المتعلِّم عن أن يشتغلَ بفرضِ الكفايةِ قبلَ الفراغِ من فرضِ العَيْنِ، وفَرْضُ عينِه: إصلاحُ ظاهرِه وباطنِه بالتقوى ومؤاخذةُ نفسِه أولًا بالتقوى ليقتديَ المتعلِّمُ أولًا بأعمالِه ويستفيدَ ثانيًا من أقواله. وإن كُنْتَ متعلِّمًا فآدابُ المتعلِّمِ مع العالِمِ أن يبدَأَهُ بالتحيةِ والسلامِ وأن يُقَلِّلَ بين يديه الكلامَ ولا يتكلمَ ما لم يسألْهُ أستاذُهُ ولا يسألَ ما لم يستأذنْ أولًا، ولا يقولَ في معارضةِ قولِهِ: «قال فلانٌ بخلافِ ما قُلْتَ». . . . .

المتعلم) أي منعه وصرفه (عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين، وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى) أي بأداء عبادة ظاهرة وباطنة وباجتناب معصية ظاهرة وباطنة كما هو مذكور في هذا الكتاب والله الهادي (و) السابع عشر (مؤاخذة) أي مداواة (نفسه) أي العالم (أولًا) أي قبل الأمر للناس بفعل الخير وقبل النهي لهم عن اجتناب الشر (بالتقوى) أي بامتثال أمر الشرع واجتناب نهيه (ليقتدي المتعلم أولًا بأعماله ويستفيد) أي المتعلم (ثانيًا من أقواله) فإن دلالة الأحوال أقوى من دلالة المقال كما قال أبو الأسود من بحر الكامل:

وإذا عَـتَـبْـتَ عـلـى الـصـديـقِ ولُمْـتَـهُ
فِـي مِـثْـلِ مـا تـأتـي فـأنـتَ مَـلـيـمُ

فـابـدأْ بـنـفـسِـكَ فـانْـهَـهَـا عـن غَـيِّـهـا
فـإذا انـتـهـتْ عـنـه فـأنـتَ حـكـيـمُ

لا تَـنْـهَ عـن خُـلُـقٍ وتـأتـيَ مِـثْـلَـهُ
عَـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـتَ عـظـيـمُ

آداب المتعلم مع العالم

(وإن كنت متعلمًا فآداب المتعلم مع العالم) ثلاثة عشر: الأول (أن يبدأه بالتحية والسلام) وطلب الإذن في الدخول (و) الثاني (أن يقلل بين يديه) أي في حضرته (الكلام) أي المباح (و) الثالث أن (لا يتكلم ما لم يسأله أستاذه و) الرابع أن (لا يسأل) شيئًا (ما لم يستأذن) أستاذه (أولًا) أي قبل السؤال (و) الخامس أن (لا يقول في معارضة قوله) أي لأستاذه (قال فلان بخلاف ما قلت) وما أشبه ذلك

. . . ولا يشيرَ عليه بخلافِ رأيِهِ فيرى أنه أعلمُ بالصواب من أُستاذِه، ولا يسألَ جليسَه في مجلسِه ولا يلتفتَ إلى الجوانبِ بل يجلسُ مُطْرِقًا عينَهُ ساكنًا متأدبًا كأنه في الصلاةِ ولا يُكْثرَ عليه السؤالَ عند مللِه، وإذا قام قام له ولا يتبعَه بكلامِه وسؤالِه ولا يسألَه في طريقِه إلى أن يَبْلُغَ إلى منزلِه ولا يُسيءَ الظنَّ به في أفعالٍ ظاهرُها مُنكرَةٌ عنده فهو أعلمُ بأسرارِه وليَذْكُرْ عند ذلك قولَ موسى للخضر عليهما السلام: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧١]، . . . .

(و) السادس أن (لا يشير عليه) أي أستاذه (بخلاف رأيه) أي بمخالفة قول أستاذه (فيرى) أي يظن المتعلم (أنه أعلم بالصواب) في تلك المسألة (من أستاذه) فذلك يخل بالأدب للأستاذ وينقص البركة (و) السابع أن (لا يسأل) وفي بعض النسخ: «لا يشاور» (جليسه في مجلسه) أي الأستاذ، ولا يتبسم عند مخاطبته (و) الثامن أن (لا يلتفت إلى الجوانب) يمينًا وشمالًا في حضرته (بل يجلس مطرقًا عينه ساكنًا متأدبًا) بلا عبث بنحو اليد (كأنه في الصلاة و) التاسع أن (لا يكثر عليه) أي الأستاذ (السؤال عند ملله) أي الأستاذ أي عند سآمته وقلقه من الغم ولو بالتوهم القوي (و) العاشر (إذا قام) أي الأستاذ (قام) أي المتعلم (له) أي لأجله تعظيمًا له، ولا يأخذ بثوبه إذا قام (و) الحادي عشر أن (لا يتبعه) عند القيام من المجلس (بكلامه وسؤاله و) الثاني عشر أن (لا يسأله في طريقه) بل ينتظر (إلى أن يبلغ منزله) أو بيته أو محل قعوده (و) الثالث عشر أن (لا يسيء الظن به) أي الأستاذ (في أفعال ظاهرها منكرة) أي غير مرضية لله تعالى (عنده) أي المتعلم (فهو) أي الأستاذ الفاء للتعليل أي لأنه (أعلم بأسراره) أي الأفعال (وليذكر عند ذلك) أي عند إرادة إساءة الظن (قول موسى للخضر) واسمه بليا بن ملكان (عليهما السلام) منكرًا لما في ظاهره الفساد بإتلاف السفينة المؤدي إلى إهلاك النفوس، وسمي خَضِرًا لأنه جلس على فَرْوَة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء، والفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة، وقيل سمي خضرًا لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ أي السفينة أي قلعت لوحًا من ألواحها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المؤدي إلى غرق أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾

. . . وكَوْنَه مُخْطِئًا في إنكارِه اعتمادًا على الظاهِرِ.

وإن كان لك والدانِ فآدابُ الولدِ مع الوالدينِ أن يسمعَ كلامَهما ويقوم لقيامِهما ويمتثلَ لأمرِهما ولا يمشيَ أمامَهما ولا يرفعَ صوتَه فوقَ أصواتِهما ويُلبِّي دعوتَهما ويحرصَ على مرضاتِهما ويَخْفِضَ لهما جَناحَ الذُّلِّ ولا يَمُنَّ عليهما بالبِرِّ. . . .

أي عظيمًا منكرًا فإن ذلك منكر في الظاهر، ولذلك أنكره موسى أولًا، ولكنه في الحقيقة موافق لباطن الشريعة فلذلك صدقه موسى آخرًا (و) ليذكر (كونه) أي المتعلم (مخطئًا في إنكاره) أي على الأستاذ (اعتمادًا على الظاهر)، وليذكر كون الأستاذ عالمًا بالأسرار كما روي أن ابن عربي كان يصلي فرآه تلامذته يحرك رجله مرارًا في الصلاة وسألوه بعدها: لم حركتها؟ فقال: إن الفخر الرازي احتضر فاحتاطت به الشياطين لتسلبه الإيمان فطردتهم عنه برجلي فمات على الإيمان.

آداب الولد مع الوالدين

(وإن كان لك والدان فآداب الولد مع الوالدين) أي المسلمين اثنا عشر الأول: (أن يسمع كلامهما) ولو شتماه من غير جواب لهما (و) الثاني: أن (يقوم لقيامهما) توقيرًا لهما وحفظًا لحرمتهما، وإن كانا دونه في المرتبة (و) الثالث: أن (يمتثل لأمرهما) فيما يأمرانه أو أحدهما ولو فيما يضره إذا لم يكن الأمر في معاصي الله تعالى (و) الرابع: أن (لا يمشي أمامهما) تعاظمًا عليهما بل يمشي بإزائهما أو خلفهما؛ فإن مشى أمامهما لأمر اقتضاه الحال فلا بأس حينئذ (و) الخامس: أن (لا يرفع صوته فوق أصواتهما) أو أصوات أحدهما سلوكًا للأدب معهما، وهذا أوكد الآداب كما قاله الرملي في «عمدة الرابح» (و) السادس: أن (يلبي دعوتهما) أي يجيب نداءهما بجواب لين يدل على تعظيمهما كقولك: لبيك أو نعم أو سيدي أو سيدتي (و) السابع: أن (يحرص) أي يحافظ (على طلب مرضاتهما) بالأحوال والأقوال (و) الثامن: أن (يخفض لهما جناح الذل) أي جناحه الذليل، وذلك كناية عن التواضع واللين كأن يخدمهما بنفسه ويطعمهما بيده لعجزهما، ويُؤْثرهما على نفسه وأولاده (و) التاسع: أن (لا يمن عليهما بالبر

. . .لهما ولا بالقيامِ لأمرِهما ولا ينظرَ إليهما شَزْرًا ولا يُقَطِّبَ وجهَه في وجهِهما ولا يُسافرَ إلا بإذنِهما.

واعلمْ أن الناسَ بعد هؤلاءِ في حقِّك ثلاثةُ أصنافٍ: إما أصدقاء وإما معاريف وإما مجاهيل؛ فإن بُليتَ بالعوامِّ المجهولين فآدابُ مجالستِهم: تركُ الخوضِ في حديثِهم وقلةُ الإصغاءِ إلى أراجيفِهم . . . .

لهما ولا بالقيام لأمرهما) كأن يقول: أعطيتكما كذا وكذا أو فعلت كذا وكذا لكما؛ فإن المن يكسر القلوب، ومن ذلك قيل: إن المَنَّ أخو المَنِّ أي الامتنان بتعديد الصنائع أخو القطع (و) العاشر: أن (لا ينظر إليهما شزرًا) بفتح الشين وسكون الزاي وهو نظر الغضبان بمؤخر العين أو هو النظر عن يمين وشمال أو هو نظر فيه إعراض كما في القاموس (و) الحادي عشر: أن (لا يقطب) بكسر الطاء أي يجمع أو بضم الياء وتشديد الطاء أي يعبس (وجهه في وجههما و) الثاني عشر: أن (لا يسافر إلا بإذنهما) سفر الجهاد وحج تطوع وزيارة أنبياء وأولياء، وسفرًا لم تغلب فيه السلامة لتجارة؛ فإن ذلك يحرم إذا لم يكن بإذن أصل أب وأم وإن عليا، وإن أذن من هو أقرب منه، إلا سفرًا لتعلم فرض ولو كفاية كطلب النحو ودرجة الإفتاء فلا يحرم عليه وإن لم يأذن أصله، كذا في «فتح المعين» وأما الوالدان الكافران فأدب الولد معهما مصاحبتهما في الأمور التي لا تتعلق بالدين ما دام حيًا، ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الأخلاق والشيم.

(واعلم أن الناس بعد هؤلاء) أي المذكورين من العالم والمتعلم والوالدين (في حقك ثلاثة أصناف) أي أنواع (إما أصدقاء وإما معاريف وإما مجاهيل).

آداب مجالسة العوام المجهولين

(فإن بليت) بالبناء للمفعول (بالعوام المجهولين) أي امتحنك الله بصحبة العوام الذين هم ليسوا أصدقاءك ولا معارفك (فآداب مجالستهم) خمسة:

الأول: (ترك الخوض) أي الدخول معهم (في حديثهم و) الثاني: (قلة الإصغاء) أي عدم إمالة السماع (إلى أراجيفهم) أي كثرة أخبارهم السيئة واختلاف

. . .والتغافلُ عما يجري من سُوءِ ألفاظِهم والاحترازُ عن كثرةِ لقائِهم والحاجةِ إليهم والتنبيهُ على منكراتِهم باللُّطفِ والنُّصحِ عندَ رجاءِ القَبُولِ منهم.

وأما الإخوانُ والأصدقاءُ فعليك فيهم وظيفتان: إحداهما أن تطلبَ أولًا شروطَ الصحبةِ والصداقةِ؛ فلا تُؤَاخِ إلا من يصلحُ للأُخوةِ والصداقةِ؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«المَرْءُ على دِينِ خَليلِهِ فلينظُرْ أحدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ»**. . . . .

أقوالهم الكاذبة (و) الثالث: (التغافل) أي الترك بالإعراض (عما يجري) أي يسبق (من سوء ألفاظهم و) الرابع: (الاحتراز) أي التجنب (عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم و) الخامس: (التنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم) فإن قلوب العوام سريعة التقلب؛ فإن لم ينفع النصح فالإعراض أولى.

شروط الصحبة والصداقة

(وأما الإخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان: إحداهما أن تطلب أولًا) أي قبل المعاشرة مع من تريد معاشرتهم (شروط الصحبة والصداقة) لأنه لا يصلح للصحبة كل إنسان.

(فلا تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصداقة) ولابد أن يتميز بصفات يرغب بسببها في صحبته، وتشترط بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة إذ معنى الشرط ما لابد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطًا للصحبة للآخرة؛ فإن الإخوة ثلاثة: أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به، ولم تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم (قال رسول الله ﷺ: **«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**[٤١٠]) وقال أيضًا: **«المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحبَّ وله ما اكتسبَ»**

---

(٤١٠) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب: من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٣)، والترمذي في كتاب الزهد باب: ما جاء في أخذ المال بحقه (٢٣٧٨) وقال: هذا حديث حسن=

. . . فإذا طلبتَ رفيقًا ليكون شريكَك في التعلُّمِ وصاحبَك في أمرِ دينِك ودُنْياك فَراعِ فيه خَمْسَ خِصالٍ: الأولى: العقل؛ فلا خَيْرَ في صُحْبَةِ الأحمقِ فإلى الوَحْشَةِ والقطيعةِ يرجعُ آخرُها، وأَحْسَنُ أحوالِه أن يَضُرَّكَ وهو يريدُ أن ينفعَك، والعدوُّ العاقلُ خيرٌ من الصديقِ الأحمقِ؛ قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحبْ أخا الجهلِ وإياكَ وإياهُ

رواه الترمذي(٤١١) عن أنس، وقال سهل بن عبدالله: «اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس» الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين» (فإذا طلبت رفيقًا) أي من يرافقك (ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أمر دينك ودنياك فراع) أي انظر (فيه) أي الرفيق (خمس خصال: الأولى: العقل) فإنه رأس المال وهو الأصل (فلا خير في صحبة الأحمق) أي فاسد العقل (فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها) أي الصحبة وإن طالت؛ فإنك لست منه على شيء (وأحسن أحواله) أي الأحمق (أن يضرك وهو يريد أن ينفعك) ويعينك من حيث لا يدري لحماقته (والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق) ولذلك قال الشاعر من بحر الكامل:

إنــي لآمَــنُ مِــنْ عَــدُوٍّ عــاقــلٍ
وأخــافُ خِــلًا يــعــتــريــه جُــنــونُ

فــالــعَــقْــلُ فَــنٌّ واحــدٌ وطــريــقُــهُ
أدرى فــأرصــدُ والــجُــنــونُ فُــنــونُ

ولذا قيل: «مقاطعة الأحمق قربان إلى الله»، والمراد بالعاقل: هو الذي يفهم الأمور على ما هي عليه (قال) أمير المؤمنين (علي) بن أبي طالب رضي الله عنه نظمًا من بحر الوافر المعصوب الأجزاء في ستة أبيات مجزوءة وبعض أجزائها منقوص:

(فــلا تــصــحــب أخــا الــجــهــل
وإيــــــاك وإيــــــاه

=غريب، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣) (٨٠١٥)، (٢/ ٣٣٤) (٨٣٩٨) كلهم عن أبي هريرة.

(٤١١) الترمذي في كتاب الزهد باب: ما جاء أن المرء مع من أحب (٢٣٨٦).

فـكـم مـن جـاهـلٍ أَرْدَى حـلـيـمًـا حِـيـنَ واخـاهُ
يُـقـاسُ الـمَـرْءُ بـالـمَـرْءِ إذا مـا الـمَـرْءُ مـاشـاهُ
كَـحَـذْوِ الـنَّـعْـلِ بـالـنَّـعْـلِ إذا مـا الـنَّـعْـلُ حـاذاهُ
ولـلـشـيءِ مـن الـشـيءِ مَـقـايِـيـسٌ وأَشْـبـاهُ
ولـلـقـلـبِ عـلـى الـقـلـبِ دلـيـلٌ حِـيـنَ يَـلْـقـاهُ

الثانية: حسنُ الخلقِ؛ فلا تصحبْ مَنْ ساءَ خُلُقُهُ وهو الذي لا يَمْلِكُ نفسَه عند الغضبِ والشهوةِ، وقد جمعه عَلْقَمَةُ العُطَارِدِيُّ

فـكـم مـن جـاهـل أردى حـلـيـمًـا حـيـن واخـاه
يـقـاس الـمـرء بـالـمـرء إذا مـا الـمـرء مـاشـاه
كـحـذو الـنـعـل بـالـنـعـل إذا مـا الـنـعـل حـاذاه
ولـلـشـيء مـن الـشـيء مـقـايـيـس وأشـبـاه
ولـلـقـلـب عـلـى الـقـلـب دلـيـل حـيـن يـلـقـاه)

ومعنى أردى: أهلك، وفي نسخة: «إذا ما هو ساواه»، وقال بعضهم من بحر المواليات وأجزاؤه: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل بسكون آخره:

عاشِرْ ذَوِي الفضلِ واحذرْ عِشْرَةَ السُّفَّلْ وعن عيوبِ صديقِكَ كُفَّ وتَغفَّلْ
وصُنْ لِسانَكَ إذا ما كنتَ في مَحْفِلْ ولا تُشارِكْ ولا تضمَنْ ولا تَكْفُلْ

(الثانية: حسن الخلق) فلابد منه؛ إذ رُبَّ عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عند قهر صفاته وتقويم أخلاقه فذلك سيئ الخلق (فلا تصحب من ساء خلقه) فإنه لا خير في صحبته (وهو الذي لا يملك) أي لا يتمالك (نفسه) أي الأمارة أو اللوامة (عند الغضب والشهوة) والبخل والجبن (وقد جمعه) أي حسن الخلق (علقمة العطاردي) نسبة إلى عطارد رجل من تميم

رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاةُ فقال: «يا بُنَيَّ إذا أردْتَ صحبةَ إنسانٍ فاصحبْ مَنْ إذا خدمْتَه صانَكَ وإن صَحِبْتَه زانَكَ وإن قَعَدَتْ بك مُؤْنَةٌ مانَكَ، اصْحَبْ مَنْ إذا مددْتَ يدَك بخيرٍ مَدَّها، وإن رأى منك حسنةً عدَّها، وإن رأى منك سيئةً سدَّها، اصحبْ مَنْ إذا قُلْتَ صدَّق قولَك وإذا حاولتَ أمرًا أمَّرَكَ، وإن تنازعْتُما في شيءٍ آثَرَكَ» وقال عليٌّ ﷺ رجزًا:

إنَّ أخاكَ الحَقَّ مَنْ كانَ مَعَكْ ... ومَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

رهط أبي رجاء عمران بن ملحان[٤١٢] (رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما) أي حين (حضرته الوفاة فقال: يا بني إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته) أي بالقول أو بالفعل (صانك) في عرضك ونفسك ومالك (وإن صحبته زانك) أي بصحبته (وإن قعدت بك مؤنة) بالقاف ثم العين المهملة أي تأخرت وحبست (مانك) أي احتمل مؤنتك وقام بكفايتك (اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها) أي إذا أعطيته شيئًا جازاك أو إذا أتيت خصلة من أنواع الطاعات أعانك (وإن رأى منك حسنة عدها) وإن قَلَّتْ (وإن رأى منك سيئة سدها) وإن كَثُرَتْ، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكتَّ ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك (اصحب من إذا قلت صدق قولك) أي لا يعترض عليك (وإذا حاولت) أي عالجت (أمرًا أمَّرك) بتشديد الميم أي جعلك أميرًا، وفي نسخة: «أعانك ونصرك» (وإن تنازعتما) أي اختلفت أنت وهو (في شيء آثرك) أي قدمك على نفسه؛ فكان هذا جمع جميع حقوق الصحبة؛ قال المأمون: فأين هذا؟ فقيل له: أتدري لم أوصاه بذلك؟ قال: لا. قال: لأنه أراد أن لا يصحب أحدًا. قال بعض الأدباء: «لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويُؤْثرك في الرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك» (وقال) أمير المؤمنين (علي) بن أبي طالب (ﷺ رجزًا) أي نظمًا من بحر الرجز:

(إن أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك

---

(٤١٢) عمران بن ملحان ويقال: عمران بن عبدالله، ويقال: عمران بن تيم، أبو رجاء=

وَمَنْ إذا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكْ شَتَّتَ فيه شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

الثالثة: الصلاح؛ فلا تصحبْ فاسقًا مُصِرًا على معصيةٍ كبيرةٍ لأن من يخافُ اللهَ لا يُصِرُ على كبيرةٍ، ومن لا يخافُ اللهَ لا تُؤمَنُ غَوائِلُهُ بل يتغيرُ بتغيرِ الأحوالِ والأعراضِ؛ قال اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: الآية ٢٨]، . . . .

ومن إذا ريب الزمان صدعك
شتت فيه شمله ليجمعك)
أي: إن أخاك الصحيح من كان يصاحبك في حالة الرخاء والشدة والصحة والمرض، ومن يُتعب نفسه لأجل نفعك وإذا فرقتك حوادث الدهر وصروفه فرق لأجل ذلك ما اجتمع من أمره لتكون مجتمعًا على حالة حسنة، وفي بعض النسخ: «شتت فيك» أي من أجلك أو في شأنك (الثالثة: الصلاح) أي الخير والصواب في الأحوال (فلا تصحب فاسقًا مصرًا على معصية كبيرة) لأنه لا فائدة في صحبته (لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله) أي شروره، ولا يوثق بصداقته (بل يتغير) أي من لا يخاف الله (بتغير الأحوال) من العلانية والخلوة ونحوه (والأعراض) من مرض ونحوه (قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾) يا أشرف الخلق (﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾) أي جعلنا قلبه غافلًا عن ذكرنا (﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾) أي في طلب الشهوات (﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾) أي إسرافًا وباطلًا، وهذا يدل على أن أشر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خاليًا عن ذكر الحق ويكون مملوءًا من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق لأن ذكر الله تعالى نور وذكر غيره ظلمة كذا قاله الشربيني. وقال الغزالي: وفي

=العطاردي، أدرك الجاهلية ولم ير النبي ﷺ ولم يسمع منه، والصحيح أنه أسلم بعد المبعث، ويعد أبو رجاء في كبار التابعين، وكان ثقة عمر عمرًا طويلًا أزيد من مائة وعشرين سنة مات سنة (١٠٥)هـ في أول خلافة هشام بن عبد الملك (اهـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٥٢١).

. . .فاحذرْ صحبةَ الفاسقِ فإن مشاهدةَ الفِسقِ والمعصيةِ على الدوامِ تُزيلُ عن قلبِك كراهيةَ المعصيةِ ويَهُونُ عليك أَمْرُها، ولذلك هانَ على القلوبِ معصيةُ الغيبةِ لِإلْفِهِمْ لها ولو رأوا خاتمًا من ذهبٍ أو ملبوسًا من حريرٍ على فقيهٍ لاشتدَّ إنكارُهم عليه، والغيبةُ أشدُّ من ذلك.

الرابعة: أن لا يكون حريصًا على الدنيا؛ فصحبةُ الحريص على الدنيا سُمٌّ قاتلٌ لأن. . . . .

مفهوم ذلك زجر للفاسق (فاحذر صحبة الفاسق) فإنه يبيعك بأكلة أو بالطمع فيها ثم لا ينالها (فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية) وقوع (المعصية ويهون) أي يسهل (عليك أمرها) أي المعصية، وتبطل نفرة القلب عنها (ولذلك) أي المذكور (هان على القلوب معصية الغيبة لإلفهم) أي أنسهم ومحبتهم (لها ولو رأوا خاتمًا) بفتح التاء (من ذهب أو ملبوسًا من حرير على فقيه لاشتد إنكارهم عليه) أي الفقيه (والغيبة أشد) أي أعظم ذنبًا (من ذلك) أي استعمال الذهب والحرير كما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية أنها كذا وكذا -أي أنها قصيرة- فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد قُلْتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لَمَزَجَتْهُ» رواه الترمذي(٤١٣)، ومعنى مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها. قال العلماء: وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة كذا في «قمع النفوس» لأبي بكر بن الحصني.

(الرابعة: أن لا يكون) أي الرفيق (حريصًا) أي أجشع (على الدنيا) وفي بعض النسخ: «لا تصحب حريصًا» (فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لأن

---

(٤١٣) الترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع باب: منه (٢٥٠٢)، وأخرجه أيضًا أبو داود في كتاب الأدب باب: في الغيبة (٤٨٧٥).

. . . الطِّباعَ مَجْبُولَةٌ على التشبُّهِ والاقتداءِ بل الطَّبْعُ يَسْرِقُ من الطَّبْعِ من حيثُ لا يدري؛ فمجالَسَةُ الحريصِ تَزيدُ في حِرصِك ومجالسةُ الزاهدِ تَزيدُ في زُهْدِك.

الخامسة: الصِّدْقُ؛ فلا تصحبْ كذَّابًا فإنك منه على غُرورٍ؛ فإنه مَثَلُ السَّرابِ يُقَرِّبُ منك البعيدَ ويُبْعِدُ منك القريبَ. ولعلك تَعْدَمُ اجتماعَ هذه الخصالِ في سُكَّانِ المدارِسِ والمساجِدِ؛ فعليك بأحدِ أمرين: إما العُزْلَةِ والانفرادِ ففيها. . . . .

الطباع مجبولة) أي مخلوقة (على التشبه والاقتداء) بمن يقارنه (بل الطبع) السليم (يسرق من الطبع) الفاسد (من حيث لا يدري) الإنسان، وعبارة الإحياء: «من حيث لا يدري صاحبه» (فمجالسة الحريص) على الدنيا تحرك الحرص و(تزيد في حرصك ومجالسة الزاهد) أي المعرض عن الدنيا تزهد في الدنيا و(تزيد في زهدك) أي في إعراضك عن الدنيا وتركك لها وتقليلك منها؛ فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويُستحب صحبة الراغبين في الآخرة؛ قال علي رضي الله عنه: «أحيوا الطاعات بمجالسة من يُستحيا منه»، وقال أحمد بن حنبل: «ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمُه»، وقال لقمان: «يا بني جالِسْ العلماء وزاحمْهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحِكَم كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر» (الخامسة: الصدق) في المقال والاعتقاد (فلا تصحب كذابًا) أي كثير الكذب في المقال (فإنك منه على غرور) أي جهل في الأمور وغفلة عنها (فإنه مثل السراب) بفتح الميم والثاء أي لأن الكذاب صفته كصفة السراب الذي تراه نصف النهار كأنه ماء (يقرب) أي الكذاب (منك البعيد ويبعد منك القريب) ولا تصحب المبتدع فصحبته خطر لسراية البدعة إليك، ولا تصحب البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، ولا تصحب الجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة (ولعلك تعدم) بفتح الدال أي تفقد (اجتماع هذه الخصال) المذكورة (في سكان المدارس) وهم العلماء والطلبة (والمساجد) وهم العباد (فعليك) أي الزم (بأحد أمرين إما العزلة والانفراد ففيها) أي العزلة

. . .سلامتُكَ، وإما أن تكونَ مخالطتُك مع شُرَكائك بقدرِ خِصالِهم بأن تَعْلَمَ أن الإخْوةَ ثلاثةٌ: أخٌ لآخرتِك فلا تُراعِ فيه إلا الدِّينَ، وأخٌ لدُنْياك فلا تُرَاعِ فيه إلا الخُلُقَ الحَسَنَ، وأخٌ لتَأْنَسَ به فلا تُرَاعِ فيه إلا السلامةَ من شَرِّه وفتنتِه وخُبْثِه. والناسُ ثلاثةٌ: أحدُهُمْ مَثَلُهُ مَثَلُ الغِذاءِ لا يُسْتغنى عنه، والآخرُ مَثَلُهُ مثلُ الدَّواءِ يُحتاجُ إليه في وقتٍ دونَ وقتٍ، والثالثُ مثلهُ مثلُ الدَّاءِ لا يُحتاج إليه قَطُّ. ولكنَّ العبدَ قد يُبْتلى به، وهو الذي لا أُنْسَ فيه ولا نَفْعَ. . . . .

(سلامتك) من الإثم (وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم أن الإخوة) أي الأصحاب (ثلاثة) كما نقله الغزالي عن بشر (أخ لآخرتك فلا تراع) أي لا تلاحظ (فيه إلا الدين وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن) والأحوال المؤدية إلى الخيرات (وأخ لتأنس) بفتح النون أي ليسكن قلبك (به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره) أي ظلمه (وفتنته) أي امتحانه (وخبثه) أي خديعته. قال أبو ذر ﷺ: «الوحدة خير من الجليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة»[٤١٤] (والناس) الذين تتخذهم إخوانًا (ثلاثة) كما نقله الغزالي عن المأمون (أحدهم مثله مثل الغذاء) بكسر الغين، أي صفته وشأنه صفة الطعام والشراب وشأنهما (لا يستغنى عنه) وهم العلماء (والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلى به) أي يمتحن بالاجتماع مع من هو كصفة الداء (وهو الذي لا أنس فيه ولا

---

(٤١٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٧) (٥٤٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٥٦) (٤٩٩٣) من حديث أبي ذر مرفوعًا إلى النبي ﷺ وزاد فيه: «وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر».
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٣١): لكن المحفوظ أنه موقوف على أبي ذر، والموقوف الذي أشار إليه الحافظ أخرجه البيهقي (٤/ ٢٥٦) (٤٩٩٢) من طريق أبي عامر صالح بن رستم عن عبيد بن هلال عن الأحنف يروي عن أبي ذر.

. . . فتجبُ مُداراتُه إلى الخلاصِ منه، وفي مشاهدتِه فائدةٌ عظيمةٌ إن وُفِّقْتَ لها وهو أن تُشاهِدَ من خبائثِ أحوالِه وأفعالِه ما تستقبحُه فتجتنبُه؛ فالسعيدُ من وُعِظَ بغيرِه، والمؤمنُ مِرْآةُ المؤمنِ. وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبَّك؟ فقال: ما أدَّبني أحدٌ ولكنْ رأيتُ جَهْلَ الجاهلِ فاجتنبتُهُ! ولقد صدق على نبينا وعليه الصلاةُ والسلامُ؛ فلو اجتنبَ الناسُ ما يكرهونَهُ مِنْ غيرِهم لكَمُلَتْ آدابُهُم واسْتَغْنَوا عن المؤدِّبين.

نفع) وهو الفاسق والمبتدع والكذاب والجبان (فتجب مداراته) أي ملاينته ومحايلته ومداعبته (إلى الخلاص منه) دفعًا لشره كما قال رسول الله ﷺ: «مُداراةُ الناسِ صدقةٌ»(٤١٥) رواه ابن حبان والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبدالله، أي ملاطفة الناس بالقول والفعل يثاب عليها ثواب الصدقة (وفي مشاهدته) أي الذي هو كصفة الداء (فائدة عظيمة إن وفقت) بالبناء للمجهول أي إن وفقك الله (لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه) وفي نسخة: «ما تستخبثه» (فتجتنبه فالسعيد من وعظ) بالبناء للمجهول (بغيره) والشقي من غلب شره على خيره (والمؤمن مرآة المؤمن) فيقيس نفسه بغيره في الأحوال والمقال مما يعجبه ويكرهه (وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟) أي من علَّمك الأدب؟ فإنك ولدت من غير أب (فقال: ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ولقد صدق) أي سيدنا عيسى في مقالته (على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلو) الفاء للتعليل أي لأنه لو (اجتنب الناس ما يكرهونه) من الأقوال والأفعال اللتين صدرتا (من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين) فإن العاقل ينظر تقلب الأزمنة

---

(٤١٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٢١٦) (٤٧١)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٤٦) (٤٦٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٧): وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، وهو متروك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٤٣) (٨٤٤٥).

الوظيفة الثانية: مُراعاةُ حقوقِ الصُّحْبَةِ فمهما انعقدتِ الشَّرِكَةُ وانتظمتْ بينَك وبينَ شريكِك الصحبةُ فعليك حقوقٌ يوجبُها عَقْدُ الصحبةِ وفي القيامِ بها آدابٌ، وقد قال ﷺ: «**مَثَلُ الأَخَوَينِ مَثَلُ اليَدَيْنِ تَغْسِلُ إحداهُما الأُخرى**» ودخل ﷺ أَجَمةً فاجْتنى منها سِواكَيْنِ أحدُهما مُعْوَجٌّ والآخَرُ مستقيمٌ، وكان معه بعضُ أصحابِه

ويتأدب بحسبها، ومثل جملة الناس كمثل النبات والأشجار فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال، ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا، ومنها ما له ثمر وظل جميعًا، ومنها ما ليس له واحد منهما؛ فالأقسام أربعة (الوظيفة الثانية: مراعاة حقوق الصحبة) والأخوة (فمهما انعقدت الشركة) أي ارتبطت بين الشخصين كالنكاح بين الزوجين (وانتظمت) أي استقامت (بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة) كما يوجب النكاح حقوقًا (وفي القيام بها) أي الحقوق (آداب) كثيرة (وقد قال) رسول الله (ﷺ «**مثل الأخوين مثل اليدين**) بفتح الميم والثاء (**تغسل إحداهما الأخرى**»)[٤١٦] وإنما شبههما رسول الله ﷺ باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والحال (ودخل) رسول الله (ﷺ أجمة) بفتح الأحرف الثلاثة أي غيضة بفتح الغين وهي مجتمع الشجر (فاجتنى) أي أخذ (منها سواكين أحدهما معوج) بسكون العين وفتح الواو وتشديد الجيم (والآخر مستقيم وكان معه) ﷺ (بعض أصحابه) وهو

---

(٤١٦) رواه السلمي في آداب الصحبة (ص٩٥)، والديلمي في مسند الفردوس (٤/ ١٣٢) عن أنس، ولفظه: «**مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى**» قال الحافظ العراقي: وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الخربيات.

فأعطاه المستقيمَ وأمسك لنفسِه المعوجَّ فقال: يا رسولَ اللهِ أنت أحقُّ مني بالمستقيمِ فقال ﷺ: «ما من صاحبٍ يَصْحَبُ صاحبًا ولو ساعةً من نهارٍ إلا ويُسألُ عن صُحْبتهِ هل أقامَ فيها حقَّ اللهِ تعالى أو أضاعَهُ» وقال ﷺ: «ما اصْطَحَبَ اثنانِ قَطُّ إلا وكان أحبَّهما إلى اللهِ تعالى أرفقُهما بصاحبِهِ».

عبدالرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان على اختلاف الروايات (فأعطاه) أي بعض أصحابه (المستقيم) منهما (وأمسك لنفسه المعوج فقال) له ﷺ (يا رسول الله أنت) والله (أحق مني بالمستقيم فقال) رسول الله (ﷺ: **«ما من صاحب يصحب صاحبًا ولو ساعة من نهار إلا ويسأل عن صحبته هل أقام فيها**) أي الصحبة (**حق الله تعالى أو أضاعه»**)[٤١٧] أي أهلكه، وهذا الحديث يدل على أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة. وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل[٤١٨] ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فأبى حذيفة وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (وقال) رسول الله (ﷺ: **«ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبهما إلى الله تعالى أرفقهما بصاحبه»**)[٤١٩].

---

(٤١٧) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٤) من طريق ابن أبي فديك عن فلان بن عبد الله عن الثقة عنده أن رسول الله ﷺ . الحديث، قال الشيخ أحمد محمد شاكر: وهذا الأثر على إرساله ضعيف، لجهالة من روى عنهم ابن أبي فديك، ولم أجده إلا في الدر المنثور (٢/ ١٥٩) ولم ينسبه لغير ابن جرير.

(٤١٨) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٥/ ٩٥٥): «لم أجده»، وأخرج أبو نعيم نحوه في حلية الأولياء (٦/ ١٢٨) عن حذيفة بن اليمان.

(٤١٩) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرج الحاكم في المستدرك نحوه (٤/ ١٨٩) (٧٣٢٣)، والطبراني في الأوسط (٣/ ١٩٢) (٢٨٩٩) وغيرهما، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله ﷻ =

وآدابُ الصحبةِ: الإيثارُ بالمالِ فإن لم يكنْ هذا فَبَذْلُ الفضلِ من المالِ عند الحاجةِ، والإعانةُ بالنَّفْسِ في الحاجاتِ على سبيلِ المبادرةِ من غيرِ إحواجٍ إلى التماسٍ، وكتمانُ السِّرِّ وسَتْرُ العيوبِ

آداب الصحبة

(وآداب الصحبة) اثنا عشر: الأول: (الإيثار) أي الإكرام (بالمال) على وجه تقديم صاحبه على نفسه (فإن لم يكن هذا) أي الإيثار (فبذل الفضل) أي إعطاؤه (من المال) ولو قليلًا (عند الحاجة) أي حاجة صاحبه.

والحاصل أن المواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب: أدناها: أن تُنزل صاحبك منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا كانت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى ذلك فهو غاية التقصير في حق الأخوة. الثانية: أن تُنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزول منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال. والثالثة وهي العليا: أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك عند تساويهما في الحاجة، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة المتحابين، أما القُرَب فيكره الإيثار بها (و) الثاني (الإعانة بالنفس في) قضاء (الحاجات) والقيام بها (على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى التماس) أي طلب، وتقديمها على الحاجات الخاصة فإن ذلك أبلغ في التواضع، وهذه أيضًا لها درجات كما للمواساة بالمال؛ فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة (و) الثالث: (كتمان السر) الذي بثه صاحبه إليه ولا يبثه إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشفه ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن (وستر العيوب) التي علمها في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه وإن تعلق بها حد لله تعالى طلبًا للستر المستحب

=أشدهما حبًا لصاحبه»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٢٥) (٥٦٦) عن أنس أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه».

والسكوتُ على تبليغِ ما يَسُوؤهُ من مَذَمَّةِ الناسِ إياه، وإبلاغُ ما يَسُرُّه من ثناءِ الناسِ عليه، وحسنُ الإصغاءِ عند الحديثِ، وتركُ المُماراةِ فيه، وأن يدعوه بأَحبِّ أسمائِه إليه، وأن يُثْني عَليه بما يَعْرِفُ من محاسنِه وأن يَشْكُرَهُ على صنيعِه في حقِّه، وأن يَذُبَّ عنه في غَيْبَتِه إذا تُعُرِّضَ لعِرْضِه........................

ولو مع المصارمة (والسكوت على تبليغ ما يسوؤه) أي يحزنه (من مذمة الناس إياه) فإن الذي سبَّك من بلَّغك، وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فإذ ذاك لا يبالي بكراهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق (و) الرابع: (إبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه) مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك محض الحسد، وقد قال ﷺ: «إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليخبرْهُ»[٤٢٠] (وحسن الإصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه) وترك التجسس والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده، ولا يسأل فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه (و) الخامس: (أن يدعوه بأحب أسمائه إليه) في غيبته وحضوره (وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه) أي محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده؛ فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله حتى على علمه وتصنيفه وجميع ما يفرح، وذلك من غير كذب وإفراط (وأن يشكره على صنيعه) أي فعله الحسن (في حقه) وهو موافق للإحياء، وفي نسخة: «في وجهه» بل يشكره على نيته وإن لم يتم ذلك؛ قال علي رضي الله عنه: «من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة» (وأن يذب) أي يدفع (عنه في غيبته إذا تعرض) بالبناء للمفعول (لعرضه) بكسر العين أي قُصد بسوء بكلام صريح أو

---

(٤٢٠) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب: إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه (٥١٢٤) عن المقدام بن معديكرب.

. . .كما يَذُبُّ عن نفسِه، وأن ينصحَهُ باللُّطْفِ والتعريضِ إذا احتاجَ إليه، وأن يعفوَ عن زَلَّتِهِ وهَفْوَتِهِ ولا يَعْتِبَ عليه وأن يدعوَ له في خَلْوَتِهِ في حياتِه وبعد مماتِه. . . . .

تعريض (كما يذب عن نفسه) وهذا أعظم تأثيرًا في جلب المحبة فإن حق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه، وإنما شبه رسول الله ﷺ الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه (وأن ينصحه باللطف والتعريض) فيما فيه صلاح شأنه ويتأكد عليه (إذا احتاج إليه) أي النصيحة بأن يذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه ويخوّفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وينبهه على عيوبه، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد؛ فما كان على الملأ فهو مقابح وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة، وقال الشافعي ﷺ: «من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزَانَهُ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشَانَهُ».

(و) السادس: (أن يعفو عن زلته وهفوته) في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصيره في الأخوة ولو مع القدرة على الانتقام منه إذ هو أعظم في الأجر (ولا يعتب) أي لا يلوم (عليه) بسخط، أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية أو الإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه مما يعيده إلى الصلاح، وأما زلته في حقه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال؛ فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرًا فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك: ما أقساك يعتذر إليك بسبعين عذر فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك؛ فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن، وقد قال الشافعي: «من استُغْضِب فلم يغضب فهو حمار، ومن استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان»[٤٢١] فلا تكونن حمارًا ولا شيطانًا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك، واحترز أن تكون شيطانًا إن لم تقبل.

(و) السابع: (أن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته) بكل ما يحبه

(٤٢١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢٧) (٩١٦٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١٤٣).

...وأن يُحْسِنَ الوفاءَ مع أَهْلِه وأقاربِه بعدَ موتِه، وأن يُؤْثِرَ التخفيفَ عنه فلا يُكَلِّفَهُ شيئًا من حاجاتِه فيُرَوِّحَ سِرَّه من مُهمَّاتِه وأن يُظْهِرَ الفَرَحَ بجميعِ ما يرتاحُ له من مَسَارِّهِ والحُزْنَ......

لنفسه ولأهله فتدعو له كما تدعو لنفسك، ولا تفرق بين نفسك وبينه فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال ﷺ: «إذا دعا الرجلُ لأخيه في ظَهرِ الغَيْبِ قال المَلَكُ: ولك مِثْلُ ذلك»[٤٢٢]، وفي لفظ آخر: «يقول اللهُ تعالى: بكَ أبدأ»[٤٢٣] وفي الحديث: «يُستجابُ للرَّجُلِ في أخيه ما لا يُسْتجابُ له في نفسِه»[٤٢٤]، وفي الحديث: «دعوةُ الرَّجُلِ أخيه في ظهرِ الغيبِ لا تُرَدُّ»[٤٢٥].

(و) الثامن: (أن يحسن الوفاء) وهو الثبات على الحب وإدامته إلى الموت (مع أهله) أي أولاده (وأقاربه) أي أصدقائه (بعد موته) كالذي قبله؛ فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع بعد الموت حبط العمل وضاع السعي (و) التاسع: (أن يؤثر) أي يختار (التخفيف عنه فلا يكلفه شيئًا من حاجاته) أي لا يكلف أخاه ما يشق عليه (فيروح سره) أي قلبه كما في نسخة (من مهماته) أي أموره الشديدة فلا يستمد منه من جاه ومال دفعًا للسآمة المقتضية للتنافر، ولا يكلفه التواضع له بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركًا بدعائه واستئناسًا بلقائه واستعانة على دينه وتقربًا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته (وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح) أي ينشط (له من مساره) جمع مسرة بمعنى فرح (و) يظهر (الحزن) بفتحتين

---

(٤٢٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٢٧٣٢).

(٤٢٣) قال الحافظ العراقي (٥/ ٩٧٤): لم أجد هذا اللفظ.

(٤٢٤) قال الحافظ العراقي (٥/ ٩٧٤): لم أجده بهذا اللفظ، ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبد الله بن عمر: «وإن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب».

(٤٢٥) أخرجه أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٦/ ١٣٣) (٣٣٥٦) عن أم الدرداء، وأصل الحديث في صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٢٧٣٣) بلفظ: «دعوة المرء المسلم=

. . .على ما ينالُه من مكارهِهِ، وأن يُضْمِرَ في قلبِه مِثْلَ ما يُظْهِرُ فيكونَ صادقًا في وُدِّهِ سِرًّا وعلانيةً وأن يبدأَه بالسلامِ عند إقبالِه وأن يُوسِّعَ له في المجلسِ وأن يخرجَ له من مكانِه وأن يشيِّعَهُ عندَ قيامِه وأن يَصْمُتَ عندَ كلامِه حتى يَفْرُغَ من كلامِه ويتركَ المداخلةَ في كلامِه،

مصدر قياسي أو بضم فسكون اسم مصدر (على ما يناله من مكارهه وأن يضمر في قلبه مثل ما يظهر فيكون صادقًا في وده) بفتح الواو وضمها وكسرها أي محبته (سرًّا وعلانية) فإن الإخلاص في الإخاء استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة، ومن لم يكن مخلصًا في إخائه فهو منافق في الصحبة، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى من المؤاخاة؛ قال بعض الحكماء: «ظاهر العتاب خير من مكمون الحقد»، وإذا أراد شخص أن يعرف محبة صاحبه له فلينظر محبته له كما قال بعضهم من الطويل:

سَلُوا عَنْ مَوَدَّاتِ الرجالِ قُلُوبَكُمْ
فتلكَ شُهودٌ لم تكن تقبلُ الرِّشا
ولا تسألوا عنها العُيُونَ لأنها
تُشيرُ لشيءٍ ضِدَّ ما أَضْمَرَ الحَشَا

(و) العاشر: (أن يبدأه بالسلام عند إقباله) وفي نسخة: «إذا لقيه»، وكذا يفعل لمن لا يعرفه (وأن يوسع له في المجلس) قال عمر رضي الله عنه: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته أولًا، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه»[٤٢٦]، (و) الحادي عشر: (أن يخرج له من مكانه وأن يشيعه) بتشديد الياء أي يتبعه (عند قيامه) إكرامًا له إلا أن يمنعه (و) الثاني عشر: (أن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه ويترك المداخلة في كلامه) وأن يجيبه إذا دعاه ولو إلى

=لأخيه بظهر الغيب مستجابة».

(٤٢٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٨٥) (٥٨١٥)، والطبراني في الأوسط (٨/ ١٩٢) (٨٣٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٣٠) (٨٧٧٢) كلهم عن عثمان ابن طلحة، قال في مجمع الزوائد (٨/ ٨٢): وفيه موسى بن عبد الملك بن عمير وهو ضعيف، وهذا الكلام يروى أيضًا عن عمر بن الخطاب كما في شعب الإيمان (٦/ ٤٣١) (٨٧٧٦).

وعلى الجملةِ فيعاملُه بما يحبُّ أن يُعَامَلَ به؛ فمن لا يحبُّ لأخيهِ مثلَ ما يحبُّ لنفسِه فَأُخُوَّتُه نفاقٌ وهي عليه وَبالٌ في الدنيا والآخرةِ؛ فهذا أَدَبُك في حقِّ العوامِّ المجهولين، وفي حقِّ الأصدقاءِ المؤاخِين، وأما القسم الثالث وهم المعارِفُ: فاحذرْ منهم فإنك لا تَرى الشرَّ إلا ممن تعرفُه؛ أما الصديقُ فيُعينُك، وأما المجهولُ فلا يتعرَّضُ لك وإنما الشرُّ كلُّه . . . .

كُراع، وأن يعوده ولو مرة إذا مرض أو رمد، ويشهد جنازته إذا مات وإن لم يصل عليه حيث صلى عليه غيره، ويبر قسمه إذا أقسم عليه في مباح (وعلى الجملة) أي أقول قولًا على الجملة (فيعامله بما يحب أن يعامل به) من طاعة ومباح وقول وفعل فإن ذلك من كمال الإيمان. وكان سهل بن عبدالله يقول: «من كف أذاه عن الخلق مشى على الماء» أي عند إرادة إظهار كرامته للحاجة إذ قد يجب على الولي إخفاء الكرامة الأولوية إلا لحاجة كما نقله الرملي عن الشيخ خليل (فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه فأخوته نفاق وهي) أي الأخوة (عليه وبال) أي ثقل (في الدنيا والآخرة) وحق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق، ولا شك أن أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أبا هِرّ أَحْسِنْ مُجاورةَ من جَاوَرَك تكن مُسْلِمًا وأَحسِنْ مُصاحبةَ من صَاحَبَك تكن مُؤْمِنًا»[٤٢٧] (فهذا) أي المذكور كله (أدبك في حق العوام المجهولين) أي الذين لا تعرفهم (وفي حق الأصدقاء المؤاخين) أي العاقدين عقد الأخوة.

آداب مخالطة المعارف غير الأصدقاء

(وأما القسم الثالث وهم المعارف) أي غير الأصدقاء (فاحذر منهم فإنك لا ترى) أي لا تجد (الشر إلا ممن تعرفه أما الصديق) وهو الصادق في المودة (فيعينك) في شأنك (وأما المجهول فلا يتعرض لك) بشيء (وإنما الشر كله)

---

(٤٢٧) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٧٢) (٦٤٢)، وتمامه: «واعمل بفرائض الله تكن عابدًا وارض بقسم الله تكن زاهدًا».

. . .من المعارفِ الذين يُظهِرون الصداقَة بألسنتِهم فَأَقْلِلْ من المعارفِ ما قَدَرْتَ فإذا بُليتَ بهم في مدرسةٍ أو مسجدٍ أو جامعٍ أو سوقٍ أو بلدٍ فيجبُ أن لا تستصغرَ منهم أحدًا فإنك لا تدري لعله خيرٌ منك ولا تنظرَ إليهم بعينِ التعظيمِ لهم في حالِ دُنْياهم فتهلكَ؛ لأن الدنيا صغيرةٌ عندَ اللهِ تعالى صغيرٌ ما فيها، ومهما عَظُمَ أهلُ الدنيا في قلبِك فقد سَقَطْتَ من عينِ الله تعالى، وإياك أن تَبْذُلَ لهم دِينَك. . . . .

حاصل (من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم) ويخفون العداوة في بواطنهم (فأقلل من المعارف ما قدرت فإذا بليت بهم) أي بالمخالطة معهم (في مدرسة) للعلماء وهو محل درس العلوم (أو مسجد أو جامع) وهو محل إقامة الجمعة (أو سوق أو بلد فيجب) عليك (أن لا تستصغر) أي تستحقر (منهم أحدًا) ولو أقل الخلق صورة (فإنك لا تدري لعله خير منك) عند الله تعالى وفي الحديث: **«بِحَسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلمَ كُلُّ المسلم على المسلم حَرَامٌ دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ»**[٤٢٨] (ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك) بسبب حبك الدنيا كما قال ﷺ: **«من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه»**[٤٢٩] (لأن الدنيا صغيرة) أي حقيرة (عند الله تعالى صغير ما فيها) لأن الله تعالى لم ينظر إليها منذ خلقها (ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى) أي عين المحبة لأن الدنيا عدوة لله تعالى ولأوليائه، وفي الحديث: **«حُبُّ المالِ والشرفِ يُنْبِتانِ النفاقَ في القلبِ كما يُنْبِتُ الماءُ البَقْلَ»**[٤٣٠] (وإياك) أي احذر (أن تبذل لهم) أي تعطيهم (دينك

---

(٤٢٨) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه(٢٥٦٤) عن أبي هريرة.

(٤٢٩) سبق تخريجه.

(٤٣٠) لم أعثر عليه.

. . .لتنالَ به من دنياهم فلا يفعلُ ذلك أحدٌ إلا صَغُرَ في أعيُنِهم ثم حُرِمَ ما عندهم وإن عادَوْكَ فلا تُقابِلْهم بالعداوةِ فإنك لا تُطيقُ الصبرَ على مكافأتِهم فيذهبُ دِينُك في عداوتِهم ويطولُ عَناؤُك معهم، ولا تسكنْ إليهم في حالِ إكرامِهم إياك وثنائِهم عليك في وجهِك وإظهارِهم المودةَ لك؛ فإنك إن طلبتَ حقيقةَ ذلك لم تجدْ في المائِة واحدًا، ولا تطمعْ أن يكونوا لك في السرِّ والعَلَنِ واحدًا ولا تتعجبْ إن ثَلَبوك في الغيبة ولا تغضبْ منه فإنك إن أنصفتَ وجدتَ من نفسِك مثلَ ذلك حتى. . . . .

لتنال به) أي ببذل الدين (من دنياهم) فذلك خسران عظيم (فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ثم حرم) أي منع (ما عندهم) من الأموال كما هو المشاهد بين الناس قوله: «فلا يفعل» الفاء للتعليل (وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة فإنك) الفاء للتعليل أي لأنك (لا تطيق الصبر على مكافأتهم) أي مساواتهم بالعداوة (فيذهب دينك في عداوتهم) وفي نسخة: «فيهم» (ويطول عناؤك) أي تعبك ومشقتك (معهم) بالمقابلة (ولا تسكن) أي لا تمل بقلبك (إليهم في حال إكرامهم إياك) بالمال والفعل والقول (وثنائهم عليك في وجهك) وفي غيبتك (وإظهارهم المودة) أي المحبة (لك) بالقول وبإتيان ما تحبه (فإنك إن طلبت حقيقة ذلك) أي المذكور من الإكرام والثناء والمودة (لم تجد في المائة) من الأشخاص (واحدًا) قال بعضهم من «بحر الكامل» المجزوء:

خُـذْ مـن خَـلـيـلِكَ مـا صَـفَـا ... ودَعِ الـذي فـيـه الـكَـدَرْ
فـالـعُـمْـرُ أقـصـرُ مِـنْ مُـعَـا ... تـبـةِ الـخـلـيـلِ عـلـى الـغِـيَـرْ

(ولا تطمع) أي لا تأمل (أن يكونوا لك في السر والعلن واحدًا) على حال واحدة من الثناء ونحوه (ولا تتعجب إن ثلبوك) أي عابوك (في الغيبة) وفي بعض النسخ: «في غيبتك» (ولا تغضب منه) لأجل ذلك (فإنك إن أنصفت) أي عاملت بالعدل (وجدت من نفسك مثل ذلك) أي مثل فعل أخيك (حتى) إنك قد فعلت

. . . في أصدقائِك وأقاربِك بل في أستاذِك ووالديك؛ فإنك تذكرُهم في الغَيْبَةِ بما لا تُشافِهُهم به فاقطعْ طمعَك عن مالِهم وجاهِهم ومعونتِهم فإن الطامعَ في الأكثرِ خائبٌ في المآلِ وهو ذليلٌ لا مَحالةَ في الحالِ وإذا سألت واحدًا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره. . . . .

مثل ذلك (في أصدقائك وأقاربك بل في أستاذك ووالديك فإنك تذكرهم في الغيبة) أي في غيبتهم (بما لا تشافههم) أي لا تخاطبهم من فيك إلى فيهم (به واقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم) بأبدانهم (فإن الطامع في الأكثر) أي الغالب (خائب) أي غير نائل لما يطلبه (في المآل) أي عاقبة أمره (وهو) أي الطامع (ذليل لا محالة) بفتح الميم أي لابد (في الحال) أي في ذلك الوقت كما قال بعضهم من «بحر الكامل» المضمر في الأكثر المجزوء:

الـعـبـدُ حُـرٌّ إن قَـنِـعْ
والـحُـرُّ عـبـدٌ إن قَـنَـعْ

فـاقْـنَـعْ ولا تـطـمـعْ فـمـا
شـيءٌ يَـشـيـنُ سِـوَى الـطـمـعْ

الماضي الأول مكسور عينه والثاني مفتوحه، وفعل الأمر والنهي مفتوحة عين كلتيهما لأن قنَع يقنَع بفتح العين في الماضي والمضارع هو بمعنى سأل وتذلل ومصدره قُنُوعًا وأن قنِع يقنَع بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع هو بمعنى رضي بالقسم ومصدره قَنَعًا وقَنَاعةً؛ قال لبيد من «بحر الطويل»:

فـمـنـهـم سـعـيـدٌ آخِـذٌ بـنـصـيـبِـهِ
ومـنْـهـم شـقـيٌّ بـالـمـعـيـشـةِ قـانِـعُ

(وإذا سألت واحدًا) من الناس (حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى) على قضاء حاجتك (واشكره) فإنه لا يكمل الشكر لله تعالى إلا مع الشكر للوسيلة كما قال رسول الله ﷺ: «**من لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ اللهَ تعالى**»(٤٣١) أي شكرًا كاملًا وقال أيضًا: «**من أَسْدَى إليكم معروفًا فكافِئُوه فإن لم تَقْدِرُوا على مُكافأتِهِ فادعوا**

---

(٤٣١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (١٩٥٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في المسند=

. . . وإن قَصَّر فلا تُعاتِبْهُ ولا تَشْكِهِ فتصيرَ عداوةً.

وكُنْ كالمؤمنِ يطلبُ المعاذيرَ ولا تَكُنْ كالمنافِقِ يطلبُ العيوبَ وقُلْ: «لعله قصَّر لعذرٍ له لم أطَّلِعْ عليه ولا تَعِظَنَّ أحدًا منهم ما لم تتوسَّمْ فيه أولًا مخايلَ القبولِ وإلا لم يستمعْ منك وصار خَصْمًا عليك فإذا أخطئوا في مسألةٍ وكانوا يأنفون من التعلمِ منك فلا تُعلِّمْهم فإنهم يستفيدون منك علمًا ويصبحون لك أعداءً إلا إذا تعلَّق ذلك. . . . .

له»[٤٣٢] وقال أيضًا: **«من أَسْدَى إلى قوم نِعْمَةً فلم يشكروها له فدعا عليهم استُجِيبَ له»**[٤٣٣] (وإن قصر) أي الواحد في حقك (فلا تعاتبه) قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري:[٤٣٤] «إذا واخيت أخًا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فإنك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول» قال أحمد: «فجربته فوجدته كذلك» وقال بعضهم: «الصبر على مَضَضِ الأخ خير من معاتبته، والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة من الوقيعة» (ولا تشكه) أي تخبر الناس بسوء فعله بك (فتصير عداوة) له (وكن كالمؤمن يطلب المعاذير) جمع معذرة (ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب وقل) في نفسك؛ إذا قصر صاحبك (لعله قصر) في حقي (لعذر له لم أطلع عليه) أي العذر (ولا تعظن أحدًا منهم) أي المعارف (ما لم تتوسم) أي تنظر بقلبك (فيه) أي الأحد (أولًا) أي قبل الوعظ (مخايل القبول) أي دلائله (وإلا) يكن الأمر كذلك بأن تعظه قبل ثبوت دلائل القبول (لم يستمع) أي الأحد (منك) أي سماع قبول (وصار خصمًا عليك فإذا أخطئوا في مسألة وكانوا يأنفون) أي يستنكفون ويمتنعون (من التعلم) أي الاستفادة (منك) وفي نسخة: «من كل أحد» (فلا تعلمهم فإنهم يستفيدون منك علمًا ويصبحون) أي يصيرون (لك أعداء إلا إذا تعلق ذلك) أي الخطأ في المسألة

=(٣/ ٣٢) (١١٢٩٨) عن أبي سعيد الخدري.

(٤٣٢) أخرجه باختلاف يسير أبو داود في كتاب الزكاة باب: عطية من سأل بالله (١٦٧٢)، والنسائي في كتاب الزكاة باب: من سأل بالله ﷻ (٢٥٦٧) عن ابن عمر.

(٤٣٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢٤) (٩١٤٨) عن ابن عباس.

(٤٣٤) أحمد بن أبي الحواري، كنيته أبو الحسن، من أهل دمشق صحب أبا سليمان=

. . . بمعصيةٍ يُقارفونها عن جهلٍ منهم فاذْكُر الحقَّ بلُطفٍ من غيرِ عُنْفٍ، وإذا رأيتَ منهم كرامةً وخيرًا فاشكُرِ اللهَ الذي حبَّبك إليهم وإذا رأيتَ منهم شرًّا فَكِلْهُم إلى اللهِ تعالى واستعذْ باللهِ من شرِّهم ولا تعاتبْهم ولا تَقُلْ لهم لِمَ لَمْ تعرِفُوا حقِّي وأنا فلانُ ابنُ فلانٍ وأنا الفاضلُ في العلومِ فإن ذلك من كلامِ الحَمْقَى، وأشدُّ الناسِ حماقةً من يُزَكِّي نفسَه ويُثْنِي عليها.

واعلمْ أن اللهَ تعالى لا يُسلِّطُهم عليك إلا بذنبٍ سَبَقَ منك فاستغفرِ اللهَ من ذنبِك، . . . .

(بمعصية يقارفونها) أي المعصية أي يفعلونها وفي نسخة: «يأتونها» (عن جهل منهم فاذكر الحق) وجوبًا (بلطف من غير عنف وإذا رأيت منهم) أي المعارف (كرامة وخيرًا) أي إكرامًا وإحسانًا بمال وأفعال (فاشكر الله الذي حببك إليهم) أي صيرك محبوبًا عندهم (وإذا رأيت منهم شرًّا) في الأقوال والأفعال (فكلهم) أي فوِّض وسلِّم أمورهم (إلى الله تعالى) واكتف به تعالى (واستعذ) أي اعتصم (بالله من شرهم ولا تعاتبهم) العتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكل (ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقي وأنا فلان ابن فلان وأنا الفاضل في العلوم فإن ذلك) أي القول (من كلام الحمقى) أي الذين قلَّت عقولهم (وأشد الناس) أي أعظمهم (حماقة) أي فسادًا في العقل (من يزكي نفسه) أي يمدحها في كثرة خيراته (ويثني عليها) بكثرة العلم وبالانتساب إلى الفضلاء والعلماء.

(واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم) أي لا يجعلهم قاهرين (عليك بذلك) الشر (إلا بذنب سبق منك) ولو بعد سنين (فاستغفر الله من ذنبك) كل وقت، وفي رواية ابن حبان: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد: «ربي اغفرْ

=الداراني وغيره من المشايخ مثل سفيان بن عيينة ومروان بن معاوية الفزاري، وأسند الحديث، ومات أحمد سنة (٢٣٠) هـ (اهـ طبقات الصوفية للسلمي ص٩١).

. . .واعلمْ أن ذلك عقوبةٌ من اللهِ تعالى وكُنْ فيما بَيْنَهُم سميعًا لحقِّهم أصمَّ عن باطلِهم نَطُوقًا بمحاسنِهم صَمُوتًا عن مساوِيهم، واحذرْ مُخالَطةَ مُتفقِّهةِ الزمانِ لاسيَّما المشتغلين بالخلافِ والجدالِ واحذرْ منهم فإنهم يتربَّصُون بك لحسدِهم رَيْبَ المَنونِ ويقطعون عليك بالظنونِ ويتغامزون وراءك بالعيونِ ويُحْصُون عليك عَثَراتِكَ في عِشْرَتِهم حتى يَجْبَهُوك بها في حالِ غَيْظِهم ومناظرتِهم لا يُقيلُون. . . . .

لي وتُبْ عليّ إنك أنت التوابُ الرحيمُ» مائة[٤٣٥] وقال الشاذلي رحمه الله تعالى: «عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب».

(واعلم أن ذلك) أي الشر الذي جاء منهم (عقوبة من الله تعالى) لك في الدنيا (وكن فيما بينهم سميعًا لحقهم) أي لكلامهم الحق (أصم عن باطلهم) بأن لا تذيعه بين الناس: إما أن تنصحهم بطريق اللطف، وإما أن تهمله مرة واحدة (نطوقًا بمحاسنهم) بأن تشيعها بين الناس مع إظهار الفرح بها (صموتًا عن مساويهم) أي معايبهم ومعاصيهم سترًا لهم؛ فرحم الله امرأً رأى سيئة لأخيه فسترها (واحذر مخالطة متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف) أي بعلم الخلاف من بين العلماء (والجدال) أي العلم المؤدي إلى المجادلة (واحذر منهم فإنهم يتربصون) أي ينتظرون (بك لحسدهم ريب المنون) أي حوادث الدهر (ويقطعون عليك) في كل شيء (بالظنون) أي إنهم يُعملون ظنونهم السيئة، وإن أكثر الظنون ميون (ويتغامزون) أي يشيرون (وراءك بالعيون) مستهزئين بك (ويحصون) بضم الياء والصاد: يعدُّون (عليك عثراتك) أي زلاتك (في عشرتهم) بكسر فسكون أي في وقت مخالطتهم بعضهم مع بعض (حتى يجبهوك) بتشديد الموحدة بعد الجيم أو بسكون الجيم وفتح الموحدة (بها) حتى يستقبلوك بتلك العثرات كأنهم ضربوك بحجر في جبهتك (في حال) أي في وقت (غيظهم) أي غضبهم المحيط بالكيد عليك (ومناظرتهم) أي مجادلتهم معك (لا يقيلون) أي لا

---

(٤٣٥) ابن حبان في صحيحه (٣/٢٠٦) (٩٢٧) عن ابن عمر.

. . . لك عَثْرَة ولا يَغْفِرُون لك زَلَّةً ولا يَسْتُرونَ لك عَوْرةً، يُحاسبونك على النَّقيرِ والقِطْميرِ ويَحْسُدونك على القليلِ والكثيرِ، ويُحَرِّضُون عليك الإخوانَ بالنميمةِ والبَلاغاتِ والبُهْتانِ إنْ رَضُوا فظاهرُهم المَلَقُ وإن سَخِطُوا فباطنُهم الحَنَقُ، ظاهرُهم ثيابٌ وباطنُهم ذِئابٌ؛ هذا ما قطعتْ به المشاهَدَةُ على أكثرِهم إلا من عَصَمَهُ اللهُ تعالى فَصُحْبَتُهم خُسْرَانٌ ومعاشرتُهم خُذْلانٌ؛ هذا. . . . .

يرفعون (لك عثرة) أي سقطة (ولا يغفرون لك زلة) أي خطأ في منطقك وفعلك (ولا يسترون لك) وفي نسخة: «عليك» (عورة) أي عيبًا (يحاسبونك على النقير والقطمير) وهذا كناية عن أدنى الأشياء فكيف بما فوقه. والأشياء التي يضرب بها المثل في القلة أربعة: النقير وهو النكتة التي في ظهر النواة، والقطمير وهو القشرة الرقيقة التي بين النواة والتمر، والفتيل وهو ما يكون في شق النواة، والرقرقوق وهو ما بين القمع والنواة (ويحسدونك على القليل والكثير) من النعمة (ويحرضون) أي يحثون (عليك الإخوان بالنميمة) أي السعي بالحديث لإيقاع فتنة أو وحشة، وفي الحديث: **«لا يَدْخُلُ الجنةَ قَتَّاتٌ»**[٤٣٦] أي نمّام (والبلاغات) بفتح الباء ثم باللام أي الوشايات وهو الكلام الكذب أو السعي بالكلام عند نحو السلطان (والبهتان) أي بالقول عليك لما لم تفعله (إن رضوا) عنك (فظاهرهم الملق) أي اللطف الشديد (وإن سخطوا) عليك (فباطنهم الحنق) بالحاء المهملة والنون المفتوحتين ثم القاف أي الغيظ (ظاهرهم ثياب) تنتفع بها (وباطنهم ذئاب) تهلكك (هذا) أي المذكور حكم (ما قطعت) أي جزمت (به المشاهدة) أي المعاينة (على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى) أي وقاه؛ فلا تتصف بهذه الصفة الرذيلة (فصحبتهم) أي هؤلاء الموصوفين بما ذكر (خسران) أي هلاك في دينه ودنياه (ومعاشرتهم) أي مخالطتهم (خذلان) أي عدم حصول النصرة (هذا) أي المذكور

---

(٤٣٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: ما يكره من النميمة (٦٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان باب: بيان غلظ تحريم النميمة (١٠٥) عن حذيفة.

. . . حُكْمُ من يُظْهِرُ لك الصداقةَ فكيف مَنْ يُجاهِرُك بالعداوةِ؛ قال القاضي ابنُ معروفٍ رحمه اللهُ تعالى:

فَـــاحْـــذَرْ عَـــدُوَّك مَـــرَّةً ... واحـذرْ صـديقَـك أَلْفَ مَـرَّه
فَـلَرُبَّـمـا انْـقـلـبَ الـصَّـدِيـ ... ـقُ فَـكَـانَ أَعْـرَفَ بـالـمَـضَـرَّه

وكذلك قال ابنُ تَمَّام:

عَدُوُّكَ مِنْ صديقِك مُسْتَفادٌ ... فلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ
فـإن الـدَّاءَ أكـثـرُ مـا تـراهُ ... يكونُ من الطَّعامِ أو الشرابِ

(حكم من يظهر لك الصداقة) بلسانه (فكيف من يجاهرك بالعداوة قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى) نظمًا من الكامل المجزوء المرفل في الضرب:

(فـــاحـــذر عـــدوك مـــرة ... واحـــذر صـــديـــقـــك ألـــف مـــرة
فـــلـــربـــمـــا انـــقـــلـــب الـــصـــديـــ ... ـــق فـــكـــان أعـــرف بـــالـــمـــضـــرة)

(وكذلك قال ابن تمام) في معنى ذلك، وفي نسخة «أبو تمام» نظمًا من «بحر الوافر»:

(عـدوك مـن صـديـقـك مـسـتـفـاد ... فـلا تـسـتـكـثـرن مـن الـصـحـاب
فـــإن الـــداء أكـــثـــر مـــا تـــراه ... يـكـون مـن الـطـعـام أو الـشـراب)

وكان أبو سعيد الثوري يقول: «إذا أردت أن تؤاخي رجلًا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيرًا وكتم سرك فاصحبه»، وقال ذو النون: «لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصومًا، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم»، وقد قال بعض الحكماء: «لا تصحب من يتغير عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه» بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتًا على اختلاف الأحوال كما قال بعضهم من بحر الكامل:

وتـرى الـكـريـمَ إذا تـصـرَّمَ وَصْـلُهُ ... يُـخـفـي الـقـبـيـحَ ويُـظْـهِـرُ الإحـسـانـا

وكُنْ كما قال هِلالُ بنُ العَلاءِ الرَّقِّي:

لمَّا عَفَوْتُ ولم أَحْقِدْ على أحدٍ ... أَرَحْتُ نفسي من هَمِّ العَداواتِ
إنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عندَ رؤيتِهِ ... لأدفعَ الشرَّ عني بالتحياتِ
وأُظهرُ البِشْرَ للإنسانِ أُبغِضُهُ ... كأنه قد مَلا قلبي مَسَرَّاتِ
ولستُ أَسْلَمُ ممنْ لستُ أعْرِفُهُ ... فكيفَ أَسْلَمُ من أهلِ المودَّاتِ
الناسُ داءٌ دواءُ الناسِ تَرْكُهُمُ ... وفي الجفاءِ لهم قطعُ الأُخُوَّاتِ
فسالِمِ الناسَ تَسْلَمْ مِنْ غوائِلِهِمْ ... وكُنْ حريصًا على كَسْبِ التَّقِيَّاتِ

وترى اللئيمَ إذا تقضَّى وَصْلُهُ ... يُخفِي الجَميلَ ويُظهرُ البُهتانا

(وكن) أي الطالب للخير (كما قال هلال بن العلاء الرقي) نظمًا من «بحر البسيط»، والرَّقَّة اسم موضع:

(لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات)

أعني من السلام والبشر والتبسم، والمجروران والظرف متعلقان بـ«أحيي»، ويحسن أن يتعلق المجرور الأخير بأدفع، وفي نسخة: «حين أنظره» بدل «عند رؤيته»:

(وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنه قد ملا قلبي مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودات)

البشر -بكسر الباء- هو طلاقة الوجه، وفي نسخة «وأحسن البشر»:

(الناس داء دواء الناس تركهم ... وفي الجفاء لهم قطع الأخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم ... وكن حريصًا على كسب التقيات)

وفي نسخة: «على كسب المودات»، والمراد بقوله: «تركهم» عدم تغييرهم عن حالهم وليس المراد به اجتنابهم بدليل قوله: «وفي الجفاء...» إلى آخره أي وفي الإعراض عنهم بالكلية قطع الأخوات، وقوله: «تركهم» بضم الميم للوزن،

وخالِقِ الناسَ واصبِرْ ما بُليتَ بهم أَصَمَّ أَبْكَمَ أعمى ذا تَقِيَّاتِ

وكُنْ أيضًا كما قال بعضُ الحكماءِ: الْقَ صديقَك وعدوَّك بوجهِ الرضا من غيرِ مذلةٍ لهما ولا هيبةٍ منهما، وتَوَقَّرْ. . . . .

وقوله: «من غوائلهم» أي من شرورهم:

(وخالق الناس واصبر ما بليت بهم
أصم أبكم أعمى ذا تقيات)

وقوله: «وخالق الناس» أي كن معهم موافقًا أحوالهم كما قيل: خالطوا الناس بأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم، وفي نسخة: «فخالط الناس» وفي نسخة: «ما بقيت بهم» وقوله: «أصم أبكم أعمى ذا تقيات» كل منها حال من فاعل «خالق» أو «خالط»، وأشار هلال بهذه الأبيات السبعة إلى أن شأن الناس صعب جدًا كما قال الشافعي نظمًا من «البسيط»:

النَّاسُ داءٌ دَفِينٌ لا دواءَ لهم
تحيَّرَ العقلُ منهم فَهْوَ مُنْذَهِلُ

إن كنتَ مُنْبسطًا سَمَّوْكَ مَسْخَرةً
أو كنتَ مُنْقَبِضًا قالوا به ثِقَلُ

وإن تُخالِطْهُمْ قالوا به طَمَعٌ
وإن تجانِبْهُمْ قالوا به مَلَلُ

وإن تعفَّفْتَ عن أموالِهم كَرَمًا
قالوا غَنِيٌّ وإن تَسْأَلْهُمُ بَخِلُوا

إني تحيَّرْتُ في أمري وأمرِهِمُ
شِبْهَ النَّعامةِ لا طَيْرٌ ولا جَمَلُ

وقال رسول الله ﷺ: «إنكم لا تسعونَ الناسَ بأموالِكم ولكن يَسَعُهُمْ منكم بَسْطُ وجهٍ وحُسْنُ خُلُقٍ»[٤٣٧] (وكن) أيها المريد للخير (أيضًا) ملازمًا لآداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق وهي (كما قال بعض الحكماء) وهم من عندهم علم وحكمة (الق صديقك وعدوك بوجه الرضا) أي بوجه دال على الرضا وهو طلق الوجه (من غير مذلة لهما ولا هيبة) أي خوف (منهما وتوقر) أي كن

---

(٤٣٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٢) (٤٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٥٣) (٨٠٥٤) عن أبي هريرة.

. . .من غيرِ كِبْرٍ وتَواضَعْ من غيرِ مذلةٍ، وكُنْ في جميعِ أمورِك في أوسطِها فكِلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأمورِ ذَميمُ كما قيل:

عليك بأوساطِ الأمورِ فإنها طريقٌ إلى نَهْجِ الصِّراطِ قويمُ
ولا تَكُ فيها مُفْرِطًا أو مُفَرِّطًا فإنَّ كِلا حالَ الأمورِ ذَميمُ

ولا تنظرْ في عِطْفَيك ولا تُكْثِرِ الالتفاتَ إلى ورائك ولا تقف على الجماعاتِ، وإذا جلسْتَ فلا تَسْتَوفِزْ وتَحفَّظْ من تشبيكِ أصابعِك

حليمًا عند اللقاء (من غير كبر وتواضع) عند اللقاء (من غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي قصد الأمور) أي وسطها (ذميم) أي مذموم عند الله وعند الناس (كما قيل) من بحر الطويل:

(عليك بأوساط الأمور فإنها
طريق إلى نهج الصراط قويم
ولا تك فيها مفرطًا أو مفرطًا
فإن كلا حال الأمور ذميم)

ومعنى مفرطًا بسكون الفاء أي مسرفًا مجاوزًا الحد، ومفرطًا بتشديد الراء أي مقصرًا وناقصًا. وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأمورِ أوساطُها»[٤٣٨] (ولا تنظر) على سبيل الإعجاب (في عطفيك) بكسر العين أي جانبيك يمينًا وشمالًا بأن تنظر شيئًا بلحاظ عينك (ولا تكثر الالتفات إلى ورائك) وفي نسخة: «إذا مشيت» بدل «ورائك» (ولا تقف على الجماعات) أي الجالسين إذا مشيت من غير حاجة دينية أو دنيوية (وإذا جلست) مع الناس (فلا تستوفز) أي فلا ترفع رجليك غير مطمئن (وتحفظ من تشبيك أصابعك) أي إدخال بعضها في بعض فإنه يورث النعاس وإنه

---

(٤٣٨) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤٦٩) قال ابن الغرس: ضعيف، انتهى، وقال في المقاصد: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعًا، وللديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعًا: «خير الأعمال أوسطها» في حديث أوله: «دوموا على أداء الفرائض»، وقال السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: وأخرجه ابن جرير في تفسيره من كلام مطرف بن عبد الله، ومن كلام يزيد بن مرة الجعفي.

والعَبَثِ بلحيتِك وخاتَمِك وتخليلِ أسنانِك وإدخالِ أصابِعِك في أَنْفِك وكثرةِ بُصاقِك وتَنَخُّمِك وطَرْدِ الذُّبابِ عن وجهِك وكثرةِ التَّمَطِّي والتَّثاؤبِ في وجوهِ الناس وفي الصلاةِ وغيرِها، وليكنْ مجلسُك هادئًا وحديثُك منظومًا مُرَتَّبًا واصْغَ إلى الكلامِ الحسنِ ممن حدَّثك من غيرِ إظهارِ تعجبٍ مُفْرِطٍ ولا تسأَلْهُ إعادتَه واسكُتْ عن المَضاحِكِ والحكاياتِ، ولا تُحَدِّثْ عن إعجابِك بولدِك وشِعْرِك وكلامِك وتصنيفِك وسائرِ ما يَخُصُّك، ولا تتصنَّعْ تصنُّعَ المرأةِ في التزيُّنِ ولا

من الشيطان (و) من (العبث) بفتح العين والباء أي اللعب (بلحيتك وخاتمك) بفتح التاء (و) من (تخليل أسنانك وإدخال أصابعك في أنفك و) من (كثرة بصاقك) بالصاد وقد يبدل بالزاي، وإذا بصقت فابصق في جهة يسراك (وتنخمك) أي رمي نخامتك وهي ما يخرج من الحلق من مخرج الخاء المعجمة، وما يخرج من الخيشوم عند التنخنخ (و) من (طرد الذباب عن وجهك و) من (كثرة التمطي) أي مد البدن واليدين (والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها) وإذا تثاءبت فغط فمك بظهر يدك اليسرى دفعًا للشيطان لأن التثاؤب من الشيطان (وليكن مجلسك هادئًا) أي ساكنًا من الأصوات (وحديثك منظومًا) أي مجتمعًا في خصلة واحدة (مرتبًا واصغ) بفتح الغين أي مِلْ (إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط) أي كثير (ولا تسأله) أي مِنْ حدَّثك (إعادته) أي الحديث إلا إن كان في الإعادة مصلحة (واسكت عن المضاحك) أي الأمور المضحكة (والحكايات) أي لا تضحك من ذلك، وفي نسخة: «ولا تستكثر الحكايات» (ولا تحدث عن إعجابك بولدك) ولا جاريتك (و) لا (شعرك) وهو النظم الموزون، وحدُّه ما تركب تركيبًا متقاصدًا وكان مقفًّى مقصودًا به ذلك فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعرًا ولا يسمى قائله شاعرًا (و) لا (كلامك و) لا (تصنيفك) في العلوم (وسائر ما يخصك ولا تتصنع) أي لا تتكلف لأجل الناس حسن هيئة أهل الخير (تصنع المرأة في التزين ولا

تتبذَّلْ تبذُّلَ العبدِ وتَوَقَّ كثرةَ الكُحْلِ والإسرافَ في الدُّهْنِ، ولا تُلِحَّ في الحاجاتِ ولا تُشَجِّعْ أحدًا على الظلمِ ولا تُعْلِمْ أحدًا من أهلِك وولدِك فضلاً عن غيرِهم مقدارَ ما لك فإنهم إن رأَوْه قليلاً هُنْتَ عليهم وإن رأَوْه كثيرًا لم تبلغْ قَطُّ رضاهم واجْفُهُمْ من غيرِ عنفٍ ولِنْ لهم من غيرِ ضَعْفٍ ولا تُهازِلَ أَمَتَك ولا عبدَك فَيَسْقُطَ وَقارُك من قلوبِهم، وإذا خاصمتَ فَتَوقَّرْ وتحفَّظْ من جهلِك وعَجَلَتِك وتَفَكَّرْ في حُجَّتِك ولا تُكْثِرِ الإشارةَ بيدِك

تتبذل) أي لا تمتهن في الثياب (تبذل العبد وتوق) أي تجنب (كثرة) استعمال (الكحل) والتكحل مطلوب كل ليلة (و) توق (الإسراف) أي الزيادة عن التوسط (في الدهن) لجميع البدن، والتدهين للبدن مطلوب وقتًا دون وقت (ولا تلح) أي لا تواظب مقبلاً (في الحاجات) أي في طلبها من الناس (ولا تشجع) أي لا تغر (أحدًا على) إتيان (الظلم) لأحد؛ فمن أعان على معصية كان شريكًا فيها (ولا تعلم أحدًا من أهلك) أي زوجتك (وولدك فضلاً عن غيرهم) أي عدم إعلامك غيرهم أولى بالانتفاء (مقدار ما) ثبت (لك) أي من المرتبة (فإنهم إن رأوه) أي المقدار (قليلاً هنت) أي حقرت (عليهم وإن رأوه كثيرًا لم تبلغ قط رضاهم) وجعل «ما» موصولة أو نكرة موصوفة هو ما عليه شيخنا يوسف السنبلاويني، ويصح أن يكون قوله: «مالِك» بكسر اللام مضاف ومضاف إليه كما عليه الشيخ عبد الصمد، والضميران اللذان بعده عائدان إليه.

(واجفهم) أي تباعد عنهم إذا أخطئوا، وفي الإحياء «وخوِّفهم» (من غير عنف) وهو ضد الرفق (ولن) أي تلطف (لهم من غير ضعف ولا تهازل) أي لا تمازح (أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك) أي تعظيمك (من قلوبهم) وفي نسخة «في قلوبهم»، وفي نسخة «فيسقطوك» وكذا بقية الناس، ولذا قيل: «لا تُظهر بياض أسنانك للإنسان فيظهر لك سواد دبره» (وإذا خاصمت) مع الناس (فتوقر) أي فكن حليمًا أو بجل نفسك ليكون الناس تابعين لقولك كذا قال الشيخ عبد الصمد (وتحفظ) عند المخاصمة (من جهلك) بأن تفعل أو تقول ما يخالف الشرع (وعجلتك) أي إسراعك في الجواب وفي الغضب، وفي الإحياء «وتجنب عجلتك» (وتفكر في حجتك) أي في جوابك (ولا تكثر الإشارة بيدك) أي في

ولا تُكْثِر الالتفاتَ إلى مَنْ وَراءَك ولا تَجْثُ على رُكْبَتَيْك، وإذا هَدَأَ غضبُك فتكلَّمْ وإذا قرَّبك السُّلطانُ فَكُنْ منه على حَدِّ السِّنانِ، وإيَّاك وصديقَ العافيةِ فإنه أَعْدَى الأعداءِ، ولا تجعلْ مالَك أكرمَ من عِرْضِك؛ فهذا القَدْرُ يا فَتى يَكْفيك مِنْ «بدايةِ الهدايةِ» فجرِّبْ بها نفسَك فإنها ثلاثةُ أقسامٍ: قسمٌ في آدابِ الطاعاتِ، وقسمٌ في تَرْكِ المعاصي، وقسمٌ في مُخالطةِ الخَلْقِ، . . . .

حال المخاصمة (ولا تكثر الالتفات إلى من) أي شخص (وراءك ولا تجث) أي لا تجلس (على ركبتيك) أي حال الخصام (وإذا هدأ) أي سكن (غضبك فتكلم) بل ينبغي لك أن تسكت حتى تتوضأ (وإذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان) أي السيف؛ فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك، وارفق به رفق الصبي، وكلِّمه بما يشتهيه ما لم يكن معصية، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقًّا عنده؛ فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لا تنعش وزلة لا تُقال.

(وإياك وصديق العافية) أي احذر تلاقيك والصاحب الذي يصاحبك في وقت صحتك وغناك ولا يصاحبك حالة مرضك وفقرك (فإنه) أي مَنْ ذُكِر (أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك) بكسر العين أي نفسك، ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه؛ قال النبي ﷺ: «مَنْ جَلَسَ في مجلسٍ فَكَثُرَ فيه لَغَطُهُ فقال قبل أن يقومَ من مجلسِهِ ذلك سُبْحانكَ اللهم وبحمدِكَ أَشْهدُ أن لا إلهَ إلا أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليك إلا غُفِرَ له ما كان في مجلِسِهِ ذلك»(٤٣٩) (فهذا القدر) أي المذكور في هذا الكتاب (يا فتى) أي يا من يبتدئ في علم التصوف (يكفيك من بداية الهداية فجرب بها) أي بالبداية (نفسك) أي الأمارة واللوامة (فإنها) أي تلك البداية (ثلاثة أقسام قسم في آداب الطاعات) أي الظاهرة والباطنة (وقسم في ترك المعاصي) كذلك (وقسم في مخالطة الخلق) كما

---

(٤٣٩) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب: ما يقول إذا قام من المجلس (٣٤٣٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأحمد في المسند (٢/ ٤٩٤) (١٠٤٢٠) عن أبي هريرة.

. . . وهي جامعةٌ لجُمَلِ مُعاملةِ العَبْدِ مع الخالقِ والخَلْقِ فإنْ رأيتَها مُناسِبةً لنفسِك ورأيتَ قَلْبَك مائلاً إليها راغبًا في العملِ بها؛ فاعلمْ أنك عبدٌ نوَّرَ اللهُ تعالى بالإيمانِ قلبَك وشرحَ به صَدْرَك، وتحقَّقَ أن لهذه البدايةِ نهايةً ووراءها أسرارًا وأغوارًا وعلومًا ومُكاشَفاتٍ، وقد أودَعْناها في كتابِ «إحياءِ عُلُومِ الدِّينِ» فاشْتغِلْ بتحصيلِه.

عرفته أولًا (وهي) أي بداية الهداية (جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق) ﷻ (والخلق) وهذا المجموع يسمى تقوى والدين الكامل وهو زاد للآخرة (فإن رأيتها) أي بداية الهداية أي وجدتها (مناسبة) أي قريبة (لنفسك ورأيت) أي وجدت (قلبك مائلاً إليها) أي البداية (راغبًا) أي مريدًا (في العمل بها) أي بمطلوبها (فاعلم أنك عبد) من عباد الله تعالى (نور الله تعالى بالإيمان) الكامل (قلبك) السليم (وشرح) أي كشف (به) أي بالإيمان (صدرك) فاشكر الله تعالى الذي هداك إلى ذلك واطلب منه استقامتك (وتحقق) بصيغة الماضي أي ثبت (أن لهذه البداية نهاية) كما علمت أولًا (ووراءها) أي النهاية أي بعدها (أسرارًا وأغوارًا) أي دقائق، وقد ذكرتها أولًا في هذا الشرح (وعلومًا) باطنية كعلم أحوال القلب أما ما يحمد منها فهو الصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والقناعة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال وحسن الظن والإخلاص ونحو ذلك، وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع ونحو ذلك (ومكاشفات) وهي غاية العلوم وهي عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في حكم خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا (وقد أودعناها في كتاب «إحياء علوم الدين» فاشتغل بتحصيله) أي كتاب «الإحياء» لتكون من أهل الظاهر والباطن معًا فقد قيل: «علماء الظاهر زينة الأرض والمُلْك، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت»، وقال السري للجنيد: «جعلك الله صاحب حديث صوفيًا ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث» وأشار

وإن رأيتَ نفسَك تَسْتثقِلُ العملَ بهذه الوظائفِ وتُنْكِرُ هذا الفَنَّ من العلمِ وتقولُ لك نفسُك: أنَّى ينفعُك هذا العِلْمُ في مَحافِلِ العُلماءِ ومتى يُقَدِّمُك هذا على الأقْرانِ والنُّظَراءِ؟ وكيف يَرْفَعُ مَنْصِبَك في مجالسِ الأُمَراءِ والوزراءِ؟ وكيف يُوصِلُك إلى الصِّلَةِ والأرزاقِ ووِلايةِ الأوقافِ والقضاءِ؟ فاعلمْ أن الشيطانَ قد أَغْواك وأنساك مُنْقَلَبَكَ ومَثْواك فاطْلُبْ لك شَيْطانًا مِثْلَك ليُعَلِّمَك ما تَظُنُّ أنه ينفعُك ويُوصِلُك إلى بُغْيَتِك.

ثم اعلمْ أنه قَطُّ لا يَصْفُو لك المُلْكُ في مَحَلَّتِك فَضْلاً عن قَرْيَتِك وبَلْدَتِك ثم يَفُوتُك المُلْكُ المُقيمُ.............

بذلك القول إلى أن من حصّل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلح، ومن تصوّف قبل العلم خاطر بنفسه (وإن رأيت) أي وجدت (نفسك تستثقل العمل) أي تعتقد ثقل العمل (بهذه الوظائف) أي الأوراد التي ذكرت في هذا الكتاب (وتنكر) وفي بعض النسخ: «وتترك» (هذا الفن) أي النوع الذي في هذا الكتاب (من العلم) أي علم التصوف (وتقول لك نفسك: أنى) أي كيف (ينفعك هذا العلم في محافل العلماء) أي مجامعها (ومتى) أي في أي وقت (يقدمك هذا على الأقران) جمع قرين وهو من يعادلك في أحوالك (والنظراء) جمع نظير وهو من يساويك في الدرجة (وكيف يرفع) أي هذا العلم (منصبك) أي علوك (في مجالس الأمراء والوزراء وكيف يوصلك إلى الصلة) أي العطية منهم (والأرزاق) أي المرتبة من عندهم كل شهر أو كل سنة (وولاية الأوقاف والقضاء فاعلم أن الشيطان قد أغواك) أي أضلك (وأنساك منقلبك) بضم الميم وفتح القاف واللام أي مرجعك (ومثواك) أي منزلك وهو الآخرة (فاطلب لك شيطانًا مثلك ليعلمك ما) علمًا (تظن أنه ينفعك) في الدنيا (ويوصلك إلى بغيتك) بكسر الباء وضمها أي حاجتك (ثم اعلم أنه) الشأن (قط لا يصفو لك) أي لا يخلص من الأكدار (الملك) أي العز (في محلتك) أي منزلك (فضلاً عن قريتك وبلدتك ثم يفوتك الملك المقيم)

...والنعيمُ الدائمُ في جِوارِ رَبِّ العالَمينَ. والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، والحمدُ للهِ أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه وسَلَّمَ.

●●●

أي الدائم الذي لا ينعزل (والنعيم الدائم) أي المستمر الذي لا ينفد (في جوار) بكسر الجيم (رب العالمين) أي في الجنة مجاورة معنوية * والحمد لله رب العالمين (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) تسليمًا كثيرًا.

قال الشارح: تم تأليفه بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ليلة الأحد ثالث عشر ذي القعدة من سنة ألف ومائتين وتسعة وثمانين على يد المذنب المقصر محمد نووي بن عمر بن عربي بن علي عفا الله عنهم آمين.

●●●

ثبت بأهم المراجع

(١) القرآن الكريم.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة.
(٣) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
(٤) تفسير روح المعاني، للألوسي البغدادي، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٥) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي، ط. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
(٦) الكتب الستة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه.
(٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل ط. مؤسسة قرطبة - مصر.
(٨) المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري ط. دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.
(٩) صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان، ط. مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ.
(١٠) سنن الدارمي لعبدالله أبو محمد الدارمي ط. دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
(١١) سنن البيهقي الكبرى لأبي بكر البيهقي، ط. مكتبة دار الباز بمكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

معاجم الطبراني، لأبي القاسم الطبراني:

(١٢) المعجم الكبير، ط. مكتبة العلوم والحكم بالموصل الطبعة الثانية عام ١٤٠٤هـ.
(١٣) المعجم الأوسط، ط. دار الحرمين بالقاهرة، عام ١٤١٥هـ.
(١٤) المعجم الصغير، ط. المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت، عمان الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
(١٥) مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى، ط. دار المأمون للتراث بدمشق الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.
(١٦) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ط. دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥هـ.

(١٧) مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة الكوفي، ط. مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
(١٨) سنن الدارقطني، لأبي الحسن الدارقطني، ط. دار المعرفة، بيروت عام ١٣٨٦هـ.
(١٩) شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
(٢٠) مسند الطيالسي، لأبي داود الطيالسي، ط. دار المعرفة بيروت.
(٢١) مسند الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي الهمذاني، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٨٦م.
(٢٢) تلخيص الحبير، لابن حجر العسقلاني، طبعة المدينة المنورة عام ١٣٨٤هـ، بتحقيق السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.
(٢٣) مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ط. دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي- القاهرة، بيروت عام ١٤٠٧هـ.
(٢٤) كشف الخفاء لإسماعيل بن محمد العجلوني ط. مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥هـ.
(٢٥) الموضوعات لابن الجوزي.
(٢٦) تخريج الحافظ زين الدين العراقي على هامش إحياء علوم الدين للغزالي، ط. دار الشعب.
(٢٧) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ط. دار المعرفة بيروت عام ١٣٧٩هـ.
(٢٨) شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا النووي، ط. دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ.
(٢٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبدالرءوف المناوي، ط. المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٥٦هـ.
(٣٠) تحفة الأحوذي لمحمد عبدالرحمن المباركفوري، ط. دار الكتب العلمية بيروت.
(٣١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
(٣٢) أُسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير، ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
(٣٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر بن عبدالبر، ط. دار الأعلام، الأردن، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.
(٣٤) الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني.
(٣٥) تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.
(٣٦) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط. دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى عام

١٤٠٤هـ.
(٣٧) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة.
(٣٨) طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
(٣٩) العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
(٤٠) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.
(٤١) الأعلام، لخير الدين الزركلي.
(٤٢) معجم المؤلفين، لعمر كحالة.
(٤٣) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة إستانبول سنة ١٩٥١م.
(٤٤) مقدمة ابن الصلاح، للحافظ عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان، تحقيق: محمد محمود شعبان، ط. دار البصائر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٩هـ.
(٤٥) حاشية فتح القريب للشيخ إبراهيم البيجوري، ط. مصطفى البابي الحلبي.
(٤٦) شرح الدردير على الخريدة وبهامشه حاشية الشيخ المطيعي، ط. دار البصائر.
(٤٧) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط. مكتبة دار التراث.
(٤٨) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، ط. دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.
(٤٩) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ محمد الشربيني الخطيب، ط. مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٧٧هـ.
(٥٠) الفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرحمن الجزيري، ط. دار ابن الهيثم.
(٥١) التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف، للشيخ محمود سعيد ممدوح، ط. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بالإمارات.
(٥٢) التشريع الجنائي الإسلامي، لعبد القادر عودة، ط. دار الكتاب العربي بيروت.
(٥٣) لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين بن منظور.
(٥٤) القاموس المحيط للعلامة محمد بن يعقوب الفيروزابادي.
(٥٥) المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي.
(٥٦) المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *